محمد زروال

العلاقات الجزائرية الفرنسية

1830-1791

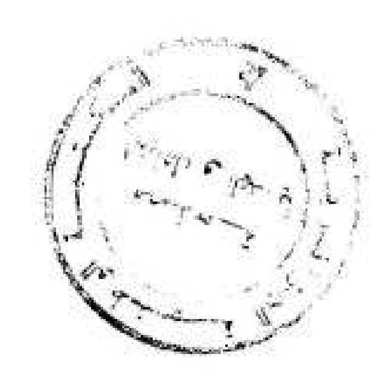




محمد زروال

العلاقات الجزائرية الفرنسية

1791-1830م





الاهداء

الى روح ابي، الى امي الحنون.

الى زوجتي وابنائي خاصة منهم: ابو بكر طارق عزيز، عبد الناصر وعبد المؤمن.

الى اخوي العزيزين: احمد وابراهيم.

الى المجاهدين الذين استشهدوا في عهد شارل العاشر والى الذين هزموا شارل الخاسر الى أولئك وهؤلاء جميعا اقدم هذا الكتاب.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الاسباب التي حملتني على اختيار هذا الموضوع مردها عاملان: فعندما كنت اتابع دراستي في جامعة وهران، هالني فراغ المكتبة العربية من المصادر الصحيحة التي تمثل وجهة النظر الجزائرية في بعض الفترات الحاسمة من تاريخ الجزائر. ولذ لك قررت ان اضيف بعض اللبنات المتواضعة لجهود الذين ينبشون بهمة وعزم في مطاوي التاريخ لتنقيته من مسخ وتشويه كتاب الاستعمار الفرنسي، وينفضون الغبار عن وثائقنا التاريخية. اما العامل الثاني فاني اردت ان انتبع بالبحث قصة الديون الجزائرية على الحكومة الفرنسية وما جرته هذه الديون من ويلات ومصائب انتهت اخيرا باستعمار الشعب الجزائري الذي كان خير حليف لفرنسا في مجاعتها خلال الحصار

الذي ضربته عليها الدول الاوروبية عقب ثورتها عام 1789م.

والفترة التي فرغت نفسي للكتابة فيها لست ادعي اني استوفيتها حقها من الدراسة والتحليل والوصول للذروة في النتائج المرجوة. ويعزى ذلك لندرة المراجع المحلية التي مثلت امامي عقبة كأداء في تكثيف المادة العلمية، وتطوير الافكار التاريخية والرجوع بها الى اسبابها الحقيقية كما خطها شعبنا بدمائه الزكية على مر العصور، تلك الافكار التي كتبها غلاة الاستعمار من وجهة نظر تتماشى ومصالحهم وميولهم المتحيزة بهدف ابادة شعب واذابة امة. ولذلك فاني اعترف بان هذا العمل جاء ناقصا سواء في غزارته العلمية او في تطوير افكاره التاريخية كما قلت.

ولكنه على كل حال عمل يجد فيه البعض من القارئين بعض ما يروي غليلهم في التعرف الى جوانب من تاريخنا الذي لايزال مادة خاما تنتظر نزاهة العلماء الباحثين وعمل الرجال المخلصين.

وقد قسمت عملي الى ثلاثة فصول تناولت في الفصل الاول منها العلاقات الاقتصادية والسياسية بين الجزائر وفرنسا قبيل الاحتلال، وعالجت موضوع النفوذ اليهودي المالي على الادارة الجزائرية التي تميزت بالتعفن الاجتماعي في العهد العثماني، وبعد ذلك تطرقت بالبحث الى قصة الديون الجزائرية على الحكومة الفرنسية وما نتج منها من تأزم في علائق البلدين انتهى اخيرا الى مأساة الاحتلال.

وتتبعت في هذا الفصل سياسة نابوليون بونابارت من هذه القصة

وما كان لسياسته من انعكاسات خطيرة على مستقبل الجزائر التي تعرضت لمخططات التآمر وخاصة منها البعثة التي ارسلها نابوليون الى الجزائر بقصد التعرف السري الى حصونها ومواقعها واجهزتها الدفاعية والتي عهد بها الى احد كبار ضباطه هو الرائد بوتان (BOUTIN) وقد قادني البحث الى اظهار الموقف الفرنسي بالنسبة الى الجزائر في مؤتمر فيينا الذي شهد خلافات حادة بين اعضائه عما سمي آنذاك بقضية "القرصنة الجزائرية".

اما الفصل الثاني فركزت الحديث فيه على الازمة الفرنسية الجزائرية التي بدأت بحادث المروحة المشهورة. فقطع العلاقات بين البلدين ومحاولة الطرفين ايجاد حل سلمي للخلاف الذين نشب بينهما آنذاك.

واما الفصل الثالث فتناولت فيه موقف السياسة الفرنسية قبيل تنفيذ عملية الاحتلال وما اعقب ذلك من تمهيد في الداخل والخارج لمباشرة الغزو العسكري، ثم عرجت على موقف الدول الاوربية التي ناصرت الحملة دون تحفظ باستثناء الحكومة البريطانية التي عارضت المشروع الفرنسي لان مطامعها الاستعمارية كانت تجذبها نحو الجزائر. كما اشرت الى موقف بلدان المغرب الذي تميز بالضعف والتخاذل بل والحياد الميال لقرار الحكومة الفرنسية بشن حملة عسكرية على الجزائر. اللهم الا اذا استثنينا موقف ولاية طرابلس التي ابدت تضامنها مع الجزائر. ولكنها كانت تشكو ضعفا في قواتها الدفاعية فلم تستطع تقديم اي عون مادي لاختها المسلمة التي

تكتلت عليها جهود الاخوات اللاتينيات. ولم اغفل موقف مصر التي حاولت فرنسا اقحامها في مشروع عسكري فرنسي مصري لانهاء مشكلة الجزائر يقضي بان يتولى محمد على باشا مصر اخضاع نيابة الجزائر لحكمه وذلك في مقابل مساعدة مالية وعسكرية تقدمها اليه الحكومة الفرنسية. ولكن الاختلاف في طبيعة وحجم هذه المساعدة بين الطرفين كان احد الاسباب الرئيسية في نسف هذا المشروع.

وقد وقفت امام موقف الدولة العثمانية التي استنكرت فكرة الاحتلال غير ان حكومة الباب العالي كانت لاتستطيع ان تدعم جانبها بقوة عسكرية مرهوبة، تلك القوة التي فقد جزء هام منها في معركة "ناقارين" وفي الحرب الروسية عام 1829م.

وفي الاخير فقد تصديت لقرار الحكومة الفرنسية التي انفردت بالعمل المسلح في الجزائر بعد ان آنست عطفا على مشروعها الاستعماري من قبل الدول الاوروبية، وانحيازا لمواقفها من بلدان المغرب وعدم تحريك السواكن من الدولة العثمانية.

واذا كان لزاما على ان اذكر العقبات التي تعثرت بها خلال سنتي اعداد هذا الكتاب فهذه مسألة اترك الحكم فيها للذين يقدرون ضخامة هذا العمل خاصة اذا علموا اني قمت به وانا اعمل في نظام عسكري صارم في قوانينه، قاس على الحياة العقلية خاصة اذا كانت هذه الانظمة العسكرية لاتزال في طور التكوين.

وقد قدر لهذا الكتاب ان يتعرض لكثير من الظلم والاجحاف منذ ان كـان على الآلة الراقنة عندمـا صـادره مـسـؤول المركـز (1) في مكتبـه يومين كاملين ثم اعاده الي بسبب من سعى اليه يتهمني باني منكب دائما على القراءة والكتابة.

هذا هو الظلم الاول. اما الظلم الثاني فهو عدم منا قشته في احد معهدي التاريخ في جامعة وهران حيث سجلته كرسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات المعمقة او في جامعة مدينة الجزائر حيث نقلت الى هذه الاخيـرة في اطار عـملي في الجـيش الوطني الشـعـبي وكـانت اسباب عدم مناقشته تعود الى تزمت بعض الاساتذة الجامعيين والى هذا النمط من الحياة التي كنت احياها كشخص له خصوصياته من دون الكثير من الناس.

واما الظلم الثالث فـهـو بقاؤه حـبيس الادراج لم يطبع علمـا باني اودعت نسـخـة منه عام 1977م لدى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سـابقـا (الشـركـة الوطنيـة للكتـاب حـاليا). كـمـا طلبت اذنا من وزارة الدفاع الوطني بالموافقة على طبعه ولكني لم أتلق اي رد من الجهتين. وبذلك طال انتظاره حتى سئمت نفض الغبار عليه.

اما اليوم وقد اصبح نشره ممكنا -اي بعد ان احلت على المعاش- فـإني اريد ان اجلب انتـبـاه القـارئ الى ان نسـخـا كـثـيـرة منه كنت سحبتها سحبا عاديا ووزعتها على بعض الاخوان، مما يجعله عرضة

(1)- انه قائد مركز تدريب المشاة الذي يقع على بعد ثلاثة كيلومترات الى الشمال الغربي من مدينة ارزيو، كان ذلك في عام (1974م).

للسرقة الجزئية او حتى الكلية منها فأنا كنت قد سلمت نسخة منه مرقونة ومسحوبة الى استاذ جامعي مصري معروف حملها معه الى القاهرة لست ادرى ما آل اليه امرها.

ان الظروف القاسية التي عشتها هي التي جعلت هذه الدراسة تتأخر الى هذا الوقت. على أن هذا التأخر الذي خبأته لها الايام أرى انه يحمل في طياته الخير كل الخير. فقد كان شرفي وشرف هذه الدراسة عظيما في ان اقدمها اليوم الى الشعب الجزائري المجاهد بمناسبة احتفاله بالذكرى الاربعين للثورة.

واخيرا تجدر الاشارة الى اني ذيلت هذا الكتاب ببعض الملاحق ذات الصبغة التاريخية التي لم يسبق لها ان نشرت حسب ما اعلم ذلك. هذا واني اعتذر عن عدم وضع فهارس بأسماء الاعلام والاماكن وغيرهما في هذه الطبعة، على انني سأتدارك ذلك في طبعة اخرى ان شاء الله.

ثم واخيرا، فاني انتهز هذه الفرصة فأتقدم بالشكر الى الاخوان الذين قدموا إلي يد العون والمساعدة لاخراج هذا العمل في ثوبه القشيب، وهو العمل الذي اضفى علي هالة من الشعور بالسعادة وانا اخط السطور الاخيرة لاول دراسة تاريخية اكاديمية تظهر على مستوى الجيش الوطني الشعبي. ينجزها واحد من افراد جيش التحرير الوطني. والله يهدي الى سواء السبيل.

وهران في فاتح اوت 1974م

بئر مراد رايس في فاتح نوفمبر 1993م

الفصل الاول

الديون الجزائرية على الحكومة الفرنسية

1- العلاقات التجارية والتمثيل الدبلوماسي بين الجزائر وفرنسا قبل الاحتلال.

ارتبطت الجزائر وفرنسا منذ بداية العصر الحديث بالميدان التجاري وقد سيطر هذا العامل على العلاقات بين البلدين فترة من الزمن فسار بها نحو اتباع سياسة مرنة وذلك حفاظا على استمرارية التعاون بين الطرفين.

وكان بعض كبار تجار مرسيليا يشيرون على حكومتهم بسلوك مثل هذه السياسة المرنة لمالهم من تبادل تجاري عظيم الفوائد مع دولة

الجزائر. فقد اصبحت غرفة مرسيليا تشرف على ادارة هذه العلاقات كما كان لها التفوق على بعض ميادين السياسة الفرنسية ذاتها اذ كانت تتمتع بحق تعيين القناصل في الجزائر(1)

وبفضل هذا التحسن في ازدهار العلاقات التجارية بين الجزائر وفرنسا فقد ساعد ذلك على صفاء الجو في العلاقات السياسية التي اتصفت بانها كانت طيبة على العموم اذا قورنت بغيرها من الدول الاوروبية الاخرى.

لقد كان لفرنسا امتيازات تجارية في شرق الجزائر(عنابة، القالة ورأس بونة، والقل)، وكانت هذه المؤسسات التجارية تدفع جزيات سنوية لكل من الداي من جهة وباي قسنطينة من جهة اخرى وذلك مقابل حقها في صيد المرجان واحتكار تصدير الحبوب الى اوربا.(2)

وعندما سافر وفد جزائري الى مرسيليا ليتفاوض مع الفرنسيين في موضوع حصن القالة (الباستيون) جاءت الاخبار بأن سفينة فرنسية تعرضت لهجوم الجزائريين فما كان من السلطات الفرنسية الا ان قتلت اعضاء الوفد غدرا. (3).

عند هذا اعلنت البحرية الجزائرية حربا شاملة على السفن

(1) مجلة الجندي، نوفمبر 1972م. عدد 15. ص39.
(2) د/ابو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الحديث، القاهرة: مطبعة الجبلاوي 1970م) ص: 9
(3) مجلة الجندي، ص ن

الفرنسية حربية كانت ام تجارية في عرض البحر المتوسط. وبعد فترة اصبح التبادل التجاري بين الجزائر وفرنسا تشرف عليه الحكومة الفرنسية ذاتها وذلك بدلا من غرفة مرسيليا.(1)

وقد تعرضت هذه المؤسسات التجارية الفرنسية للدمار والتخريب من بعض الجزائريين، وذلك بسبب مخالفات الحكومة الفرنسية للعقود المبرمة بين البلدين التي تمنع تحصين وتسليح او بناء اي شيء، دون موافقة حكومة الجزائر على ذلك. وقد قدر رأس مال الشركات الفرنسية في الجزائر خلال فترة من الزمن بحوالي اربعة ملايين فرنك ونصف، وفي بعض الوقت صدرت هذه المصارف نحو فرنسا من القموح مامقداره 200,000 هكتولتر.

ومن ميناء ارزيو كان كبار التجار البريطانيين يصدرون سنويا 8000 طنا من الحبوب لتموين مستعمراتهم بجبل طارق (2).

وفي مقابلة ذلك كانت الجزائر تستورد من فرنسا وعلى الاخص من مرسيليا المنسوجات الحريرية والبن والمشروبات الطبية، والمعاجين، والسكر، والحديد، والفولاذ، والصمغ، والملح، والخمور، والتوابل (3).

(1) مجلة الجندي.ع.س.ص. 41
(2) علي عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها. ب 1972م. ص303
(3) ع.س.ص 307-308

وباختصار فان اهم ما كانت الجزائر تستورده من الخارج كان يتعلق بصناعة السفن خاصة كالحبال، والحديد والخشب، والمعدات الحربية من قذائف وبارود وفولاذ ومدافع واسلحة متنوعة . كما انها كانت تستورد السفن احيانا، وكل هذه المستوردات كانت تأتي من بلدان شمال اوربا كبريطانيا والسويد، وهولندا، والولايات المتحدة، وذلك مقابل امن وسلامة هذه الدول وحرية ملاحتها في البحر المتوسط.

وكانت هولندا تزود الجزائر على وجه الخصوص بالآجر والزليج الثمين. وبعد هذه البضائع والمعدات الحربية التي تستوردها الجزائر تأتي قائمة بمستوردات اخرى كالمنسوجات والاصباغ والمواد المصنعة والتوابل. وقد كان بامكان الجزائر ان تتحصل مباشرة على هذه المنتوجات من اسواقها الاصلية اي بالمشرق العربي من غير ان تمر بالاسواق الاوروبية والاحتكارات اليهودية (1).

وكانت الاصواف اهم ما تصدره الجزائر، وصفها قنصل الولايات المتحدة الامريكية بالجزائر السيد (ويليام شالير) بانها بلغت من الجودة بحيث انها تباع دون تنظيف وبأعلى الاثمان فكان ثمن القنطار الواحد منها يساوي ضعف قيمة القنطار من الاصواف العالمية الاخرى. واهم الدول الاوروبية التي كانت تتهافت على الاصواف الجزائرية هي فرنسا وايطاليا (2) وقد بلغ مجمل ما صدرته

(1) ع.س.ص. 305
(2) ع.س.ص. 306

الشركة الفرنسية سنويا من جلود الجزائر 25 الف جلد من البقر والغنم والابل والمعز قدر ثمنها الاجمالي بحوالي 100الف جنيه استرليني. ويلاحظ هنا ان وكيل الحرج الجزائري (وزير البحرية) كان يحتكر لنفسه تجارة الجلود فكان يشتري الجلد الواحد بثماني موزونات (1) ليبيعه بثلاثين موزونة للشركة الفرنسية المذكورة، (2) وقد اشتهرت شموع الجزائر التي كانت تصدر من ميناء مدينة الجزائر ومدينة عنابة.

فبينما تم تصدير حوالي اربع مائة قنطار من الميناء الاول كان ميناء عنابة قد صدر 300 قنطارا.

واما عن المنتجات الزراعية فأشهر ما كان يصدر منها هو الحبوب عبر ميناء وهران، ارزيو، دلس، وعنابة. وكذلك كان التبغ يصدر الى اوروبا، وغني عن القول ان التبغ انتشرت زراعته في منطقتي متيجة وسهول عنابة.

وكانت التمور، والتين، والزيتون، والعنب الجاف (الزبيب)، وريش النعام، والزرابي والمناديل المطرزة تصدر كلها من ميناء مدينة الجزائر. وقد كانت فرنسا اهم الدول الاوروبية التي تربطها علاقات تجارية مع الجزائر وتشدها اليها مثل هذه الصلات.

(1) الموزونة هي وحدة نقدية قيمتها 0،2 دينار.
(2) ع.س.ص. 306.

ان شركة لانش، والباستيون، وشركة مرسيليا التي تحولت فيما بعد الى الدار الفرنسية وعرفت اخيرا بالشركة الملكية التي ادت دورا كبيرا في ادخال النقود الاجنبية الى الجزائر وخاصة منها القرش المكسيكي الذي يسميه الجزائريون (قرش بومدفع) قلت: ان هذه الشركات كلها كانت تحتكر التجارة بين البلدين وتسيطر عليها. كما ان عائلة ((جيمون)) اليهودية كانت تتولى احيانا احتكار الواردات من الجزائر الى فرنسا.

ولاعطاء صورة صادقة عن صحة هذا التبادل التجاري فاننا نورد هذا الجدول عن واردات الجزائر (1) من جهة وصادراتها من جهة اخرى قبيل تنفيذ عملية الاحتلال.

(1) ع.س.ص 310

الواردات الى مدينة الجزائر عام 1822م.

منطقة الاستيراد	البضائع	القيمة بالدولار الاسباني
فرنسا	توابل، سكر، فولاذ، اقمشة	.
انجلترا	مواد مصنعة انجليزية وهندية	500,000
اسبانيا	حرير، توابل مصنوعات المانية والجليزية	300,000
ايطاليا	حلي وجواهر	100,000

صادرات مدينة الجزائر الى مرسيليا وليفورن وجنوة

البضائع المصدرة	الوزن بالقنطار	القيمة بالدولار الاسباني
الاصواف	20,000	160,000
الجلود	10,000	80,000
الشمع	600	18000
بضائع اخرى		15000

ان دراسة موجزة للجدول الذي بين ايدينا نستنتج منها مايأتي:

أ-بدأت الحكومة البريطانية تحتل الصدارة في التبادل التجاري مع الجزائر وذلك بسبب بدء التدهور في العلاقات بين الجزائر وفرنسا خلال هذه المدة.

ب-سجل الميزان التجاري للجزائر عجزا ماليا قدره 927000 دولارا اسبانيا، وذلك بمقارنة الواردات والصادرات عام 1822م. وان من الاسباب الرئيسية لهذا العجز ضعف الاسطول الجزائري الذي ارتبط به ازدهار التجارة ونموها، ومعلوم ان اسطول الجزائر كان له القسط الاوفر في تنشيط الحركة التجارية للجزائر.

ج-لم تسجل قيمة الصادرات والواردات تقدما كبيرا، فما يكاد يطل علينا عام 1830م حتى تكون التجارة الجزائرية الخارجية لا يتجاوز رأس مالها 50 الف د ج.(1)

د-تسبب انخفاض ميزان تجارة الجزائر الى ان تستورد عام 1819م حوالي 50 الف كيلة من الحبوب (2) ورغما عن هذا العجز التجاري الفادح للجزائر فاننا نلاحظ انها اعتمدت في مبادلاتها التجارية على الاستيراد اكثر مما اعتمدت على التصدير. وربما لجأت الجزائر بسبب هذه الظاهرة ففرضت رسوما جمركية على بضائع الدول الاجنبية تقدر بحوالي 10٪ من قيمتها الشرائية.

(1) نفس المصدر . ص 312
(2) نفس المصدر ص.ن

وقد تفطن دايات الجزائر الى ان التعامل مع الخارج بالنقود والسبائك الذهبية يفضي بخزينة الدولة الى العوز والحاجة. لذلك نجدهم نادرا ما يتعاملون مع الدول الاوروبية بمثل هذا النقد ويفرضون مراقبة شديدة لمنع تسربه وتهريبه الى الخارج. وقد ادى هذا التشد د الى اثراء خزينة القصبة التي اصبحت كنوزها مضرب الامثال ومحط آمال كل الطامعين. فقد اتجهت اليها انظار قناصل بعض الدول الذين تجسسوا على ما تزخر به من اموال طائلة فمن قنصل الولايات المتحدة ويليام شالير 1822م الذي قدرها بحوالي 250 مليون دولار، الى قنصل فرنسا دوفال الذي يرى انها لاتتجاوز 150 مليون فرنك واخيرا قنصل انجلترا سان جون الذي يذهب الى ابعد من صاحبيه فيعطيها رقما يرتفع بها الى 500 مليون فرنك (1).

كانت العلاقات التجارية بين الجزائر وفرنسا وبعض بلدان اوربا خاضعة للقوانين المعمول بها فكانت مصالح هذه البلدان محمية في الجزائر يسهر عليها وعلى القائمين بها ممثلون للدول الاوروبية اعني بهم القناصل. وكان هؤلاء-القناصل يقدمون الهدايا ويدفعون هم ايضا مثل هذه الاتاوات والغرامات. (2)

وبناء على ما اورده قنصل الولايات المتحدة ويليام شالير عام 1822م فان الحكومة الفرنسية قدمت الى الدولة الجزائرية 30.000

(1) نفس المصدر. ص 337-338

(2) نفس المصدر. ص 318.

فرنك مقابل احتكارها لصيد الاصداف في خليج عنابة، كما دفع ملك نابولي جزية سنوية بحوالي 24000 فرنك وملك السويد 24000 فرنك وملك الدانمارك 24000 فرنك واخيرا ملك البرتغال 24000 فرنك ويؤكد بعضهم (1) ان كلا من البرتغال والدانمارك ومملكة نابولي، والسويد قدمت كلها ضريبة سنوية الى الجزائر قدرها 36000 فرنكا وذلك في عام 1825م.(2) وقد كانت الحكومة الفرنسية تقدم الى الجزائر الهدايا في كل مناسبة وذلك بواسطة قنصلها العام بها.

وكانت قيمة هذه الهدايا تفوق احيانا ما تحصل عليه الجزائر من السفن الفرنسية عن طريق مهاجمتها والتعرض لها في البحر. لقد جرت العادة في الجزائر ان لايلتحق القنصل الفرنسي بمقر عمله، عندما يصل اليها ، الا بعد ان يقدم الهدايا القنصلية والعوائد المتنوعة الى كل من الداي والخزناجي، وخوجة الخيل، ووكيل الحرج، وآغا المحلة، والطاهي الكبير وافراد عائلة الداي وكل حاشيته(3).

(1) اسكير قابريال، احتلال الجزائر، ص402

(2) يذكر صاحب تحفة الزائر ان انجلترا كانت تدفع للجزائر 600 ليرة انجليزية وان فرنسا تقدم هدايا ثمينة كلما تغير قناصلتها، وان الدانمارك تشتري امنها بالات ومهمات حربية قيمتها 4000ريار شنيكم الخ... راجع كتابه المذكور ص126

(3) علي حليمي عبد القادر، نفس المصدر، ص324-325.

كما اعتاد القناصلة الفرنسيون ان يقدموا مثل هذه الهدايا الى الداي في مناسبة الاعياد، وتعيينهم في مهامهم القنصلية اول مرة في الجزائر، ولا بأس ان نورد هنا بعض ما كان القناصل الفرنسيون يقدمونه الى الداي: ساعة ذهبية، بندقية، واربع مسدسات، خمس واربعين قطعة قماش من الجوخ الابيض الفاخر، وعشر قطع من الديباج القرمزي المطرز بالذهب الخالص، هذا علاوة عن قطعتي قماش اخريين واحدة حمراء والاخرى بيضاء تقدمان لكل واحد من كبراء الدولة (1). كما يقوم القنصل الفرنسي بتقديم هدايا اخرى منوعة تشتمل على علب المرطبات والفواكه المجففة والمربى الى كل افراد عائلة الداي وحاشية قصره (2)، ولن تسلم الشركات الفرنسية هي الاخرى من وجوب تقديم مثل هذه الهدايا في مناسباتها المعتادة. وقد سن لهذه الهدايا نظام خاص بها فكانت تحسب وتراقب في اثناء تقديمها، وقد يطالب الداي بعطاء اكثر. واذا كانت هذه الهدايا والسلع لا ترضي رغائب الداي ورجاله فانها تستبدل بالنقود الذهبية(3).

(1) نفس المصدر ص.ن

(2) نفس المصدر. ص.ن

(3) نفس المصدرص 326.

لقد كان لتحسن العلائق بين الباب العالي والحكومة الفرنسية، وللهدايا التي اعتاد القناصل الفرنسيون تقديمها الى الداي وحاشيته، واخيرا للامتيازات التجارية الفرنسية بالجزائر كان لها كلها اثرها الفعال في نمو العلاقات بين البلدين وتحسنها ولكنه نمو وتحسن الى حين. وقد ادى هذا التفوق السياسي لفرنسا بالجزائر على غيرها من الدول الاوروبية الاخرى الى ظهور تنافس بين كل من بريطانيا وفرنسا (1) ولما كانت العوائد (2) تمثل دخلا كبيرا لخزينة الدولة الجزائرية فقد كانت الجزائر تطالب بتبديل القناصلة الاوروبيين وعدم بقائهم في مراكز عملهم مدة طويلة لكي يتجدد دخلها بذلك. فكانت الدول الاوروبية ملزمة بتغيير قناصلتها كل عام او عامين، باستثناء الحكومة البريطانية التي يتجدد قنصلها في الجزائر على رأس كل خمس سنوات، واما فرنسا فكانت تستدعي قنصلها كل ست او سبع سنوات (3). ومما يسترعي الانتباه في هذا الصدد هو ان الهدايا القنصلية توزع على حوالي مائتي شخص بدءا بالداي وانتهاء برجال حاشيته وافراد عائلته. ولايذهب من هذه الاتاوات كلها الى الخزينة

(1) يؤكد اوقيستان برنار في كتابه. الجزائر. ص 165 ان القنصل الفرنسي بالجزائر كان يحمي الجالية اليهودية بها (اي الجزائر).

(2) سميت كذلك لان القناصل الاجانب تعودوا دفعها الى الحكومة الجزائرية كلما عينوا اول مرة في مهامهم القنصلية او وقع تغييرهم بقناصل آخرين.

(3) علي عبد القادر حليمي. نفس المصدر. ص.ن.

العامة للدولة الا النزر اليسير. لقد عاش القناصلة الاوروبيون في الجزائر فطافوا ببعض ارجائها وتعرفوا اليها والى شعبها فكتبوا عنها، ولكن كتاباتهم لم تكن تخلو من الغلو والتنكر للحقيقة. الم يصفوا سكانها بانهم قوم "ملعونون"؟.

لنستمع للقنصل الفرنسي((جون يوم)) في الجزائر يؤكد لحكومته في بعض رسائله مايأتي:

"ان هؤلاء الجزائريين لا يستحقون حتى النظرة من الفرنسيين لانهم شرسون ليست لهم آداب ولا اخلاق ولانهم مشهورون بالجهل" (1).

اما قنصل الولايات المتحدة الامريكية "ويليام شالير" فيصف الجزائريين (بقطاع الطرق والمتكبرين، وانهم آفات العالم المتحضر، يكرهون العلوم والتقدم الحضاري وانهم لايستحقون ذكرا في التاريخ" (2).

لقد كان الركن الشمالي الغربي من مدينة الجزائر حيا خاصا بالقناصلة الاجانب فكانت قنصلية فرنسا عام 1808م على بعد ثلاث كم جنوب مدينة الجزائر، (3) ثم اصبح مقر عمل القنصل الفرنسي

(1) نفس المصدر.ص 427.

(2) م.ن.ص.ن.

(3) اسكير (ESQUER)، التعرف الى مدن وقلاع وحصون الجزائر (باريس، 1927)، ص 22 .

Reconnaissance des villes, forts et batteries de la ville d'Alger.

على حوالي ثلاث كم شمال مدينة الجزائر. اما قناصلة كل من السويد، وهولندا واسبانيا والدانمارك فكان مقر اقامتهم جنوب غرب المدينة اي بحي مصطفى الحالي غير بعيد عن قلعة مولاي حسن. واما قناصلة كل من نابل، وتوسكانيا، وبريطانيا فكانت قنصلياتهم شمال مدينة الجزائر على منحدرات بوزريعة. وكانت قنصلية الولايات المتحدة الامريكية على بعد 2500 م شمال شرق مدينة الجزائر. واما قنصليتا هولندا والحكومة الاسبانية فكانتا على نحو 500و 600 م جنوب قلعة الامبراطور حسن علي يمين ويسار الطريق المؤدية الى حزيرة سيدي فرج وفي مدخل الابيار حاليا.

وكان لبعض هذه القنصليات الاوروبية دور نافذ الخطورة في عملية الاحتلال الفرنسي للجزائر فقد اقيمت بطاريات الملك شارل العاشر عام 1830م امام منازل هذه القنصليات (1) فقد اتخذ الجنرال (لوفيردو) قائد الفرقة الثانية من القنصلية الاسبانية مقرا عاما لقيادته. وكان الجنرال (دي بورمون) نفسه، وهو القائد العام للحملة الفرنسية، قد اقام صحبة اركان حربه في هذه القنصلية ذاتها وذلك صبيحة يوم 4 جويلية 1830م اي قبيل الاحتلال بيوم واحد.

(1) قابريال اسكير. نفس المصدر. ص23

2- خضوع الادارة الجزائرية للنفوذ اليهودي المالي.

كان اليهوديان: بكري المعروف باسمه المستعرب (ابن زاهوت) وبوشناق (بوجناح) يديران شبكة للتجسس على احوال المواطنين الجزائريين لفائدة الحكام العثمانيين، فكان لهما اعوان منبثون في شرق البلاد وغربها يخبرونهما عن كل مايتعلق بالسياسة والتجارة داخل الجزائر وخارجها، كما كانت الاخبار تاتيهما من بعض جواسيسهما الخصوصيين قبل ان يعلم بها البايات انفسهم. وقد استغل هذان اليهوديان ثروتهما الطائلة ونفوذهما الواسع لدى بعض الدايات فتدخلا في شؤون البلاد بل وتمكنا من زمام السلطة في بعض الوقت. وتحت رعاية بعض الباشوات مثل: حسن ومصطفى قوي نفوذهما واشتد بأسهما في مختلف القطاعات الحيوية للدولة الجزائرية. وبينما كان ابن زاهوت قد قصر نشاطه على الميدان التجاري فان بوجناح قد تسرب نفوذه الى اجهزة الدولة فكان يعين الموظفين الكبار والبايات ويعزلهم. ويؤكد بعض المؤرخين الفرنسيين ان بوجناح رفع كناسا، وهو مصطفى، الى منصب وزير المالية لكي يتسنى له (بوجناح) ان يكون رئيسا للخزينة العامة، ثم جعله بعد ذلك دايا على الجزائر ولهذا فان بعض الناس كان يطلق عليه لقب (ملك الجزائر) (1) سخرية منه وتهكما به.

(1) اسكير. احتلال الجزائر(Prise d'Alger) باريس، 1929) طب جديدة ص 20.

كان لبوجناح اتصال دائم مع الدول الاجنبية فقد كان همزة وصل بين هذه الدولة ونيابة الجزائر اذ تدخل في الازمة التي وقعت بين انجلترا والجزائر عام 1800م وبلغ به التاثير في مجال السياسة الجزائرية ان استقبل باسم الداي قناصلة كل من الدانمارك والسويد وهولندا الذين جاءوا محملين بالعوائد والهدايا القنصلية سنة 1801م (1) وذهب به نفوذه البالغ في ادارة شؤون البلاد الى ان يتكلم باسم الجزائر ويفاوض على لسانها. الم يكن الناطق الرسمي للبلاد في المفاوضات التي جرت مع البرتغال 1803م (2) وعندما اوفد الباب العالي موظفا مكلفا بمهمة لدى الداي مصطفى باشا 1804م فان بوجناح كان اول من استقبله (3).

لم يكن النفوذ اليهودي المالي مقصورا على الجزائر وحدها فقد امتد تاثير اليهوديين ابن زاهوت وبوجناح ليعم تقريبا كامل ارجاء منطقة البحر المتوسط فكان لهما مراكز تجارية ذات اهمية موزعة في اهم مدن البحر المتوسط كمرسيليا، جنوة، نابولي، إزمير، الاسكندرية، تونس، ليفورن، قرطاجنة (اسبانيا)، منطقة الراين وبلجيكا. ولان

(1) قابريل اسكير. احتلال الجزائر (ESQUER GABRIEL)
(باريس 1829م...) طب . جديدة، ص 407-408.
(LA PRISE DALGER 1830).
(2) نفس المصدر السابق. ص.ن.
(3) نفس المصدر السابق. ص.ن.

هذين اليهوديين كانا يتوافران على ترف باذخ فقد امتدت سطوتهما الى الكثير من دول البحر المتوسط نظرا الى القروض المالية التي كانا يقدمانها الى هذه الدول والوساطات التي يقومان بها لديها. (1)

استغل هذان اليهوديان الامتيازات التي كانا يتمتعان بها في الجزائر فعملا جهدهما على ان يحتكرا لفائدتهما عملية تصدير الحبوب الجزائرية. وقد نافستهما في البداية الوكالة الوطنية الفرنسية اذ كتب القنصل الفرنسي في الجزائر (فاليار) في هذا الصدد :(في حالة ما اذا واصل باي قسنطينة تموينه لليهود فانه يجب علينا ان نعمل كل مافي وسعنا للحصول على القمح مباشرة ومن غير تدخل اي كان) (2). كان اليهوديان يبيعان القمح الجزائري من 100 الى 120 فرنك للكيلة الواحدة بينما كانت الوكالة الوطنية الافريقية تتقاضاه بثمن قدره 42 ف فقط. ولما كانا يقدمان الى فرنسا كل انواع التسهيلات في الدفع فقد تراكمت ديونهما على حكومة الجمهورية الفرنسية اذ قدرت مبالغهما المالية المستحقة عليها عام 1795م بحوالي مليوني فرنك، وبسبب تضخم ثروتهما واتساع مجالات عملهما فقد استقر جاكوب في مرسيليا ثم في باريس وساعده على ذلك ان سهلت له فرنسا مهمته التجارية كما كان الداي حسين باشا يعده (مسؤولا) وتربطه به علاقة شخصية.

(1) نفس المصدر السابق.ص.ن.
(2) نفس المصدر السابق. ص.ن.

ولما اعلنت الوكالة الوطنية الافريقية عن افلاسها كتب مديرها قائلا" ((ان الازمة المالية والديون المتراكمة على الوكالة من قبل اليهود الذين يبحثون بكل وسيلة عن ابعاد الفرنسيين عن التجارة في جميع انحاء المملكة هي السبب في افلاس الوكالة التام في جميع الامتيازات)) (1).

ان ظاهرة احتكار اثرياء اليهود للتجارة الجزائرية الداخلية والخارجية منها بصفة خاصة حقيقة يجمع على التسليم بها كل المؤرخين الذين كتبوا عن حوادث هذا العصر في الجزائر ودونوا اشهر وقائعه، فهذا حمدان بن عثمان خوجة يسرد على مسامعنا ما يأتي: ((... وفي ذلك قد حدثني احد البولوكباشيين (الذي كان يرأس حامية عنابة) بان كمية القمح التي صدرت الى اوربا في تلك السنة ارتفعت الى ست وتسعين حمولة (مركبا).... وفي نفس تلك السنة قد صدرت من ميناء وهران ايضا مائتان واربعون الفا من صيعان القموح التي اشتراها هؤلاء اليهود بقيمة لاتتجاوز ستا من الفرنكات للصاع الواحد. وكان البايات مجبرين على ارضاء هؤلاء اليهود لانهم قد كانوا محميين بالباشا فقليل من مثل هذه السنوات يكفي للقضاء على جميع ثروات بلادنا الجميلة)). (2).

لقد نال اليهوديان ابن زاهوت وبوجناح حظوة كبيرة يحسدان عليها

(1) نفس المصدر. ص.ن.
(2) محمد بن عبد الكريم (المرآة) جريدة الشعب، عدد 2589 (5 افريل 1972)

حتى ان الانجليز انفسهم كانوا يتقربون منهما في التوسط لدى الداي قصد منعه من بيع الحبوب للحكومة الفرنسية التي كان الحصار الاوربي مضروبا عليها باحكام، وقد انقاد اليهوديان للانجليز في تدبيرهم اول الامر ولما لم ترجح كفة احد الطرفين (الانجليزي والفرنسي) فقد عمد اليهوديان لسياسة اللعب على حبلين فتحصلا من الداي على ترخيص ببيع الحبوب للحكومة الفرنسية. (1).

واتبع اليهود سياسة متلونة متعفنة تهدم على ارضية نفاقها هذا الجسر الذي كان يربط القمة الحاكمة في الجزائر بأفراد الشعب ربطا قويا . وقد ادى هذا التقارب النفعي بين اثرياء اليهود وبعض باشوات الجزائر الى اختلال عام في التوازن بين القاعدة الشعبية والحكام العثمانيين، بل كان ذلك ايذانا باندلاع ثورة دامية على هؤلاء اليهود وبعض الدايات.

ولم يكن هذا التدخل اليهودي في شؤون البلاد الداخلية وليد المصادفة بل كان امرا مبيتا يستهدف امتصاص دماء الشعب وابتزاز خيراته.

اليست قرارات عزل البايات وكبار الموظفين ترمي لان تجعل خزينة الداي تعج بالاموال الطائلة؟. فقد جرت العادة ان تصادر املاك كل باي يعزل من منصبه او يوقف عن العمل وبهذه الوسيلة يصرف الداي

(1) مبارك بن محمد الهلالي الميلي. تاريخ الجزائر في القديم والحديث. ج. 3.ص 248.

عن مطالبة اليهوديين بدفع ما كانا يجمعانه من ثروة. (1)

لقد ادت عملية احتكار اليهوديين ابن زاهوت وبوجناح للتجارة في القمح والحبوب بالشرق الجزائري الى ارتفاع الاسعار وبالتالي الى انتشار المجاعة في اوساط الشعب فعم السخط والتذمر اوساط الرأي العام الذي حمل الداي مسؤولية هذا الوضع واتهمه بالتواطؤ مع اليهوديين باقتسامه ارباح التجارة في القموح معهما كما اتهم اليهوديين بالتحكم في زمام الدولة وادارة دفة الحكم في البلاد. (2).

ان فكرة نشوب الثورة على الداي وعميليه اليهوديين باتت امرا وشيك الوقوع وهو ما جرى فعلا، ففي اواخر جوان 1805م كانت مدينة الجزائر مسرحا لحوادث دامية وقعت على الصورة الآتية:

بينما كان اليهودي بوجناح خارجا من قصر الجنينة في الصباح ناداه احد الجنود الانكشاريين ((ملك الجزائر))، ثم هجم عليه فارداه قتيلا. ولما سارع حراس قصر الداي الى مكان الحادث شاهرين سيوفهم اجابهم الجندي بقوله: "لقد قتلت اليهودي، فهل انتم كلاب اليهودي؟" (3)

عندئذ اخلى القوم سبيله بل حملوه على الاكتاف. ولما انتشر الخبر

(1) نفس المصدر. ص. 249.
(2) نفس المصدر.ص. 251.
(3) نفس المصدر.ص. 252.

في المدينة فقد خشى الداي مصطفى باشا على نفسه ان تتحول موجة الغضب هذه على اليهوديين الى ثورة عليه فعمل جهده على ترضية الخواطر ومحاولة اسكات الاصوات التي راحت تطالب بالبحث عن اليهود الذين قتل منهم في هذه المرة خمسون يهوديا كما يؤكد ذلك بعض المؤرخين المعاصرين (1). وازاء هذا المأزق الذي آل اليه الوضع العام فقد لجأ الداي الى فتح خزانة القصبة لتفريق الذهب على الجنود الانكشاريين، كما انه نفي عددا من اليهود الى تونس وقطع على نفسه العهود والمواثيق بانه لن يقبل في المستقبل اي يهودي في قصره بالجنينة. غير ان هذه الالتزامات كلها من جانب الداي لم تكن لتفيده في شيء اذ عين اليولداش دايا جديدا هو احمد خوجة الخيل. وكان هذا الاخير قد عزله اليهودي بوجناح من منصبه كداي قبل ذلك (2).

وليفتدي الداي مصطفى باشا نفسه فقد اذن لليولداش ان ينهبوا مدينة الجزائر على ان يسمحوا له بالذهاب الى المشرق، ولكن اليولداش رفضوا طلبه فقتله الجند بعد شهرين من انتشاب هذه الثورة وسحبوا جثته امام باب عزون وذلك في شهر اوت من عام 1805م (3) بينما كانت هذه الحوادث المسلحة تجري على اشدها في

(1) الحاج المهدي البوعبد لي، (موقف المؤرخين الاجانب من تاريخ الجزائر عبر العصور)، الاصالة، العدد 14 و15 (ماي-جوان-جويلية-اوت، 1973م). ص 137.
(2) مبارك بن محمد الهلالي الميلي. نفس المصدر.ص. 252.
(3) نفس المصدر ص.ن.

مدينة الجزائر كان اليهودي ابن زاهوت مهتما بتصدير الحبوب في مدينة عنابة.

لم يقتصر احتكار اليهوديين على تجارة الحبوب فقط بل امتد امرهما الى كل القطاعات الحيوية في البلاد فسيطرا على مورد هام في ازدهار اقتصاد الجزائر والحفاظ على حريتها اعني بذلك "الاخشاب" التي تنهض عليها صناعة السفن والبواخر، وفعلا فقد تأتي لليهوديين ابن زاهوت وبوجناح ان يسيطرا على بيع الاخشاب في كامل المنطقة الممتدة من بجاية الى نواحي القل. وقد تم لهما ذلك بموجب ترخيص تحصلا عليه من الداي مصطفى باشا عام 1799م. وكان من نتيجة احتكار بعض اليهود للتجارة في هذه المادة ان شهدت البحرية الجزائرية ضعفا عاما في اجهزتها الدفاعية وعرف الاسطول الجزائري الذي طالما ارهب اساطيل بعض دول اوروبا واقتادها الى ((المحروسة)) او ((ارض الجهاد)) (1) اسيرة ذليلة تدهورا في هياكله العامة. فقد كانت البحرية الجزائرية تدفع لليهوديين اثمانا باهظة على الخشب محددة حسب التسعيرة التي ضبطها الداي حاج مصطفى عام 1702م مضافا اليها عشرون في المائة (2) ولما كانت هذه التجارة محرمة على اي كان الا على اليهوديين فقد حددا لها ثمنا منخفضا جدا لم يتعود المحتطبون من الاهالي البيع بمثله مما ادى بالتالي الى كساد هذه التجارة بل الى تركها نهائيا

(1) هي مدينة الجزائر كما كانت تسمى بذلك في العهد العثماني. الكاتب.
(2) المصدر السابق. ص321.

فقلت الاخشاب، وبالتالي ضعفت البحرية الوطنية ولذلك فان مصدرا هاما من مصادر قوتها وازدهار صناعتها قد نضب معينه .

كان اليهوديان ابن زاهوت وبوجناح يرأسان الطائفة الاسرائيلية في الجزائر ويحتكران تجارتها وكان ينافسهما في ذلك اليهودي "داود دوران" الذي كان له نصيب الاسد في المصير الذي آل اليه امر صاحبيه، ولكن بسمة الايام لم تكن طويلة لدوران اذ سرعان ما استعاد يوسف بكري مجد العائلة الغابر وتهيأ لابنه داود ان يرأس الطائفة اليهودية بدلا من دوران الذي بقي يكيد لصاحبيه الى ان جردهما من سلطتهما. ففي 4 فيفري عام 1811م قطع رأس بكري في ساحة الجنينة بأمر من الديوان لانه تدخل في شؤون البلاد عندما سعى لدى الباب العالي الى الحصول على امر بخلع الداي الحاج احمد (1) وحل دوران محل داود بكري ليبقى (دوران) ثمانية شهور في سلطته. فقد ثار منه يوسف بكري الشيخ العجوز لابنه داود، ولكن سلطة اليهودي العجوز لم تدم طويلا كذلك، لان عمر آغا نفاه من الجزائر عام 1816م ليستقر في مدينة ليفورن بايطاليا(2) والى هنا كان آخر من تولى السلطة في الجزائر عن اليهود وتجارتهم هو يعقوب

بكري الذي كان ممثلا لتجارة اليهود الجزائريين في باريس والذي اصبح فيما بعد زعيما للطائفة اليهودية ومسيرا لشؤون تجارة اسرة بكري في الجزائر.

(1) المصدر السابق. ص252.

(2) د/ابو القاسم عبد سعد الله. تاريخ الجزائر الحديث.ص 14.

3- قصة ديون بكري وبوشناق:

وقصة تدخل اليهوديين بكري وبوشناق (ابن زاهوت وبوجناح) في العلاقات بين الجزائر وفرنسا كان لها اسوء الاثر في تأزم هذه العلائق التي بدأت بالحصار ثم بتجريد الحملة وانتهت اخيرا الى الاحتلال المسلح. وان تسليط الاضواء الكاشفة للتعرف إلى بعض خيوط هذه القصة يبرز لنا بجلاء حقيقة الدور الخطير الذي اداه هذان اليهوديان اللذان اثريا على حساب الامة وتدخلا في شؤون البلاد فباتا وكأنهما الأمران الناهيان حتى لقب احدهما بـ(ملك الجزائر) (1) هو ميشيل كوهين بكري المعروف باسمه المستعرب (ابن زاهوت).

كان ابن زاهوت تاجرا في مدينة ليفورن بايطاليا قبل ان يفتح مركزا تجاريا في مدينة الجزائر عام 1770م. وكانت بدايته التجارية في الجزائر متواضعة لكنها سرعان ما اخذت تنمو وتزدهر حين انضم اليه بعض اليهود امثال اخوته (مردخاي، سليمان، ويعقوب وابنه داوود) وصهره نافتالي الذي يعرف هو الآخر باسمه المستعرب (بوجناح).

كان بوجناح من اسرة ذات مركز تجاري في مدينة ليفورن بايطاليا قدمت الى الجزائر هي الاخرى عام 1723م وكانت بدايتها التجارية

(1) هو بوشناق الذي قتله احد الانكشاريين عام 1805م. الكاتب.

متواضعة كذلك، وسبب ثروة بوجناح الطائلة يعود اساسا الى التعفن الاجتماعي الذي شاع في ايام حكم العثمانيين في الجزائر.

فقد حكى بعض المؤرخين (1) ان باي التيطري (1775-1795م) مصطفى بن الوزناجي اعتزل الناس خوفا من غضب الباشا عليه في اثناء احدى رحلاته العادية التي كان يقوم بها الى الداي في مدينة الجزائر على كل رأس كل ثلاث سنوات فلجأ الى مخبإ حيث لم يكن احد من الناس يجرؤ على الذهاب اليه. وقد كان بوجناح هو الشخص الوحيد الذي ساعده بما يحتاج اليه من مال وتشجيع.

كما حكي شاهد ان بوجناح اقرض ابن الوزناجي "مبلغا عظيما من المال كان الامل في رده ضعيفا"(2). وقد صادف ان عين مصطفى ابن الورناجي بعد ذلك بايا على قسنطينة فلم ينس لليهودي فضله عليه. وبذلك فقد اصبح بوجناح رجل اعمال الباي ومحل ثقته، وبالتالي بات نفوذه عليه قويا. اما عن سبب ازدهار تجارة بكري وبوشناق فلذلك قصة لا تخلو من طرافة ومن عبرة ايضا فقد اراد باي قسنطينة ابن الوزناجي ان يقدم هدية ثمينة الى زوجة الداي فطلب من بوجناح ان يأتيه بحلية كريمة تعرف محليا بـ (الصريمة)، فجاءه هذا بصريمة

(1) اسكير قابريال: احتلال الجزائر. ص405-406. ويؤكد هذه القصة غيره. انظر ابو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الحديث. ص10

(2) اسكير. نفس المصدر.ص 405-406.

مبلغها 30،000 فرنكا، ولما لم يكن الباي يستطيع دفع الثمن نقدا فقد اتفق مع اليهودي بوجناح على ان يسدد له الثمن قمحا على حساب اربع فرنكات للكيلة الواحدة. وبذلك يكون بوجناح قد اكتال 75،000 كيلة من القمح باعها في باريس بخمسين فرنكا للكيلة الواحدة فحقق بذلك ربحا قدره 30450،000 فرنكا بينما لم تكلفه الصريمة التي اشتراها من باريس سوى 30،000 فرنكا. وقد روي هذه القصة واكدهاشاهد عيان هو حمدان بن عثمان خوجة الذي اورد في هذا الصدد بالحرف الواحد (1): "وبعد ان تمت عملية الحصاد اجتمع لدى البكريين كمية من القمح تقدر بخمسة وسبعين الفا من المكاييل او الصيعان اشتروها من الداي باربع فرنكات للمكيال الواحد الذي لم يكلفهم سوى اربع فرنكات وبذلك تكون هذه الصفقة التجارية قد درت على اليهود البكريين ارباحا طائلة تقدر بثلاثة ملايين وخمسة وسبعين الفا من الفرنكات. ومما يذكر في هذا الشأن ان الحلية صنعت في باريس وان قيمتها لم تكن لتتجاوز ثلاثين الفا من الفرنكات ولايفوتنا ان نلاحظ ان الحبوب الجزائرية عندما باعها اليهود الى فرنسا كان الانجليز يحاصرون هذه الاخيرة". ويستطرد حمدان خوجة في سرد تفاصيل هذه القصة فيقول: "وهذا الشريك هو الذي حدثني بهذه التفاصيل فهذه الاموال هي منبع احد الاسباب الرئيسية

(1) محمد بن عبد الكريم (المراة)،
جريدة الشعب، عدد 2589،
(5 ابريل 1972م).

لتعاسة حرب فرنسا على الجزائر وهي الوسيلة التي توصل بها اليهود الى جمع ثروتهم على حساب خسارة جميع سكان الايالة".

ويتهم بعض المؤرخين (1) التجار اليهود بالتطفيف والغش والتعاون مع البحارة الجزائريين وتحريضهم على اختطاف السفن الفرنسية المحملة بالحبوب، والتعرض لها في مياه البحر المتوسط وذلك لاعادة بيعها عدة مرات الى الحكومة الفرنسية. كما كان لابن زاهوت وبوجناح عملاء في باريس بل في بعض مكاتب الادارة الفرنسية ذاتها. وقد كان هذان اليهوديان اللذان يمونان الانجليز كذلك بحبوب الجزائر في مستعمرة جبل طارق ما ينفكان يظهران"الاخلاص التام والتعلق الشديد بالامة الفرنسية"(2)

ولان اليهوديين ابن زاهوت وبوجناح كانا لايتصفان بروح تجارية نبيلة فقد رفضت حكومة الادارة الفرنسية عام 1797 م تسديد مالهما من ديون عليها. وقد كتب وزير خارجية فرنسا (دولا كروا) في هذا الوقت يقول:

"عندما نرفض دفع المبالغ الى هؤلاء اليهود فاننا نمنعهم من اللعب بمصالحنا ونضطرهم الى تغيير عملياتهم المزيفة مع الانجليز الذين يعاملونهم بكل احترام" (3)

(1) اسكير. المصدر السابق. ص. 408-409.
(2) اسكير. المصدر السابق.ص.ن.
(3) اسكير. المصدر السابق.ص.ن.

وبناء على هذا فقد اقتنع اليهوديان بضرورة سيطرتهما على شخصية فرنسية ذات نفوذ قوي لقضاء مأربهما واداء ديونهما المعطلة في باريس. وفعلا فقد اتصل ابن زاهوت بوزير الخارجية الجديد تاليران (وكان خلف دولاكروا في 16 جويلية عام 1797م)، وعن خيوط واهداف هذا الاتصال قال ابن زاهوت:"اذا كان هذا الاعرج (يقصد تاليران) ليس في يدي فانني لا اعتمد على شيء"(1) . وفعلا فقد توصل تاليران الى ان يقنع حكومته بوجاهة رأيه عن الديون الجزائرية التي بدت فجأة ديونا لاجدال في احقيتها.

ولما كان اليهوديان مدينين لحكومة الجزائر بمبلغ 300.000فرنكا وكانا لا يستطيعان تسديد هذه القيمة للداي فقد طلبا منه ان يتدخل لدى الحكومة الفرنسية لجعل حد لهذه القضية. عندئذ كتب الداي مصطفى باشا في 17 سبتمبر 1798م رسالة الى تاليران جاء فيها على الخصوص: "عندما كانت الجمهورية في امس الحاجة الى المواد الغذائية فانها لم تجد الا قليلا من الافراد الذين كانت لهم الشجاعة الكافية للمخاطرة بأموالهم وقد آن الاوان لرد الجميل من طرفكم بتسديد ديون بكري وبوشناق ليمكنهما دفع ما عليهما تجاه النيابة". وقد نتج من هذه المراسلة المكتوبة من حكومة الجزائر الى الحكومة

(1) اسكير. المصدر السابق.ص ن.

الفرنسية ان تطورت مسألة دين اليهوديين من قضية رعايا دولة الى مشكلة اصبحت تتعلق بدولتين فرنسا من جهة والجزائر من جهة اخرى.

ولهذا اقتنعت الحكومة الفرنسية بان صفاء العلاقات بين البلدين لن يتحقق الا بتصفية ديون اليهوديين اللذين كان مبعوثهما وممثل تجارتهما في باريس (سيمون ابوقية) قد قدم الى الحكومة الفرنسية مذكرة عن الدين الذي ارتفع الى 2.297.445 جنيها .(1) وقد اقترح وزير مالية الداي مصطفى ان يكون الدفع اقساطا 150.000 فرنكا كل نصف شهر، ولكن حالة الحرب بين الجزائر وفرنسا حالت دون تنفيذ الاتفاق المبرم بين الطرفين.

وفي هذه الاثناء قدم ابن زاهوت وبوجناح صفقات تموين اخرى كبيرة الى جيشي كل من ايطاليا ومصر كما طلبت منهما ذلك حكومة الادارة الفرنسية. كما ان ممثليهما (يعقوب بكري وسيمون ابوقية) قد اعتقلتهما السلطات الفرنسية على اثر هذه الحرب بحجة انهما من الرعايا الجزائريين. ثم اطلق سراحهما بعد ان سوي هذا النزاع المسلح وقد عمد اليهوديان الى المطالبة بديونهما من جديد. وكان

(1) تذكر بعض المصادر الاخرى ان الدين ارتفع الى 445، 3.377 فرنكا انظر ابو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الحديث.ص 13.

حسابهما في اثناء السنتين الاخيرتين قد ارتفع الى خمسة ملايين ونصف. (1) كتب تاليران وزير خارجية فرنسا الى «لاندي» وزير المالية في 24 اوت من عام 1800م عن الديون :"ان علاقاتنا الحالية مع النيابة تضطرنا الى اظهار نياتنا الحسنة ازاء اليهود. ان هذه القضية ليست قضية شخصية بقدرما هي قضية بين دولتين (يقصد بذلك دولة فرنسا ودولة الجزائر).ان هؤلاء اليهود يستحقون الاحترام. ان عاهلهم ينظر اليهم كذلك واننا نخاف ان يعكر قلقهم صفو المبادئ والنيات الحسنة التي اظهرها لهم وقد فوجيء نابوليون عندما وصل الى سمعه خبر هذه المذكرة من وزير خارجيته تاليران الى وزير ماليته لاندي. ذلك ان لتاليران مكانة مرموقة عند نابوليون بحيث ان "كل مايعرفه نابوليون يعرفه تاليران والعكس بالعكس، اللهم الا مسألة واحدة كان يعرفها تاليران ولا يعرفها نابوليون وهي علائق تاليران مع التاجر اليهودي جوزيف بكري". (2)

(1) يؤكد ابو القاسم سعد الله ان الدين بلغ خلال هذه المدة 8151.000 نفس المصدر ص.ن.

(2) الحاج المهدي البوعبد لي. (موقف المؤرخين الاجانب من تاريخ الجزائر عبر العصور). مجلة الاصالة. عدد 14 و15، (شهر ماي-جوان-جويلية-اوت 1973م) ص 134-135.

ويذكر اسكير (1) ان ابن زاهوت وبوجناح قبضا من اصل 7,942,992 مبلغ 3175631 فرنكا، ومع ذلك فانهما رفضا دفع اي مبلغ الى الداي مما قبضا من الحكومة الفرنسية. وغني عن التذكير ان الداي هو الذي حمل فرنسا بمساعيه الشخصية على ان تدفع ما عليها من ديون لليهوديين ابن زاهوت وبوجناح.

وفي 12 اوت من عام 1802م كان الداي مصطفى باشا يطالب فرنسا من جديد بقوله: "اطلب منكم ان تعطوا الاوامر لانهاء مشكلة ابن زاهوت وبوجناح، لان جزءا كبيرا ونصيبا هاما من هذه الديون هو ملكي" (2). وبعد ذلك طالب اليهوديان بمبلغ 8151,000 فرنكا تسلما منها تسبيقا بحوالي 1200,000 فرنكا، وفي هذه المرة كذلك فان الداي لم يأخذ اي قسط من ديونه على اليهوديين اللذين انخدع لهما الجميع وانطلت حيلهما على كل الاطراف "ففي هذه القضية نجد الحكومة الفرنسية ودائني الشركة اليهودية بل حتى اعضاء الشركة اليهودية (وهم كلهم من اسرة بكري وبوشناق) كلهم خدعهم جوزيف بكري الذي كان يتظاهر بالبلادة" (3) وقد كان. الامير سيكست دي بوربون" اصدق من عبر عن هذه الفقرة بقوله: "كلهم خدعوا ماعدا تاليران". (4)

(1) اسكير. المصدر السابق.ص 409-410.
(2) اسكير. م.ن.ص.ن.
(3) الحاج المهدي البوعبدلي. المصدر السابق.ص 135.
(4) الحاج المهدي البوعبدلي. م.ن.ص.ن.

كان اليهوديان ابن زاهوت وبوجناح يعدان الداي دائما بتسديد ديونه عندما يقبضان مستحقاتهما من الحكومة الفرنسية. وفي عام 1820م أعلن للداي ماياتي:

"ان الحكومة الفرنسية قد نفذت جميع التزاماتها بعد اتفاقية 28 اكتوبر عام 1819"(1) ولما طال انتظار الداي فانه تساءل: "لماذا لاتنتهي هذه القضية"؟.

وكان جواب الحكومة الفرنسية عن ذلك هو التذرع بالروتين الاداري وما ينتج منه من طول المدة لدراسة الملفات المعلقة في المحاكم. وقد اقتنع الداي شيئا فشيئا بعدم صحة وجدوى هذه الاعذار. ومما زاد في قلق الداي وكثرة تململه وتشككه هو العجز المالي الذي كانت حكومته تعانيه والذي قدر آنذاك بحوالي 2 مليون ونصف المليون فرنك. وعندما جددت الحكومة الفرنسية امتيازاتها التجارية في الجزائر في عام 1807م فان الداي رفع الجزية السنوية من مبلغ 108.000 فرنكا في عام 1807م الى 220،000 فرنكا هذه المرة. وعندما امتنع الوكيل الانجليزي من مغادرة دار الوكالة في عنابة بسبب هذا التقارب الجديد بين الجزائر وفرنسا. فان الداي حسين اكد لبعض خواصه انه لايستطيع ان يغضب كلا من الفرنسيين والانجليز وانهم كلهم اصدقاؤه على السواء. طلب الداي من الحكومة

(1) اسكير قابريال المصدر السابق .ص 52.

الفرنسية ان يتولى هو نفسه لامحاكمها تسديد الديون التي على يعقوب بكري الى اصحابها. وغني عن القول ان ديون اليهوديين على فرنسا وقع تخفيضها عدة مرات الى ان استقرت اخيرا على سبعة ملايين فرنك. وبعد فترة من الزمن كتب الباشا حسين (داي الجزائر) عن هذا الموضوع رسالة الى الحكومة الفرنسية ولكن هذه الاخيرة لم ترد عليها.

وكان وزير خارجية فرنسا عندئذ هو البارون دي داماس الذي ادعى انه لم يهضم طلب الباشا "مادام سلفه قد وافق على ان تدفع فرنسا مباشرة الى بكري"(1) ولهذا اكتفي دي داماس برد شفوي الى الداي حمله اليه القنصل الفرنسي بالجزائر مفاده ان التأخير في دفع الديون سببه تعدد القضايا المعلقة في المحاكم وبناء على هذا الرد فقد اقتنع الداي بان القنصل الفرنسي يدفع له الاجر بالكلام. وفي عام 1824م ترتب دين على بكري مبلغه 15280 قرشا ابي ان يرده الى صاحبه القنصل الانجليزي، ولم تكن هذه هي التهمة الوحيدة التي يتهمه بها القنصل المذكور. ففي عام 1812م استولى بحارة فرنسيون على باخرة تابعة للشركة اليهودية محملة بالحبوب وقعت مصادرتها في الابان. وقد اصدر الداي اوامره بدفع 150.000فرنكا كتعويض لبكري الذي رفض ان يقتسم هذا التعويض مع شريكه المواطن الانجليزي (سجيكووش) مما حدا بقنصل الحكومة البريطانية الى ان

(1) د/ابو القاسم سعد الله. المصدر السابق.ص 19.

يتدخل في القضية وبالتالي الى ان يصدر الباشا حسين داي الجزائر اوامره بسجن يعقوب بكري لعدم وفائه برد هذا الدين، وذلك في غشت عام 1826م. كما اجبر الداي يعقوب بكري على ان يتخلى له -اي للباشا- عن ديونه التي يدعيها على حكومة سردينيا، واسبانيا وفرنسا (1).

ولذلك طلب الداي من الحكومة الفرنسية ان تستدعي قنصلها دوفال وتستبدله بشخص آخر يعمل جهده على تطوير وتحسين العلاقات بين البلدين. كما طلب الداي من فرنسا ان تسدد الديون مباشرة اليه وليس الى يعقوب بكري.

وكان يعقوب بكري قد احاط الداي علما ان القنصل الفرنسي دوفال تلقى منه رشاء بمبلغ مليوني فرنك ليتدخل لدى حكومته لدفع الديون التي عليها لليهوديين فزاد هذا في عدم ثقة الباشا حسين في نزاهة دوفال، وتهمة اخرى اشد خطورة من هذه وجهها الداي الى القنصل المذكور هي إخفاؤه رد حكومته المكتوب على رسائل الباشا المتعلقة بقضية الديون؛ هذه التهمة كان لها اسوأ الآثار في تغذية سوء التفاهم بين الرجلين (الداي حسين والقنصل دوفال).

وبعد ان زج بيعقوب بكري في السجن في الجزائر فانه كتب الى وزير خارجية فرنسا البارون دي داماس يطلب منه ان يصفي حساباته المالية القديمة مع ممثله التجاري نيكولا بليفيل. كما يطالب

(1) د/سعد الله. م.ن.ص.ن.

منه ان يبعث اليه بكل سرعة وبوسائله الخاصة كل المبلغ المالي الناتج من هذه الحسابات المستحقة على الحكومة الفرنسية. ويؤكد يعقوب بكري لوزير الخارجية الفرنسي في هذا الصدد ان موضوع الديون لايهمه الا هو شخصيا (اي بكري).

وبعد شهرين اعلن الداي للقنصل الفرنسي دوفال بأن يرسل اليه في الحين جميع المبالغ المالية الناتجة من ديون بكري على الحكومة الفرنسية واذا رفض الوزير (يريد وزير المالية الفرنسي) ان يدفع هذه المبالغ فيجب عليه ان يكتب سبب الرفض، وفي حالة عدم الدفع او الرد المباشر فان الجزائر ستتخذ ماتراه صالحا للوصول الى الهدف. وقد استخلصت الحكومة الفرنسية ان هذه الجملة الاخيرة هي انذار يجب عليها ان تستعد لمجابهة اخطاره.

وبدلا من ان تعين الحكومة الفرنسية ممثلا جديدا لها في الجزائر وتكتب الى الداي لتطمئنه عن ديونه المتراكمة عليها فقد لجأت الى التهديد والوعيد اذ ارسلت القبطان (فلوري) الى الجزائر على رأس الباخرة الحربية (لاقالاتي) في 29 اكتوبر 1829م تطالب الباشا بدفع تعويضات عما لحق البواخر الفرنسية والبابوية من خسائر واضرار (1). كان فلوري (FLEURY) محملا بوثيقة هذا بعض ما جاء فيها: "ان حكومة صاحب الجلالة تعلن ان العودة الى مثل هذه

(1) اسكير، المصدر السابق، ص58.

التصرفات تعرقل العلاقات بين البلدين بلاشك، وفي هذه الحالة فان سموكم هو المسؤول عن العواقب الوخيمة التي تنتج من هذه التصرفات (1)". وفي اليوم ذاته الذي تلقى فيه الداي حسين باشا وثيقة الضابط فلوري فانه بادر هو الاخر بالرد على هذه الوثيقة فوجه خطابا الى وزير خارجية فرنسا دي داماس كلف هذه المرة قنصل حكومة "نابل" بتبليغه الى باريس بدلا من قنصلها دوفال الذي اصبح الداي لا يثق فيه ويصفه بانه مملوء بـ"الحيل والاكاذيب(2)". واليك بعض فقرات مما ورد في هذه الرسالة: "انني لا استطيع ان ارى هذا الانسان الكذاب عندي وقد حاولت عدة مرات ان اضعه فوق باخرة واطرده من عندي، وقد تحملت كل هذا من زمن بعيد من اجل العلاقات الحسنة التي تربط بين الجزائر وفرنسا منذ امد طويل. ان فرنسا هي الامة الوحيدة التي لنا علاقات ودية معها من بين الدول. اطلب من سموكم ان تقدموا احتراماتي الى صاحب الجلالة الملك وتطلبوا منه ان يأخذ هذا كله بعين الاعتبار فيأمر هذا الخسيس بمغادرة الجزائر ويعين بدلا منه قنصلا آخر مستقيما (3). وقد تكررت مطالب الداي باستبدال القنصل دوفال وحقه المشروع في الديون على

(1) اسكير. المصدر نفسه. ص.ن

(2) اسكير. م.ن.ص.ن.

(3) اسكير. م.ن.ص 59.

فرنسا فألقى هذه المرة جوزيف بكري في السجن "حتى تسدد جميع ديونه الى الخزانة العامة بالجزائر او المواطنين"(1) ولم يكن الداي حسين باشا يخفي شكوكه البالغة في القنصل الفرنسي فقد قال في هذا الصدد ما يأتي: "لقد علمت من بكري انه واعد قنصلكم دوفال والسيد نيكولا بليفيل مبلغا ماليا قدره مليونان، وذلك ليمكنه (بكري) حيازة مبلغ سبعة ملايين" .(2). ثم يستطرد الباشا في رسالته الى الوزير الفرنسي طالبا منه "بأن يرجع دوفال المليونين المذكورين اللذين تحصل عليهما بطريقة سيئة لان القنصل لايمكن ان يكون خائنا لحكومته ولا ان يبيعها بالمال". كما طالب الداي حسين ايضا "بجميع الدراهم التي بقيت في الخزانة الفرنسية والتي يملكها بكري اي سبعة ملايين (3)".

واما عن موضوع البواخر البابوية فقد ابدى الداي دهشته لهذه المسألة التي لم تقدم الى الحكومة الفرنسية على وجهها الصحيح. ذلك ان الداي كان قد اعطى اوامره عام 1825م الى رياس البحر الجزائريين بوقف كل اعتداء على هذه السفن ولكن بشرط ان "تبعث الحكومة البابوية مبعوثا للاتفاق بشأن معاهدة سلم وتقديم الهدايا القنصلية التي جرت بها العادة (4)". وقد اعرب الداي عن سلامة

(1) اسكير. م.ن.ص.ن.
(2) اسكير. المصدر السابق. ص.ن.
(3) اسكير. م.ن.ص.ن.
(4) اسكير. المصدر نفسه. ص 60.

طويته في تطوير العلاقات لمصالح البلدين فأطلق سراح ثلاثة عشر سجينا بابويا وذلك عقب زيارة الباخرة الفرنسية لاقالاتي (LA GALATIE) وينسب بعض الكتاب الفرنسيين الى القنصل الفرنسي دوفال سبب التصدع في علائق البلدين اذ يحمله مسؤولية غلطة كل ما حدث فيقول : "واذا كانت الحكومة الفرنسية غير مطلعة على الامر فان الغلطة ترجع الى دوفال".(1)

وانتهى الامر اخيرا بالداي حسين الى ان يطالب الحكومة الفرنسية باستدعاء قنصلها في الجزائر وفي هذا الشأن فقد ناشد الباشا الحكومة الفرنسية بقوله: "اذا جاء قنصل جديد ذو عقل ثابت فاننا سنمد له كل العون نظرا الى ان فرنسا هي الدولة التي لها معنا اتصال دائم كما اظهرت ذلك منذ زمن بعيد"(2).

وفي باريس يظهر ان رسالة الداي حسين قد قوبلت بامتعاض شديد يتجلى ذلك من الرد الذي اعده دي داماس وزير الخارجية فقد جاء فيه: "ان الحكومة الملكية لاتستطيع ان تسلم المبالغ المودعة في الصندوق الا بعد ان تصفي هذه المبالغ من جميع الضرائب. وقد علق كاتب فرنسي على فحوى هذا الرد بقوله: "وبعد هذا فان وزيرنا للخارجية اخذ يدافع عن قنصلنا بقوله: "انني لا استطيع ان افسر طلباتكم وشكواكم بالسيد دوفال ان لم اكن اظن ان هذا كله من نسج

(1) اسكير. م.ن.ص.ن
(2) اسكير. م.ن.ص.ن

بعض اعدائه . ان صاحب الجلالة يستنكر الاتهامات الموجهة الى موظف له حكمة وخبرة واخلاص، ولايمكن ان يكون الا مشمئزا من التهديدات التي ابديتموها بطرد القنصل الفرنسي اذا لم تستدعه الحكومة الفرنسية"(1). واخيرا فان الوزير الفرنسي يطالب حكومة الداي بدفع تعويضات عن الخسائر والاضرار التي لحقت فرنسا، كما يطالب الجزائر بوجوب معاقبة كل الذين تسببوا في اهانة البواخر الفرنسية، واعادة جميع المبالغ والممتلكات المصادرة، كما يطلب من الداي ان يمنع الرياس الجزائريين من زيارة وتفتيش السفن الفرنسية، ودفع تعويضات السفن التي استولى عليها رجال البحر الجزائريون، والتزام الجزائر بعهد (مجاني) يقضي باحترام السفن البابوية.

واخيرا فان الحكومة الفرنسية تضيف الى هذه القائمة الطويلة من المطالب المجحفة شرطا آخر هو اعادة العلاقات مع قنصل فرنسا "علاقات ودية مثيلة للعلاقات مع فرنسا والنيابة"(2). واذا لم تلتزم الحكومة الجزائرية تنفيذ هذه المطالب الظالمة "فان الملك مقر العزم على ان يعيد كرامته التي لحقتها الاهانة وان يستعمل القوة لرد العدالة، تلك القوة التي وضعها الله بين يديه"(3). وعندما قدم هذا الرد الى

(1) اسكير. المصدر السابق.ص 61.
(2) اسكير. المصدر السابق.ص.ن.
(3) اسكير. م.ن.ص.ن.

مجلس الوزراء الفرنسي فقد قرر ان يعطي وزنا اكبر لمطالب القنصل دوفال فدعمه بان ارسل الى الجزائر اسطولا حربيا اقلع من مدينة طولون في بداية شهر ابريل 1827م. وبذلك احس دوفال انه اصبح في مركز القوة.(1).

4-نابوليون بونابارت والجزائر:

عندما كان نابوليون بونابارت في طريقه الى مصر لغزوها عام 1798م فانه استولى على جزيرة مالطة حيث طرد منها منظمة فرسان القديس يوحنا(2) وحرر العبيد المسلمين فيها، وعاقب جمهورية البندقية فضمها الى حكومة النمسا، واعتق اخيرا رقاب الرقيق المسلمين في مدينة ليفورن وجنوة. وقد ارسلت الحكومة الفرنسية مذكرة دبلوماسية الى حكومة الجزائر تحدثت فيها عن هذه الانتصارات.(3). وكان لتلك الانتصارات على المسيحيين صداها البعيد في الجزائر ولذلك فان الديوان بالجزائر صم اذنيه عن طلب الباب العالي باعلان الحرب على فرنسا. واذا كان لابد مما ليس منه بد فان

(1) اسكير. تذكر بعض المصادر الاخرى ان الاسطول الفرنسي كان مكونا هذه المرة من اربع سفن حربية. انظر. ابو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الحديث.ص 19.

(2) د/جلال يحي. المغرب الكبير(الدار القومية للطباعة والنشر، 1966م) ج3. ص87-88.

(3) د/محمد خير فارس. المصدر السابق. ص136.

الداي قد اكره على تنفيذ تعليمات السلطان العثماني فاعلن الحرب على الحكومة الفرنسية وسجن قنصلها وعددا كبيرا من الرعايا الفرنسيين ولكن اسرهم كان خفيفا. (1) وما ان غادر المبعوث العثماني بلاد الجزائر حتى اطلق الباشا سراح سجنائه.

وفي عام 1800م وقعت الجزائر وفرنسا على معاهدة صلح بينهما. غير انه بطلب من الباب العالي وانجلترا اعلنت الجزائر الحرب على فرنسا من جديد. وفي هذه المرة كذلك فان القنصل الفرنسي ورعاياه لم يتعرضوا لاي اذى (2).

وشهد يوم 17 ديسمبر من عام 1801م ميلاد اتفاق جديد بين الجزائر وفرنسا اعيدت بمقتضاه العلائق السياسية والتجارية والالتزام بالعمل بالاتفاقيات السابقة. وتنفيذا لروح هذه المعاهدة فان الحكومة الفرنسية استعادت امتيازاتها التجارية في شرق الجزائر. وقد نزلت الحكومة الجزائرية لفرنسا هذه المرة عن حقها في الضرائب السنوية مدة عام كامل وذلك بسبب فداحة الخسائر التي لحقت هذه الشركات خلال توقفها عن العمل. وقد وقع هذه الاتفاقية عن الجزائر الداي مصطفى باشا وعن فرنسا القنصل ديبواتا نفيل DUBOIS THAINVILLE وقد نصت هذه المعاهدة على بنود نورد منها ماياتي:(3).

(1) د/محمد خير فارس. م.ن.ص.ن.
(2) د/محمد خير فارس.م.ن.ص.ن.
(3) بول ازان. المصدر السابق. ص5-7.

المادة السابعة: يتمتع الفرنسيون بالحرية التامة في مملكة الجزائر فلا يمكن وصفهم عبيدا مهما كانت الظروف والاحوال.

المادة التاسعة: يخضع الفرنسيون، المقيمون منهم في مملكة الجزائر والعابرون للسلطة الكاملة لوكيل او ممثل الحكومة الفرنسية وليس للدولة الجزائرية ولا لمندوبيها الحق في ان تتدخل في شؤون الادارة الداخلية الفرنسية بترابها (اي الجزائر).

المادة الثالثة عشر: يتعهد الداي بدفع الديون الفرنسية المستحقة على رعاياه. كما يتعهد المواطن ديبواتا نفيل بتسديد مبالغ الرعايا الجزائريين على الحكومة الفرنسية.

المادة السادسة عشر: تتمتع الحكومة الفرنسية بالعمادة القنصلية على غيرها من الدول الاوروبية الاخرى.

المادة الثامنة عشر: يمنح الفرنسيون أجل ثلاثة شهور لانهاء اعمالهم وتسوية مصالحهم اذا حدث بين البلدين ما يعكر صفو العلاقات بينهما.

ولكن ديبواتا نفيل تستهويه خيرات الجزائر وتسيل لعابه فيكتب في 2 جويلية 1801م، الى نابوليون يحثه على احتلال الجزائر. واليك بعض ما اورده في رسالته هذه "..... من السهل ان نتصور من وراء النهب والاعتداءات الفظيعة التي تتسلط على السكان الطبيعيين للبلاد (الجزائر) باي حماس (كذا) سيستقبل اناس افريقيا شخصا

يحررهم. ان اسم بونابارت اصبح يتردد تحت كل الخيام باحترام مقدس(1). كما كتب الكونت دي مونتوزي (CTE. D.MONTOZY) الى نابوليون يشرح له مزايا احتلال الجزائر وذلك في منتصف شهر اوت 1803م. يرى مونتوزي ان الاستيلاء على الجزائر تتلخص فوائده فيما يأتي:

القضاء على القرصنة باوكار الشمال الافريقي، والعمل على مضاعفة الانتاج، وخلق قوة بحرية جديدة. كما يؤكد هذا التقرير ان "السيطرة على تونس والجزائر والمغرب تمكن من السيطرة على كل تجارة افريقيا". (2) ويذهب الخيال بالكونت دي مونتوزي الى حد بعيد فيصور لنابوليون ان غزو الشمال الافريقي هو اكثر فائدة لفرنسا من التوسع في القارة الاوروبية ذاتها. وكان دي مونتوزي يعتقد ان احتلال الجزائر يمثل قاعدة متينة من "التوفيق بين مطالب العدالة ومطالب الامن العمومي ويقصد بمطالب العدالة تعويض الاقطاعيين الذين كنستهم ثورة 1789م، كما يقصد بمطالب الامن العمومي، عدم التراجع في النتائج التي حققتها الثورة الفرنسية"(3).

(1) الميلي. المصدر السابق. ص 278.
(2) الميلي. م.ن.ص 281.
(3) الميلي.م.ن.ص 281

ولكن هذا التحسن في علاقات البلدين لم يدم طويلا فقد ارسلت الحكومة الفرنسية القنصل ديبواتنفيل الى الجزائر غير محمل بالعوائد والهدايا القنصلية. وعندما طالب الباشا بحقه في هذه الهدايا رد عليه نابوليون ردا ساخطا فاعلن ان اول عمل عدائي يصدر عن الداي سيكون بداية منذرة بتحطيم ايالة الجزائر وان نابوليون اذا اشهر سلاحه فانه لن يضعه الا بعد ان ينفذ ما قاله. ويمضي نابوليون في تهديده للجزائر فيقول: "ان فرنسا نابوليون غير فرنسا البوربون" (1). وكان نابوليون يشير بهذا الكلام الى ماكانت فرنسا تقدمه الى حكومة الجزائر من ترضيات ومجاملات، وما لبثت العلاقات ان توترت بين البلدين، في عهد نابوليون فقد احتجز البحارة الجزائريون سفينتين فرنسيتين وضربوا اخرى في ميناء تونس. وقد استغل نابوليون هذين الحادثين ليتذرع بهما في تهديد الداي ومطالبته بالتعويض عن الخسائر التي لحقت السفن الفرنسية، ومعاقبة الوزراء المسؤولين عن هذه الحوادث.

قال بعضهم: "ان نابوليون كان يحلم بجعل البحر الابيض المتوسط بحيرة فرنسية (2)" يعبر منها الى الهند عن طريق مصر وايران. وقد جالت هذه الفكرة بخلده مرتين احداهما عام 1802م والاخرى

(1) د/محمد خير فارس. المصدر السابق. ص137.
(2) د/ابو القاسم سعد الله. المصدر السابق. ص15.

1808م. وقد كان نابليون يحلم بمشروعه التوسعي بالاستيلاء ليس على الجزائر وحدها بل على نيابات المغرب الثلاث: الجزائر، تونس، وطرابلس يتوجها كلها باحتلال جزيرتي مالطة وكريت واخيرا بانشاء محمية فرنسية في البانيا (1). وليس يخفي على احد ان من بين اهداف نابليون للسيطرة على البحر المتوسط هو ضرب التجارة الانجليزية وشل نشاطها. وكانت خيرات هذه المناطق التي تشبه الى حد بعيد منتجات امريكا وجزر الهند احد الاسباب الرئيسية التي تذرع بها الامبراطور الفرنسي لتحقيق مشروعه الاستعماري، هذا المشروع الذي يعوض بعض الخسائر التي احدثتها الثورة الفرنسية. فقد بقيت فرنسا بمعزل سياسي عن العالم مدة ثماني سنوات وبالتالي فان الذين تضرروا من الثورة سيحصلون على امتيازات في الجزائر وكريت والمورة وتونس. والسؤال الذي يلقى بإلحاح هو "هل كان نابليون جادا فيما ذهب اليه من عملية احتلال الجزائر؟. يرى هاردي(2) ان غزو الجزائر فكرة نابليونية وجزء من مشاريع عملاقة لهذا الرجل في البحر المتوسط. ولكن شارل اندري جوليان يستبعد هذا فيؤكد ان نابليون اهتم بالاستعلام عن اوضاع الجزائر فقط. فان ليبيا كانت تجذبه اليها اكثر من الجزائر لوقوعها على ابواب مصر (3).

(1) د/محمد خير فارس. المصدر السابق. ص13.
(2) انظر. محمد خير فارس. المصدر السابق. ص.ن
(3) شارل اندري جوليان. المصدر السابق. ص22.

وكانت اهتمامات نابوليون في هذه الفترة لاتسمح له باي تدخل مسلح خارج القارة الاوروبية. ولعل ألاجراءات العسكرية المحدودة التي اتخذها تشير الى انه كان يستهدف عملية قصف وتهديد مسلح فقط اكثر مما كان يستهدف عملية انزال واحتلال. وليحقق نابوليون هذا الحلم فقد بدأ بجمع المعلومات الضرورية عن نيابة الجزائر من كتب الرحالين والاسرى وغيرهم. وكان القنصل الفرنسي السابق جون بون سان اندري قد نصح لحكومته بضرب الجزائر ضربة قوية وسريعة لانهاء الحرب في ظرف ثمانية ايام(1). ونصح آخر بنزول الحملة في مدينة تنس حيث ينطلق الجيش الفرنسي الى مدينة الجزائر برا للهجوم عليها.

وعندما وقعت حوادث مسلحة بين سفن جزائرية واخرى فرنسية وايطالية فقد بعث نابوليون مذكرة شديدة اللهجة الى الداي هذا بعض ما جاء فيها: "اني افضل ان تتصدع العلاقات مع الجزائر وان اعطيها درسا قاسيا من ان اتألم لعدم احترام قطاع الطرق هؤلاء للراية الفرنسية الاحترام الذي استطيع فرضه عليهم..."(2) وفي 5 غشت 1802م ارسلت فرنسا قطعة من اسطولها الحربي الى الجزائر بقيادة نائب الاميرال ليسيغ LESSEIGUE يصحبه مساعد

(1) شارل اندري جوليان، م.ن.ص.ن
(2) د/محمد خير فارس، المصدر السابق، ص 137.

القصر هولان (HULIN)مكلفا بمهمة لدى الداي:"انني (اي نابوليون) اريد ان اعيش في سلام مع الداي... اذا لم تعط الاوامر لاحترام سفني فانني قادر على ان ازور الجزائر بنفسي. لقد حطمت مماليك مصر... فاعلموا من انا وما استطيع ان اعمل فاذا رفضتم اعطائي ترضية فسأنزل 80الف جندي على شواطئكم واحطم نيابتكم وانا موطد العزم على ذلك..." (1) ولكي يعطي نابوليون تهديده هذا طابعا رسميا فقد اصدر اوامره الى وزيره للبحرية بتجميع حوالي 15 سفينة حربية تكون على اهبة الاستعداد متى طلب منها ذلك. واشعر سفير الباب العالي بباريس بخطورة الوضع في الجزائر وانه قرر الانتقام منها بالاستيلاء عليها .وفي 16 سبتمبر لحق القبطان بيرج (BERGE)ببعثةليسيغمزودابرسالةساخطةاليكبعض مقتطفاتها:اطلب منكم التعويض عن كل الخسائر والاضرار، كما احيطكم علما بانني استنكر طلب بعض وزرائكم دفع 200.000 فرنك المستحقة على فرنسا، انني لم ادفع ابدا اي شيء لاي احد، وحمدا لله، فانني استطعت ان افرض ارادتي وقوانيني على جميع اعدائي، واذا رفضتم مطلبي هذا فانني سأحطم نيابتكم .

وتردد الداي مصطفى باشا طويلا قبل ان يقبل بشروط(الجنرال الجن).

وفي هذا المعنى كتب القنصل ديبواتا نفيل ماياتي:"ان وجود

(1) د/محمد خير فارس، م.ن.ص.ن.

الاسطول في الجزائر قد ساعد على تنفيذ ما تنتظرونه.. وقد اجيبت مطالبي كلها باسمي القنصل الاول".

وفي 3 اوت 1802م، وجه الداي مصطفى باشا خطابا لين اللهجة الى نابوليون رد فيه على رسالته اليه "...انك تقول ان هناك اناس (كذا) يعطوني (كذا) نصائح للايقاع بيننا. ان صداقتنا وطيدة وقديمة ولن ينجح اي من الناس في الايقاع بيننا. انك تسألني ان اكون صديق الجمهورية الايطالية ساحترم رايتها كما احترم رايتكم حسب رغبتكم. ولو اقترح احد غيركم علي مثل هذا الاقتراح فلن اوافق عليه بمليون قرش...". لقد اتسمت رسالة الداي مصطفى بانها كانت تستهدف توطيد العلاقات بين البلدين. الم يخاطب الباشا الامبراطور نابوليون بقوله: "...اذا حدث خلاف في المستقبل فاكتب الي مباشرة وسيسوى كل شيء تسوية ودية"(1).

وفي عهد الداي احمد (الذي خلف مصطفى باشا) وصل جيروم نابوليون (J.NAPOLEON) الى الجزائر في خلال 1805م على رأس قطعة من الاسطول الفرنسي الحربي ليطالب حكومة الجزائر باطلاق سراح 231 من المسيحيين الايطاليين. ولكن الباشا اصر على حقه في افتداء هؤلاء الاسرى فنزلت فرنسا عند رغبته وبذلك دفع جيروم مبلغ 80.000 فرنكا الى حكومة الجزائر. (2).

(1) بول ازان. المصدر السابق. ص8-9.
(2) د/ابو القاسم سعد الله. المصدر السابق .ص 16.

5-موقف فرنسا من الجزائر في مؤتمر فيينا:

بعد ان حقق الحلفاء الاوروبيون انتصارهم على نابوليون بونابارت كلفوا فرنسوا الاول امبراطور النمسا بدعوة ممثلي كل الشعوب الاوروبية التي شاركت في الحرب الى حضور مؤتمر يعقد في مدينة فيينا عاصمة النمسا. وقد اتخذت في هذا المؤتمر مقررات في اهم القضايا الاوروبية التي احدثتها الحروب النابوليونية آنذاك. وتصدي المؤتمرون في هذا الاجتماع بالبحث لما اسموه بالقرصنة الجزائرية، والعبيد المسيحيين بالجزائر، والضرائب السنوية التي تؤديها الدول الاوروبية الى حكومة الجزائر. وكان الاميرال سيدني سميث (SYDNEY SMITH) قد اغرى المجتمعين بضرورة قيام الدول الاوروبية بعمل جماعي لتحطيم القوة البحرية في نيابات شمال افريقيا واستبدال حكوماتها الحالية بحكومات اخرى تكون اكثر تحضرا وانسجاما مع المسيحية والمسيحيين. وقد ذهب به الخيال الى ابعد من ذلك فراح يعرض على اصحابه دعوة السلطان العثماني الى التعاون معهم وذلك بوقف كل امداداته الى حكومة الداي في الجزائر، وسحب الحامية الانكشارية منها، ومنع رعاياه من الانخراط مستقبلا في قوة الجزائر البرية والبحرية. وتذرع سميث بان تدخل السلطان يعد تأكيدا لسلطة الباب العالي على داي الجزائر الذي لا ينقاد كثيرا لاوامر الحكومة العثمانية والذي ما انفك يعرب عن عصيانه وتمرده بشن الاعتداء على كل من تونس وطرابلس. واكد سميث من جهة اخرى ان فرسان جزيرة مالطة لا يستطيعون وحدهم ان يقوموا بهذا

العمل الجبار. فاقترح انشاء حلف اوربي بحري لابأس ان تسند قيادته اليه. (سميث) (1).

وقد عارضت الحكومة البريطانية على لسان وزير خارجيتها كاسلريه(CASELLRY) مشروع مندوبها سميث وسبب ذلك يعود الى خوفها من ان تتعرض نيابات المغرب الى غزو تقوم به الحكومة الفرنسية. وقد اعرب كاسلريه عن هذا التخوف البريطاني عندما صرح قائلا: "ان بريطانيا مازالت تحتفظ بسياستها التقليدية التي تفضل بقاء النيابات حتى لاتتعرض شمال افريقيا لحالة من الفوضى تمكن فرنسا من اخضاعها دون عناء" (2). وامتنعت الحكومة الفرنسية عن الموافقة على مقترحات المندوب البريطاني لانها كانت ترى ان تنفيذ هذا المشروع لن يكون لها فيه حظ كبير لانها طرف مستضعف لاتزال تعاني ضعفا عاما في اجهزتها الدفاعية بسبب حروب نابوليون. ولاتزال كذلك اجزاء من اراضيها خاضعة لاحتلال القوات الروسية والانجليزية والنمساوية تحت قيادة الدوق ويلنجتون (WILLIGTON) (3) ولهذه الاسباب كانت فرنسا تفضل دعم البحرية الجزائرية حتى

(1) يحي بوعزيز. الموجز في تاريخ الجزائر. (المطبوعات الوطنية الجزائرية) طب1. 1965م. ص168-169.
(2) د/صلاح العقاد. المغرب الكبير. ص 80.
(3) يحي بوعزيز. المصدر السابق. ص169.

تضعف بذلك شوكة البحرية الانجليزية وتنال منها .(1)

وكان جول دي بولينياك (J. DE POLIGNAC) يرى في الحملة على الجزائر متنفسا لآمال ومطامح الشعب الفرنسي لانها "ستنسي الفرنسيين احزانهم القومية وترضي حاجتهم للنشاط (كذا) العسكري" (2). وليغطي بولينياك هذه السياسة التوسعية ويزيل شكوك اوروبا نحو الروح الفرنسية الطموح فانه تقدم الى المؤتمر بمذكرة خاصة يوم 19 سبتمبر 1814م ادعى فيها ان دك حصون الجزائر لايعدو ان يكون مجرد عملية تجريب لاسلحة اوربا وحماستها الحربية.

ولان الطرفين الفرنسي والبريطاني لم تلتق أراؤهما بشأن الاسباب والاهداف المشتركة قصد تحطيم قوة الجزائر البحرية، فقد اكتفى مؤتمر فيينا في معاهدته التي تم التوقيع عليها في 9 يونيو 1815م بتحريم الاسترقاق في الجزائراصلا وفي تونس وطرابلس بالتبعية.(3) وفي الحقيقة فان سلبية اهداف هذا المؤتمر بالنسبة الى الجزائر كانت سياسية واقتصادية، فتحرير العبيد المسيحيين يعرقل تطور البلاد فيهدم اقتصادها وبذلك تتمكن الدول الاوروبية من فرض سيطرتها الاقتصادية والعسكرية على الجزائر. وقد انخدع بعض الساسة

(1) شارل اندري جوليان. تاريخ شمال افريقا. ص297-298.
(2) يحي بوعزيز. المصدر السابق. ص169.
(3) يحي بوعزيز. المصدر السابق نفسه. ص170.

الاوروبيين لآراء سميث. فهذا شاتوبريان يخاطب ملكه الفرنسي شارل العاشر بماياتي:"ان فرنسا كانت الدولة الاولى التي خرجت منها اولى الحملات الصليبية فلتكن كذلك هي من ترسل آخرها"(1).

وكان مؤتمر فيينا الدولي قد اوصى بان تتحمل انجلترا مهمة القضاء على البحارة الجزائريين. ولكن وزارة سان جيمس (.ST JAMES) اوصت في الخفاء بعدم اللجوء الى القوة الا في اللحظة الاخيرة للمحافظة على سلامة وامن تجارتها في البحر المتوسط. ولما كان المؤتمر قد اقر سيطرة بريطانيا على الجزر "الايونية" وجزيرة مالطة فقد ارسلت الحكومة البريطانية حملة بحرية الى الجزائر بقيادة اللورد اكسموث (LODD EXMOUTH) وكانت هذه الحملة تستهدف تحرير الاسرى الايونيين بوصفهم رعايا انجليزا(2)، ومحاولة افتكاك احدى السفن الانجليزية التي اسرها الجزائريون واخيرا للانتقام لسفن حليفتيها اسبانيا والبرتغال التي تعرضت هي الاخرى لنشاط الرايس حميدو.(3)

(1) د/جلال يحي، المغرب الكبير.(الدار القومية للطباعة والنشر، 1966م) ج3، ص91-92.
(2) الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث (مكتبة النهضة الجزائرية) ج3. ص262.
(3) يحي بوعزيز. م.ن.ص 70.

وقد تحاشى الداي عمر باشا (1815م-1817م) الدخول في حرب مع الانجليز فأبرم معهم معاهدة تعهد فيها باطلاق سراح الاسرى الايونيين والنابوليين والسردينيين مقابل فدية مالية وعلى ان يتم اطلاق سراح الجزائريين المعتقلين كذلك (1). ثم واصل موث طريقه نحو تونس وطرابلس ليوقع معهما معاهدة شبيهة بهذه. ولكن الحكومة البريطانية-مدفوعة بروح العدوان-لم تبتهج كثيرا لهذه الاتفاقات فأمرت قائدها موث بالعودة مرة ثانية الى الجزائر حيث وصلها في صبيحة 27 اوت 1816م. على رأس اسطول هام قوامه 42 سفينة حربية كبيرة. عندئذ امر الباشا بسجن القنصل البريطاني.(2)

وعندما وصل الاسطول البريطاني الى جبل طارق انضم اليه الاسطول الهولندي بطلب من قائده فان دي كبلان (VAN DE KABLAN) للمشاركة في الهجوم البحري على مدينة الجزائر. وقد قام الضابطان ورد (WARD) وزيقل (SIEGLE) بدور خطير في التجسس على تحصينات المدينة فمكنا كلا من موث وفان من الحصول على معلومات هامة تتعلق بتشكيلات الاسطول الجزائري. وقبل ان تنشب الحرب اوفد موث رسوله الملازم الاول بيرجاس (LT. BERGAS) ليسلم الى احد كبار ضباط الداي نص هذا الانذار: "...

(1) يحي بوعزيز. المصدر نفسه. ص ن.
(2) د/صلاح العقاد. المصدر السابق. ص 82.

ابطال عبودية المسيحيين، اطلاق سراح الاسرى المسيحيين، التوقيع على معاهدة سلم مع البلدان الشمالية، واخيرا اطلاق سراح القنصل الانجليزي. وكان الاجل الذي حدده موث للرد على مذكرته ساعتين اثنتين فقط".(1)

وعلى الساعة الثانية بعد منتصف النهار اعطى بيرجاس الاشارة الى قائده بان الباشا قد رفض شروطه. ساعتئذ تلقى الاسطول المشترك البريطاني الهولندي الامر بفتح نيرانه على مدينة الجزائر. كان ذلك على الساعة الثانية وخمس وثلاثين دقيقة.(2)

وقد استمر القتال ضاريا مدة تسع ساعات كانت نتيجتها وبالا على الطرفين. فقد ارتفعت خسائر العدو الى حوالي 863 بين قتيل وجريح موزعين كالآتي:

مات 13 وجرح 32 هولنديا كما مات 128 وجرح 690 انجليزيا (3) واما الجزائر ففقدت في هذه المعركة اربع بوارج

(1) المجلة الافريقية، عدد 19، عام 1875م. ص196.
(2) م.ن.ص 197.
(3) المجلة الافريقية. نفس العدد. ص201.

حربية وخمس سفن ذات حجم متوسط و23 زورقا حربيا وبعض المراكب التجارية (1). ويقدر عدد القذائف التي تعرضت لها المدينة بحوالي 33.000 قذيفة و1.000 قنبلة عيار 32.25 سنتم (2) ويؤكد بعض المؤرخين المعاصرين ان الاسطول الانجليزي عندما تقدم من ميناء المدينة فإنه كان يحمل العلم الابيض. وبهذا انخدعت البحرية الوطنية فلم تفتح عليه نيران مدفعيتها(3). اما عن النتائج السياسية لهذه المعركة فقد امضيت معاهدة بين الطرفين في 31 اوت 1816م تعهدت فيها الجزائر بماياتي:

1- التخلي عن استرقاق المسيحيين.

2- تم تحرير الاسرى المسيحيين الذين بلغ عددهم 1200 اسيرا

3- تقدم الجزائر تعويضات مالية لكل الهيآت التي تضررت من عملية افتداء الاسرى المسيحيين. واذا كانت التوصيات التي امضي

(1) علي حليمي عبد القادر.
مدينة الجزائر. ط1، 1972، ص285.
(2) المجلة الافريقية. نفس العدد: ص202. يرى جوليان ان عدد القذائف التي رميت بها مدينة الجزائر هو 34.000 قذيفة. انظر كتابه تاريخ شمال افريقيا. ص298. ويذهب قرامون الى ان عدد هذه القذائف بلغ نصف مليون قذيفة. راجع عبد الجليل التميمي في مؤلفه. بحوث ووثائق في تاريخ المغرب ص240.
(3) الميلي. المصدر السابق. ص263.

عليها في مؤتمر فيينا تنص على مبدإ إلغاء القرصنة. فإن الانجليز-بعد أن أملوا شروطهم هذه على الداي-تناسوا أن يلزموا الداي بالتخلي عنها. ويعزي ذلك إلى أن بريطانيا كانت تأمل في أن تظل عمليات البحارة الجزائريين تعرقل نمو تجارة البلدان الاوربية خاصة منها فرنسا التي اتجهت أنظارها نحو المراكز التجارية بالشرق الجزائري هذه المراكز التي اوشكت مدة كرائها للانجليز على الانتهاء.

وبعد قصف موث للجزائر عام 1816م فانه لم يبق فيها اي نوع من انواع الرقيق كما يقطع بذلك بعض الكتاب الفرنسيين.(1)

وعندما كانت الجزائر ترد غارات موث بشدة وعنف ارتفعت اصوات في فرنسا تنادي بالتدخل المسلح فيها. فقد تقدم الرحالة دومنجوباديا (DEMONGOBADIA) (2) الذي يعرف باسمه المستعرب(علي بك العباسي) بمذكرة الى وزير الخارجية الفرنسي الدوق روشليو يحث

(1) اسكير. المصدر السابق. ص402.

(2) ولد عام 1786 م بسوريا ومات بها. اقام مدة طويلة بالمغرب الاقصى، ثم سافر الى مكة بهدف التعرف الى احوال الشعوب الاسلامية. له كتاب رحلات علي بك العباسي في افريقيا وسوريا خلال 1803 الى 1807 في ثلاثة اجزاء.

فيها الحكومة الفرنسية على بذل المزيد من العناية والاهتمام بقضايا نيابات المغرب التي جاس خلالها كثيرا فتعرف الى احوالها ودرس خبايا اهلها. وتفانيا منه في خدمة مشروعه هذا فقد وضع نفسه تحت تصرف سلطة حكومته. واليك بعض ما جاء في هذه المذكرة "ان اوربا بأسرها اذا ما حاربت افريقيا يمكن لها(كذا) ان تنتصر في حالة انتظام صفوفها ومواجهة العدو صفا واحدا"(1).

وفي 2 اوت 1816م بعث وزير الخارجية الفرنسي مذكرة الى قنصله في الجزائر اليك بعض ماورد فيها "ان البواخر والجيوش التي هي تحت امرة اللورد اكسموث قد اقلعت من انقلترا، ومما لاشك فيه انها ستتوجه الى الجزائر، وعليه فانه يجب عليكم ان تبقوا بعيدين عن كل المناقشات والحوادث التي يمكن ان تكون الجزائر مسرحا لها في المستقبل"(2).

لقد اظهر الجزائريون صلابة لاتضاهي فدافعوا عن بلادهم بحرارة. ألم يترك لنا موث نفسه هذه العبارة "لم أر في حياتي اعداء يحاربون بايمان وثبات جأش كهؤلاء"(3)

وقد وجه الداي عمر باشا خطابا الى السلطان العثماني عن نتائج

(1) د/عبد الجليل التميمي بحوث ووثائق في تاريخ المغرب ص 235-234

(2) د/عبد الجليل التميمي. المصدر نفسه. ص233

(3) د/عبد الجليل التميمي. المصدر نفسه./ ص240.

قصف الانجليز لمدينة الجزائر عام 1816م نقتطف منه بعض هذه الفقرات: "... لقد استعمل الانكليز الحيلة برفعهم علما ابيضا (كذا).. طالبين منا الرد عليهم خلال ظرف ساعة واحدة... ويتركب اسطولهم من اربع بواخر كبيرة ذات ثلاث جسور وباخرتين وبارجتين واربع بواخر مدفعية... لقد كانت معركة حامية الوطيس دامت احد (كذا) عشرة ساعة وثلاث (كذا) وعشرين دقيقة احرقت خلالها كل بواخرنا وسفن تجارتنا...

ان عدد موتى الكفار كان اربع مرات عدد المسلمين... اما بواخر الكفار فقد اصابتها النيران واحترقت اثنان منها". ويظهر من خلال هذه الرسالة ان الانجليز قد الحقوا بالجزائر خسائر كبيرة مما جعل الباشا يرضخ لمطالبهم.

وقد خاطب الداي الحكومة العثمانية في هذا الشأن بقوله: "ومن الخسائر التي لحقت اوجاقكم عدم اخذهم فدية الاسرى التي بلغت مليونين من الريالات الفرنسية ومن الغد، بعد ما دفنا شهدائنا (كذا) ارسل الينا الكافر مبعوثه ومترجمه (1) وكرر ما قاله سابقا عن عقد الصلح مخلصا الى القول: "انه اذا رفضتم ذلك، فان الحرب ستندلع من جديد". ونظرا الى ان قلاعنا قد تهدمت، وذخائرنا قد نفدت، خلال

(1) هو سلامة ابراهيم. كان ابوه قنصلا عاما لانجلترا بالقاهرة في اواخر القرن الثامن عشر. كان يجيد اللغة العربية والتركية كما كانت امه قاهرية. راجع التميمي في كتابه. بحوث ووثائق في تاريخ المغرب ص. 253-255.

هاته الحرب وان عدد جنودنا اصبح غير كاف، فقد اضطررنا الى قبول شروطهم وامضاء الاتفاقية من جديد. ارسلنا تقريرنا بواسطة قائد الميناء علي، وسوف يشرح لكم لدى وصوله، معطيات الوضعية ولنا الامل في تحقيق ما طلبناه منكم"(1).

ايها السلطان ليجازكم الله.

عمر باشا داي الجزائر، 19 شوال 12/1231 سبتمبر 1816م
يلي ختم عمر باشا، اختام وزرائه وكبار الموظفين.

ولمزيد من الاطلاع فقد اوردنا جدولا باسماء السفن الانجليزية والهولاندية التي شاركت في الحملة على مدينة الجزائر عام 1816م .

الاسطول الانكليزي		الاسطول الهولندي	
اسم المركب	عدد مدافعه	اسم المركب	عدد مدافعه
الملكة شارلوت CHARLOTTE	100	لوملمبيس LEMELANPUS	40
لانبرونابل L'IMPRENABLE	98	لافريديريكا LA FRIDIRICA	44
لوسيارب LE SUPERBE	74	لوبكراد LE DRAGARAAD	36
لومندن LE MENDEN	74	لاديان LA DIANE	40
لالبيون L'ALBIN	74	لامستال L'AMSTEL	44
لوليانذر LE LEANDRE	50	لانتراخت L'ANDRACHT	24
لوسوفرن LE SEVERN	40		
لوكلاسكون LE GLASCON	40		
لوكرتنيك LE CRANIQUE	36		
لوهبر LE HEBRE	36		

(1) د/عبد الجليل التميمي، المصدر السابق،ص 253-255.

والى جانب هذه السفن الحربية دعمت انكلترا اسطولها بالقطع الآتية:

-5 بوارج حربية.

-4 قاذفات للقنابل (او مقنبلات).

-14 قاربا حربيا للنجدة.(1)

وعن الموضوع ذاته قدم الوزير على رايس قائد ميناء الجزائر تقريرا الى الباب العالي اليك فقرات مما جاء فيه: "....بأسطول يتألف من ثلاثين الى اربعين باخرة....اما الكفار فيتراوح عدد قتلاهم مابين الفين وثلاث (كذا) الاف بالاضافة الى مقتل مابين ثمانية وعشرة كذا ربانية" ويستطرد التقرير فيضيف: "..وبذلك اطلق سراح 1500 اسيرا" (2).

وقد تقدم شاتوبريان الى البرلمان الفرنسي بمشروع يقضي بمفاوضة دول المغرب وينصح شاتوبريان بممارسة العمل المسلح وحمل لواء حرب صليبية على هذه الدول اذا لم ينجح هذا المسعى.

(1) د/العربي الزبيري: "مقاومة الجزائر للتكتل الاوربي قبل الاحتلال". مجلة الاصالة، السنة الثالثة، العدد 12، جانفي-فيفري 1973م. ص126.

(2) د/عبد الجليل التميمي. المصدر السابق. ص.257-258.

وقد تقدم كاسلريه وزير خارجية بريطانيا الى السفراء الاجانب بلندن في شبه مؤتمر عقد بها عام 1816م بمذكرة تضمنت عدة اقتراحات عن مشكلة القرصنة بالجزائر جاء فيها على الخصوص: انشاء قوة بحرية اوروبية لضرب الاسطول الجزائري يشرف عليها مجلس اوربي على غرار مثيله الذي يهيمن على قوات الحلف الاوربي التي تحتل بعض الاجزاء من التراب الفرنسي. تنجز هذه القوات مهمتها في ظرف سبع سنوات تسوى خلالها كل المشكلات التي تقلق بال اوربا وخاصة منها ما يتعلق بامن اوربا وسلامة تجارتها في عرض البحر المتوسط حيث تسيطر نيابة الجزائر (1). ولكن الراي العام العالمي قابل هذه المقترحات بحملة انتقادات لاذعة. فقد عارض المركيز دوسموند (MARQUIS DOUCEMENT) ممثل فرنسا في هذا المؤتمر مطالب زميله البريطاني، كما ان روشيليو (DE RICHELIEU) (وزير الخارجية الفرنسي) اعرب لكاسلريه في رسالة وجهها اليه ان دول المغرب الثلاث تحترم العلم الفرنسي. وكانت فرنسا تستهدف من وراء معارضتها المشروع البريطاني ان تعهد اليها بقية الدول الاوربية بان تتزعم فكرة التدخل المسلح في الجزائر. وليبعد دي روشيليو(DE RICHELIEU) خطر الزحف البريطاني الى منطقة البحر المتوسط فقد التجأ الى حيلة يحبط بها مفعول المقترحات الانجليزية فاعلن ان ايالات الشمال الافريقي الثلاث ولايات عثمانية لاحق لها في ان تعلن الحرب

(1) يحي بوعزيز. المصدر السابق. ص. 171

على دولة اخرى او تعقد السلم معها. واذا كان لابد من القيام بعمل عسكري فيجب ان يعهد به الى الدول التي لها شواطىء على البحر المتوسط وهو يعني بذلك الحكومة الفرنسية.(1).

اما روسيا-التي كانت ترى ان بريطانيا هي منافستها الطبيعية في الولايات العثمانية-فقد اقترح قيصرها اسكندر الاول في مذكرة وجهها الى المؤتمر بان تقوم الدول الاوروبية المعنية كلها بالسعي لدى حكومة الباب العالي لارغام الحكومة الجزائرية على وجوب احترام الاعلام الاوروبية. واذا فشل هذا المسعى فعلى هذه الدول ان تؤلف قوة بحرية مشتركة لردع الداي وزجره. واما حكومة النمسا(2) التي كانت تشدها علاقات ود وصداقة مع الدولة العثمانية-فلم تتحمس كثيرا للمشروع.

وقد طلبت حكومة اسبانيا من المؤتمر ان يربط بين مسألة القرصنة في نيابات المغرب الثلاث ومشكلة الثائرين عليها في القارة الامريكية، وكانت بريطانيا تعطف على هؤلاء الثوار وتؤيدهم (3).

ولما تمسك كل طرف برأيه فقد توقفت اشغال المؤتمر حتى يتاح لكل وفد ان يتدارس الموضوع مع حكومته من جديد.

(1) يحي بوعزيز. المصدر السابق. ص172.
(2) يحي بوعزيز. م.ن.ص.ن.
(3) يحي بوعزيز. م.ن.ص.ن.

وفي اواخر عام 1817م ظهر الصراع ثانية على مسرح الحوادث الدولية فالتأم شمل المؤتمرين مرة اخرى بايكس لاشابيل (LA CHAPELLE) في 30 سبتمبر عام 1818م.(1)

وفي هذا الاجتماع ايضا تصلبت الاطراف كلها في مواقفها السابقة فكانت حكومة النمسا ترى انها قوة دولية مرهوبة الجانب لابأس ان يعهد اليها بالقضاء على اتراك الجزائر. كما كانت ترى كذلك ان فرسان القديس يوحنا يجب اعادة تنظيمهم في كل من جزيرة ليسا (LISSA) او إلبا (ELBA). و كانت الدولة الاكثر تشبثا برأيها هي بريطانيا (2). واما فرنسا فكانت تستهدف في هذا المؤتمر تغيير الرقعة الجغرافية في القارة الاوروبية وذلك بتحويلها الحلف الرباعي الى حلف خماسي تكون هي العضو الخامس فيه، وبهذا تتخلص من معاهدة فيينا التي اذلتها مدة من الزمن بعد هزيمة نابوليون في معركة واترلو (WATERLOO) الشهيرة (3). ولهذا فان فرنسا نادت بآراء جديدة نوجزها في الآتي: ضرورة قيام حلف اوروبي تستخدم فيه كل قوة على حدة يحدد من البداية عدد السفن التي تستعمل لهذا الغرض، ويخطر الباب العالي مسبقا بهذه الاجراءات بصفته صاحب

(1) يحي بوعزيز. م.ن.ص.ن.
(2) يحي بوعزيز. م.ن.ص.ن.
(3) يحي بوعزيز. م.ن.ص.ن.

السيادة الشرعية على البلاد (1) ولما لم يصل هذا المؤتمر الى نتيجة ايجابية فقد اكتفى في بروتوكوله الذي اصدره يوم 20 نوفمبر 1818م بضرورة التخلي عن اعمال القرصنة. كما كلف المؤتمرون فرنسا وبريطانيا بان تبلغا هذه التوصية الى حكومة الداي بالجزائر، واوصوا ممثلي الدول الخمس الكبرى باشعار السلطان العثماني بمداولات المؤتمر وقراراته. ولكن الباب العالي اعلن على لسان وزير خارجيته الريس افندي ان الدولة العثمانية لايمكنها ان تنحاز الى الطرف الآخر فتقاتل اخوانا لها في الدين، وانها لا تلتزم نتائج مؤتمر لم تدع الى المشاركة فيه. وقد اظهرت فرنسا وبريطانيا في هذا المؤتمر تخوفا شديدا من امكانية وصول العملاق الروسي الى ضفاف البحر المتوسط فسارعتا باظهار شبه تقارب في وجهات نظرهما فحاولتا فرض سيطرتهما على الحكومة الجزائرية متخفيتين وراء اهداف ومرام انسانية مزعومة. وفعلا ففي 5 سبتمبر 1818م عقد كلمن جيريان (JERIAN) عن فرنسا وتوماس فريمنتيل (TH.FREMENTEEL) عن الجانب البريطاني اجتماعين مع الباشا حسين لحمله على الانقياد لمطالب حكومتيهما. ولكن الباشا لم ينزل عن حقه في زيارة وتفتيش السفن التي لاتربط حكوماتها معاهدة مع دولة الجزائر(2). عند هذا هدده المبعوثان الفرنسي والانجليزي بان

(1) يحي بوعزيز. م.ن.ص.ن.
(2) اوقيستان برنار. تاريخ المستعمرات الفرنسية. الجزائر. ص90-91

اوربا ستكون حلفا لتحطيم نيابته. ولما لم يكن المندوبان يحملان اوامر بقصف مدينة الجزائر فانهما واصلا طريقهما الى تونس ومنها الى طرابلس الغرب حيث يعلن لهما الباشا هناك انه تخلى منذ مدة طويلة عن ممارسة القرصنة.

وقد حدث ان تشاجر الداي حسين مع قنصل بريطانيا ماك دونيل (Mc.DONEL). وحسب تفاصيل القصة الآتية فان ذلك يعزي لما يأتي: " عندما نشبت ثورة اكتوبر 1823م قرر الباشا ان يلقي القبض على بعض المتمردين الذين احتموا بمقر القنصل البريطاني (1). وقد رفض هذا ان يسلمهم الى حكومتهم بدعوى الحصانة القنصلية. عندئذ أمر الباشا باقتحام مركز الممثل البريطاني. وقد انتهى الامر اخيرا الى قطع العلائق بين البلدين. ولم تضيع الحكومة البريطانية هذه الفرصة الغالية عليها فجردت حملة عسكرية بحرية على الجزائر قوامها ثلاث وعشرون باخرة كبيرة عهدت بقيادتها هذه المرة الى السير هنري نيل (SIR HENRY NEEL).

وقد تقدم نيل بمطالبه الى الداي. وكانت هذه المطالب تتمثل في تعويضات عن الاهانة التي لحقت القنصل البريطاني، والاعتراف بالعمادة القنصلية لبريطانيا على غيرها من الدول الاوروبية، ودفع غرامة مالية كبيرة. ولكن الداي قابل هذه المطالب بعزة نفس. ولما لم

(1) اوقيستان برنار. م.ن.ص 91
(Augustin Bernard: Histoire des colonies françaises, l'Algérie.)
(Paris 1929)

يكن نيل مزودا بتعليمات بضرب المدينة فقد رضي من الغنيمة بالإياب.

وفي 22 مارس 1824م عاد نيل مرة ثانية الى الجزائر ليحاول املاء شروطه السابقة على الباشا. غير انه رجع هذه المرة كذلك بيد فارغة واخرى لاشيء فيها (1).

وفي 12 جويلية عام 1824م ابحر نيل المرة الثالثة يبغي مدينة الجزائر بعد ان تلقى من حكومته الاذن بقصفها ان لم يلب الباشا مطالبه.

ولم يترك الجزائريون لنيل فرصة الاقتراب من الارض متعظين في ذلك بالدرس الذي تلقوه من قصف موث عام 1816م، فخرجوا عن بكرة ابيهم للرد بضراوة على المعتدين الانجليز. وقد استمر القتال بين الطرفين الى يوم 29 جويلية 1824م(2).

ولما لم يفل هذا العدوان في عضد الجزائر فقد اوقف نيل هجومه وتخلى عن مطالبه مكتفيا بتجديد معاهدة 1816م (3) وقد وقع نيل نفسه على هذه المعاهدة لان الباشا رفض ان يستقبل ماك دونيل.(4).

وامام دفاع الجزائريين المستميت فقد اضطر الاميرال نيل الى

(1) الميلي. المصدر نفسه. ص268.
(2) الميلي. م.ن.ص.ن.
(3) يحي بوعزيز. المصدر نفسه. ص174.
(4) اسكير قبريال. المصدر السابق. ص51.

الانسحاب امام نيران تحصينات المد ينة. ولم يحقق هذا الهجوم اي نتيجة الا انه اوضح للجزائريين نقاط الضعف في دفاعهم وسمح لهم بتقوية هذا الدفا ع.(1).

وبفشل هذه السلسلة من الحملات الانجليزية على الجزائر تفتح صفحات جديدة من الحملات البحرية الاخرى. ولكن الذي سيضطلع بهذه الحملات هذه المرة هي فرنسا التي سيكتب لها في المستقبل ان تجد لنفسها مكانا تحت شمس الجزائر.

6-اتفاقية 28 اكتوبر 1819م:

وبعد مؤتمر فيينا مباشرة عينت الحكومة الفرنسية قنصلا جديدا لها في الجزائر هو "بيير دوفال" وذلك في 23 غشت 1816م باقتراح من الامير دي بيفيفون رئيس المجلس الوطني الفرنسي. وكانت مهمة دوفال تستهدف تطمين الحكومة الجزائرية عن حسن نية فرنسا بخصوص تسوية نهائية لكل المشكلات المعلقة بين البلدين وخاصة منها قضية ديون اليهوديين ابن زاهوت وبوجناح، هذه القضية التي اخذت حظها من المماطلة والتعفن. كان دوفال محملا ككل القناصلة الفرنسيين الذين سبقوه بهدايا ثمينة الى الداي ورجال حاشيته

(1) الجنرال، بول ازان، حملة الجزائر، 1830م، باريس 1930م، ص 17.

وافراد عائلته (جواهر، ساعات، سلاح، اقمشة، قدرت قيمتها النقدية بحوالي 12954 فرنكا و80 سنتيما. وفي مقابل ذلك فان الداي علي خوجة أعاد الى الحكومة الفرنسية امتيازاتها التجارية في الشرق الجزائري وذلك في 17 مارس 1817م. وكان الانجليز قبل ذلك يتمتعون بهذه الامتيازات منذ عام 1807م ولكن قصفهم لمدينة الجزائر عام 1816م قد اثار في نفوس الجزائريين مشاعر الحقد والغضب فوضعوا ايديهم على مؤسسات الانجليز ليسلموها الى الحكومة الفرنسية كما اسلفنا القول في ذلك.

ومن جهة اخرى فقد اعربت الجزائر عن نبل اخلاقها لفرنسا فقررت تخفيض الضريبة السنوية على الامتيازات التجارية الفرنسية من 300,000 فرنكا الى 118,000 فرنكا فقط (1) عامين من ذلك 17 مارس 1817م شكلت الحكومة الفرنسية لجنة رباعية مكونة من مستشاري الدولة: هيلي دواسيل (DOUACIL) مونيي(MONIET) بسيير(BICIERE) دوما لارتيك(DOMALARTIC) لدراسة قضية الديون الجزائرية التي ارتفعت الى 24 مليون فرنك (2) وقع تخفيضها الى 18 مليونا ثم الى 3893843 1 فرنكا واخيرا خفض الدين الى ان استقر على سبعة ملايين فقط تدفع على 12 قسطا كل قسط

(1) اسكير. المصدر السابق. ص417-418.

(2)يذهب البعض الآخر الى ان الدين ارتفع الى 42 مليون فرنك راجع ابو القاسم سعد الله في كتابه. تاريخ الجزائر الحديث. ص14.

يساوي 583.333.33 فرنكا تدفع كل خمسة ايام. وتعرف هذه الاتفاقية باتفاقية 28 اكتوبر 1819م واليك بعض فقرات منها :"ان الاتفاق الحالي لن ينفذ الا بعد ان يوافق عليه الملك وبعد ان يعلن الداي باسم النيابة انه بعد تنفيذ هذا الاتفاق فلن يقدم الى الحكومة الفرنسية اي طلب يتعلق بد يون السيد ين بكري وبوشناق (1). وقدم القنصل دوفال ويعقوب بكري هذا الاتفاق الى الداي للموافقة عليه.
وقد اعلن الداي في جوابه بتاريخ 12 ابريل 1820م عن موافقته على هذا الاتفاق لانه كان مقتنعا ان بكري (ابن زاهوت) سيسد د له الدين الذي عليه بعد ان يسترد امواله المودعة لدى الحكومة الفرنسية.

وفي 24 جويلية 1820 صوت البرلمان الفرنسي بالموافقة الساحقة على قانون يقضي بتخصيص السبعة ملايين لمستحقيها والتي نص على دفعها لاصحابها بموجب اتفاقية 28 اكتوبر 1819م المبرمة بين الطرفين (2).

وقد كان في الحسبان ان الاتفاق الجزائري الفرنسي سيؤدي الى نمو مطرد في علاقات البلدين ولكنه على العكس من ذلك ادى الى انقطاعها وبالتالي الى عملية استظهار عضلات الاقوى.

وعندما اعلن البرلمان الفرنسي عن تخصيص 7 ملايين لدفع

(1) الجنرال، بول آزان. حملة الجزائر. 1830م. ص19.
(2) الجنرال، بول آزان. المصدر السابق. ص.ن.

الديون الجزائرية فإن الحكومة الفرنسية تواجهت -على مايقال- معارضة شديدة تمثلت في عدة مطالب ادعى أصحابها أن لهم ديونا على اليهوديين ابن زاهوت وبوجناح.

ولعل هؤلاء الدائنين مفتعلون اذ انهم شركاء بكري (ابن زاهوت) ان لم يكونوا من عائلته (1). عند هذا اضطرت الحكومة الفرنسية ان تحيل القضية على محاكمها للنظر فيها وهذا يعني ان على الداي ان ينتظر حتى تتم تسوية هذه المسألة عن طريق العدالة الفرنسية.

لقد ارتفعت بعض الاصوات المسؤولة في فرنسا تندد باتفاقية 28 اكتوبر 1819م وتعمل على عرقلة التوصل إلى حل يرضى الطرفين. فقد اثار السيد "بستيريش" ديون بعض المواطنين الفرنسيين على بعض الرعايا الجزائريين وطالب بوجوب الحصول على هذه الديون ودفعها بالتالي الى مستحقيها من الفرنسيين عن طريق حكومتهم. اما النائب الفرنسي "لاميت" فانه ابدى تشككه في نزاهة فض قضية الديون عندما قال: "ماذا قيل لنا عن مسألة الديون؟ هل وقع الدفع فعلا" ويستطرد هذا النائب في تساؤلاته فيضيف: "يجب على الملك ان لاينفذ الاتفاقية فقط بل يجب عليه ان يحترم كل الاتفاقيات.. وعندما

(1) كان لوكالة الامتيازات دين على اليهوديين مبلغه 1.11.079 فرنك، كما كان لاسحاق طاما وجوزيف اجيون عليهما مبلغ من المال قدره 564130 فرنكا. راجع. اسكير. المصدر السابق، ص 417-418.

يوافق الملك على اتفاقية فان المصاريف التي تتبع تنفيذ هذه الاتفاقية يجب ان لايرفضها المجلس اللهم الا اذا كان الملك مجردا من حقه الدستوري"(1).

من كل ما تقدم فإنه يظهر لنا ان الديون الجزائرية على الحكومة الفرنسية كانت على نوعين بعضها يتصل مباشرة بالباشا اي انه ملك لخزانة الدولة الجزائرية، وبعضها الآخر يتعلق ببعض الخواص. وقد دفعت الحكومة الفرنسية الى يعقوب بكري مبلغا ماليا قدره 4500.000 فرنكا واستبقت 2500.000 فرنكا في صندوق الايداعات، وعندما قبض اليهوديان هذا المبلغ من حكومة فرنسا فان بكري قد انتقل الى مدينة ليفورن بايطاليا واما بوجناح فانه تجنس فرنسيا (2) ليستقر نهائيا في باريس.

وقد تجاهلت الحكومة الفرنسية ديون الداي حسين لأنها كانت ترى ان مبلغ 2500.000 فرنك المودع في صندوق ايداعاتها لايتقاضى أي مبلغ منه الا الخواص الذين لهم ديون على الشركة اليهودية. وبذلك اخذ الباشا يشكو بطء القرارات ويتضايق من تسويف ومماطلة

(1) اسكير. المصدر السابق. ص 421-422.
(2) احمد توفيق المدني. كتاب الجزائر. (ط 2،نشر دار الكتاب-البليدة، الجزائر، 1963م). ص44.

الادارة الفرنسية التي اصبحت تستهدف تجميد القضية وتعطيل حقوق الجزائر. ولما ادرك الداي هذا التآمر الفرنسي وتأكد ضياع حق خزينة دولته فقد سعى في الحصول على اعتراف من عائلة بكري بحقه في الدين.

ثم قام بعد ذلك بعمل الاجراءات القانونية فكاتب ملك فرنسا شارل العاشر يخبره بان هذه العائلة اتفقت على ان مبلغ 2500.000 فرنكا المودع لدى خزينة صندوق الايداعات الفرنسي هو ملك للخزينة الجزائرية مقابل ديونها على الشركة اليهودية. اما الدائنون الخواص فيطالبون اليهود رأسا ليدفع لهم مما تسلمته الشركة المذكورة من الحكومة الفرنسية اي من مبلغ 4500.000 فرنكا. ولكن الحكومة الفرنسية لم تجب عن رسالة الداي وسيكون لهذا الصمت الفرنسي بداية مثيرة لقصة حزينة احكم ساسة فرنسا نسج خيوطها في كواليس باريس.

الفصل الثاني

بداية الازمة بين فرنسا والجزائر.

1-حادث المروحة :

كان حادث المروحة المشهور احد الاسباب العامة التي تذرعت بها الحكومة الفرنسية لشن حملتها العسكرية على الجزائر. ففي 29 ابريل من عام 1827م على الساعة الواحدة بعد منتصف النهار، تقدم كالعادة كل القناصل الاجانب ومن بينهم دوفال لتهنئة الداي بهذه المناسبة. وقد دار الحوار بينهما باللغة التركية مباشرة، طلب الداي حسين من القنصل الفرنسي ان يطلعه على فحوى الرسالة التي وصلته مؤخرا من حكومته لانه كان يظن انها موجهة من وزارة الخارجية الفرنسية وانها تتعلق بقضية الديون الجزائرية على فرنسا،

ولكن مصدر هذه الرسالة كان وزارة البحرية الفرنسية وكان موضوعها يدور على صيد المرجان في الشرق الجزائري.

وهذه بعض فقرات من المحادثة التي دارت بين الداي ودوفال والتي ادت في النهاية الى قطيعة في العلاقات الجزائرية الفرنسية. كان الباشا جالسا والقنصل واقفا. سأل الداي القنصل عن صحة الشائعات التي راجت في الجزائر بان انجلترا اعلنت الحرب على فرنسا، فرد القنصل:

"ان هذه الانباء لا اساس لها من الصحة وان مصدرها الاضطرابات التي جدت في البرتغال والتي امتنعت الحكومة الفرنسية عن التدخل فيها".

فقال الداي: "هكذا اذن تعطي فرنسا انجلترا كل ماتريد ولاتعطيني اي شيء".

دوفال: "يظهر لي ياسيدي ان حكومة الملك قد اعطتك كل مافي وسعها".

الداي: "لماذا لم يرد وزيركم للخارجية على الرسالة التي بعثتها اليه"؟.

(1) شارل اندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصر، (طب 1964م)، ص27.

(2) اسكير، المصدر السابق، ص62.

دوفال: "لقد كان لي الشرف ان احمل اليكم الرد الشفوي عندما اتصلت به".

الداي: "لماذا لم يجبني مباشرة؟ الانني شخص تافه؟ام رجل حافي القدمين؟ انك انت السبب في اني لم- اتلق ردا مكتوبا من وزيركم للخارجية، انت الذي حثثته على عدم الكتابة الي، انت غادر، كافر وثني.

دوفال: "لن تكتب حكومتي اليك ابدا، ان هذا غير مجد ان الوزير او الملك لن يراسل من هو دونه من غير واسطة".(1).

وكان لرد دوفال المتهجم ابعد الاثر في نفس الداي الذي لم يتمالك نفسه فنهض من مكانه مغاضبا وامر القنصل بالخروج. ولكن هذا لم يبرح مكانه فضربه الداي بمروحة كانت بيده. وقد ادعى القنصل انه ضرب ثلاث مرات. اما الباشا فيقر بالضرب ولكنه يعزوه الى الرد المهين الذي تلقاه من مخاطبه امام القناصل الاجانب ورجال حكومته.

وهناك من المؤرخين من يرى ان الضرب لم يقع اصلا وانما وقع التهديد بالضرب.(2)

وفي موجة عارمة من الغضب الشديد اثار الداي للقنصل الفرنسي قضية التحصينات والاستحكامات السرية التي اقامتها فرنسا من غير علم الحكومة الجزائرية. قال الداي:

(1) اسكير. المصدر السابق. ص.ن.
(2) د/ابو القاسم سعد الله. المصدر السابق. ص20.

"اعلموا انني لا اقبل ابدا ان يكون مدافع في حصن القالة. اذا كان الفرنسيون يريدون ان يمارسوا تجارة السمك فلا مانع والا فليذهبوا، انني لا اريد ان يكون مدفع واحد للكفار في قطر الجزائر". (1).

وعند خروج دوفال من هذه المقابلة مع الباشا فانه راح يشكو امره الى البعض من وزراء الداي فكان ردهم: "....ينبغي منع كسر الزجاج وعندما ينكسر فأي علاج لذلك". (2)

وفي اليوم ذاته الذي وقع فيه حادث المروحة طير دوفال في المساء تقريرا الى باريس اعلن فيه انه ضرب من غير ان يعتدي على احد وجلب انتباه حكومته في نهاية تقريره الى ان هذه الاهانة كانت موجهة بالتالي الى الشعب الفرنسي وحكومة الملك شارل العاشر. وكما حاول دوفال ان يستميل الى جانبه بعض وزراء الداي فانه اعرب لقنصل سردينيا "الكونت داتيلي" عن العواقب السيئة التي يمكنها ان تصل الى قطيعة لارجوع فيها بين فرنسا والنيابة. وقد حملت الاوساط القنصلية في الجزائر وموانيء البحر المتوسط ومدينة مرسيليا مسؤولية هذا التأزم في العلاقات بين البلدين القنصل الفرنسي دوفال واجمعت كلها على ان سوء تصرفه هو سبب لكل ماحصل من بداية تأزم حاد في علاقات البلدين.

اما في باريس فقد اطلع مجلس الوزراء الفرنسي على تقرير دوفال

(1) اسكير. المصدر السابق. ص 64.
(2) اسكير. المصدر نفسه. ص.ن.

الذي دهشت له الاوساط الحاكمة فصرح البارون (دي داماس وزير الخارجية الفرنسية) بما يأتي: "ان هذا الاعتداء الجديد يزيد الطين بلة" ويستطرد هذا الوزير في تصريحه فيقول:

"يجب علينا كأول خطوة ان نطالب الداي بتعويض عاجل لما لحقك في شخصك وشخص الملك وحكومته" (1).

واذا كان دوفال قد عمل على جلب الرأي العام الى جانبه في هذه القضية التي احكم نسج خيوطها مع حكومته في الخفاء، فان الداي حسين يصرح هو الآخر: "شكوت الى دوفال عدم الرد على اربع رسائل مكتوبة مني الى ملك فرنسا فأجابني: "ان الملك لن يكتب الى شخص مثلك". فاجأتني هذه الاجابة المهينة. كنت شيخا يجب احترامه واخيرا كنت دايا". (2).

وعلى اثر حصول هذا التصدع الفجائي في العلاقات الجزائرية الفرنسية وجه الداي حسين رسالة في الموضوع الى السلطان العثماني نقتطف منها بعض هذه الفقرات: "... لماذا لايصل الرد على رسالتي المكتوبة والموجهة الى حكومتك..."؟

وقد اجاب دوفال بكبرياء وبكلمات تهجمية: "ان الملك ودولة فرنسا لايستطيعان ارسال الرد على الرسائل التي وجهتها لهما". وقد زاد

(1) اسكير. المصدر السابق. ص 56.
(2) الجنرال بول آزان. المصدر السابق. ص9.

القنصل على ذلك "فتفوه بكلمات ماسة بالدين الاسلامي وتحط من شرف جلالة السلطان حامي حمى العالم الاسلامي" (1)

اما دوفال فيقول: "فنهض الداي من مكانه وضربني على جسمي ثلاث ضربات عنيفة بذراع مذبة كانت بيده وامرني بالخروج. واما الداي حسين فيرد على هذا القول من جهته بما يأتي: "اني لم اكن لاتحمل هذا التحدي الذي يتجاوز كل حد..فضربته مرتين او ثلاث ضربات خفيفة بمدبة كانت بيدي" (2). من كل ما تقدم يظهر لنا ان الرد اللاذع للقنصل الفرنسي كان السبب الرئيس في كل ماحدث . وهذا الرد ان دل على شيء فانما يدل على تآمر مبيت وخطة مدبرة اذ كانت هناك الف وسيلة لسوق معنى هذا الرد، ولكن يبدو ان السيد دوفال اختار اشدها تهجما على شخص الداي (3). واذا كان دوفال قد فسر حادث المروحة بانه اهانة وطنية فان الداي حسين يرد على هذه المتهمة اذ صرح لمحيطه: "ماذا عملت له؟ لقد لمسته ريشة فقط" (4). كما اكد الداي لبعض الفرنسيين في الجزائر ان محادثته مع القنصل كانت محادثة شخصية وانه لم يكن في نيته ان يهين فرنسا واخيرا

(1) جوليان. المصدر السابق. ص27.

(2) جوليان. المصدر نفسه. ص.ن.

(3) دي رينو. حوليات جزائرية. ج.1.ص18.

(4) الميلي. وعبد الله شريط. الجزائر في مراة التاريخ (مكتبة البعث قسنطينة) ط 1. 1965م. ص161.

طمأن الداي الجالية الفرنسية بانه سوف يحميها ويحمي مصالحها.

ويذهب بعض الكتاب الفرنسيين (1) الى ان الداي حسين وجه اهانات بالغة العنف للسيد دوفال وصلت الى حد ضربه ثلاث مرات بمذبة كانت بيده ثم امره بمغادرة القاعة. ولكن الحقيقة عكس ذلك فليس الداي سوى مطالب بحقه في قضية ديون مستحقة على الحكومة الفرنسية نالت حظها الوافر من التسويق والتعفن. واذا كانت فرنسا ترى في تصرف الباشا شتيمة لشرفها وتعديا مزريا على كرامتها فانه لاينبغي ان يفوتها انها كانت تحملت قبل ذلك اهانات اشد خطورة من هذه الاهانة. الم يربط قناصلتها في افواه المدافع كما وقع ذلك للاب لوفاشير (LEVACHAIRE) والسيد بيول (PIOLL) او يسجنوا كما سجن القنصل لومير (LAMUR) والقنصل مولتيد (MOLTIDE) ولكن هذا الوقت قد فات.(2).

استغلت فرنسا حادث المروحة فأشعرت سفراء الدول الاوربية لديها انها اذا لم تتلق خلال الاربع والعشرين ساعة ترضية بمطالبها وشروطها من الداي حسين فانها ستفرض حصارا بحريا على

(1) استيفن قزال وج. مارسي وج. افير. تاريخ الجزائر. طب 1929م. ص129.

(2) اوقيستان برنار AUGUSTIN BERNARD. تاريخ المستعمرات الفرنسية، الجزائر، ج1. ص94.

الجزائر. وكانت هذه الشروط تمثل تعويضا خياليا طالبت به فرنسا حكومة الداي وهو: على الداي ان يقوم هو نفسه بزيارة الباخرة الفرنسية البروفانس (PROVENCE) ليعتذر للقنصل دوفال عن الاهانة التي لحقت به ويكون ذلك بحضور قناصل الدول الاوربية الاخرى. ولما كانت الحكومة الفرنسية تستبعد قبول الداي لهذا الحل فقد اذنت للضابط كولي (COLLY) قائد الحصار ان يعرض على الداي احد الحلين:

1-يستقبل الداي حسين في قصره بمحضر القناصل الاجانب قائد الاسطول الفرنسي والقنصل دوفال ليعتذر له عما حدث.

2-يوفد عنه بعثة رسمية يرأسها وزير البحرية لطلب العفو من دوفال. (1). واذا قبل الداي باحد الحلول الثلاثة المتقدمة فانه يطالب من جهة اخرى بتنفيذ الآتي:

1-تطلق المدافع الجزائرية مائة طلقة تحية للعلم الفرنسي (2).

2-يرفع العلم الفرنسي فوق الحصون والاستحكامات الجزائرية كلها.

(1) اسكير. المصدر السابق. ص 65.
(2) اسكير. المصدر السابق. ص65.

3-يطالب الداي بالتعويض عن الاضرار والخسائر التي لحقت فرنسا في ممتلكاتها ومؤسساتها التجارية.

4-يعاقب الرياس الجزائريون عن اعمال القرصنة على السفن الفرنسية.

5-التعويض عما لحق الدار القنصلية الفرنسية في عنابة.

6-كما طالبت فرنسا بان تحصل على ضمانات هامة في المستقبل، اذ لايسمح للبحارة الجزائريين بزيارة السفن الفرنسية وتفتيشها.

7-للحكومة الفرنسية الحق في ان تسلح حصن القالة وكل مؤسساتها الاخرى.

8-على الجزائر ان تتخلى عن حقها في المطالبة بديون بكري وبوشناق (ابن زاهوت وبوجناح).

9-واخيرا يجب الاعتراف لفرنسا بأولويتها القنصلية على الدول الاوربية الاخرى.

وبعد ان تحادث كولي مع دوفال وقبطان الباخرة دوبتي توار فإنه بعث في 15 جوان 1827م مذكرة الى الداي حسين هذا بعض ما جاء فيها: "ان صاحب الجلالة لجد مشمئز وغاضب مما لحقه في شخص قنصله العام، انه يطلب تعويضات..."

وتستطرد هذه الوثيقة فتضيف: "ويجب على الداي ان يبعث الى الباخرة وفدا ناطقا باسمه ليطلب العفو من القنصل امام الجميع ويعتذر عن سلوكه" (1)

وقد حدد اجل اربع وعشرين ساعة للرد على هذه الشروط. واذا كانت الحكومة الفرنسية تطالب بمثل هذه المطالب المرة فان الداي كذلك كان يظن انه هو المجني عليه، وبهذا فقد هزئ من هذه الشروط بل رفضها رفضا قاطعا .(2).

كانت المطالب الفرنسية لاذعة تشتم منها رائحة المذلة والهوان، وقد عبر عن ذلك الداي حسين نفسه حين قال عنها "اتعجب، لم يبق للفرنسيين الا ان يطلبوا امرأتي"(3). وبعد ان اطلع الداي على الانذار الفرنسي الذي قدمه اليه قنصل سردينيا فانه لم يخف دهشته من موقف ملك فرنسا الذي لم يستدع قنصله الذي كانت الشبهات تحوم حوله ولم يكتب كذلك ردا مباشرا على رسالته -اي الداي- بل على العكس من ذلك فانه سارع فأرسل اليه الاميرال (كولي) مصحوبا برسالة يهزأ من ألفاظها كل انسان له قيمة. وكان وقع رسالة الحكومة الفرنسية على الداي غريبا فحسب التقرير الذي بعثه الداي الى

(1) اسكير. م.ن.ص 67.
(2) اسكير. م.ن.ص.ن.
(3) يحي بوعزيز. الموجز في تاريخ الجزائر.
(ط1، ديسمبر 1965م) ج1. ص 183-184.

السلطان العثماني فانه قال: "ان شروطا من هذا النوع ليست من عمل رجال دولة اذكياء ولكنها تشبه كلام مجانين في مرستان..." (1). ويكشف هذا الخطاب عن رد اثار مشاعر الداي فقد اورد الباشا في وثيقته لحكومة الباب العالي "...ان القنصل المذكور بعناده وعجرفته اجاب بعبارات وقحة... وتجرأ فتلفظ بكلام يسيء الى الدين الاسلامي ويمس شرف السلطان..." (2).

ان تصريح الداي الى الضابط بيزار عام 1828م والى لابروتونيار عام 1829م، وما جاء في رسالة قنصل انجلترا عام 1827م، وما ورد في كتاب "المرآة" لحمدان خوجة يؤكد كله ان الباشا تلفظ بعبارات لبقة وانه انما ضرب القنصل الفرنسي لوقاحته وتطاوله عليه.(3).

2- فرنسا تحاصر الجزائر

كانت فرنسا قد أرسلت الضابط كولي (COLLY) على رأس ست بوارج حربية بحرية الى الجزائر وذلك في 12 جوان عام 1827م (4) ليملي مطالب حكومته على الداي الذي واجهها

(1) جوليان، المصدر السابق، ص28.

(2) د/محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث، ط1، 1969م،ص156

(3) د/محمد خير فارس، م.ن،ص 157.

(4) اوقيستان بيرنار، المصدر السابق، ص95.

بالرفض. ولما تصلب الداي في موقفه، فقد أعلن كولي الحصار على الجزائر في 16 جوان عام 1827م. وكان القبطان فلوري (FLEURY) قد وصل في صبيحة 11 جوان على متن الغليوطة (لاطورش) (LA TORCHE) محملا برسالة من البارون دي دماس للقنصل دوفال وبناء على هذه الرسالة فقد أمر دوفال الرعايا الفرنسيين المقيمين في الجزائر بان يغادروها وعلى اثر هذه القطيعة في علاقات البلدين اختارت الحكومة الفرنسية قنصل سردينيا الكونت داتيلي دولاتور (DE LATOUR) قائما باعمالها القنصلية في الجزائر.

وبعد ان قررت فرنسا الحصار على الجزائر كان رد فعل الداي على ذلك ان اصدر اوامره بهدم المؤسسات والمصارف الفرنسية في القالة وعنابة بعد ان اجلا عنهما الجالية الفرنسية وكان ذلك في 26 جوان عام 1827م (1) وقد قدرت خسائر هذه المؤسسات بمليونين ونصف مليون فرنك.

وقد تسبب حصار فرنسا للجزائر في حدوث انقسام في الاوساط الفرنسية الحاكمة فكان كولي من أنصار الحملة والإنزال والاحتلال ولهذا الغرض اوفد مبعوثا عنه هو دوبتي توار (DUPETTIT TOUAR) الى باريس ليدافع عن وجهة نظره هذه. كما كان كليرمون

(1) اسكير. المصدر السابق ص. 68.

دي تونير (CLERMONT DE TONNERRE) وزير الدفاع يشاطره هذا الرأي . (1).

ولكن غالبية الوزارة التي يرأسها دي فيلال (DE VILLELE) كانت ترى عكس ذلك فليس الحصار على شواطئ الجزائر في نظرها سوى وسيلة فعالة لتأديب الداي وارغامه على قبول المطالب الفرنسية ولذلك اعطيت الأوامر الى دوفال بأن لا يبرح الوحدات البحرية المحاصرة للجزائر. وقد عد هذا الاجراء دليلا على ما كان يراود ذهن السياسة العليا في باريس من أوهام واطماع في رؤية الداي يقوم بتنفيذ بعض الشروط. ولعل السبب الحقيقي لإعراض فرنسا في هذا الوقت عن شن حملة على الجزائر يعود اساسا الى انهماكها في قضايا اليونان بصفة خاصة والشرق بصفة عامة: ومعلوم ان فرنسا كانت مرتبطة مع كل من روسيا وانجلترا بموجب معاهدة لندن المبرمة يوم 26 يوليو 1827م وتقضي هذه المعاهدة بان تتوسط الدول المتحالفة في النزاع القائم بين تركيا واليونان، كما نصت ايضا على أن هذا التوسط يدعم بقوات مشتركة، وفعلا فقد تم ارسال هذه القوات الفرنسية الى نافارين (NAVARRIN) حيث دارت المعركة الشهيرة في 20 ديسمبر عام 1827م. ولذلك اكتفت الحكومة الفرنسية بعملية الحصار على نيابة الجزائر.

لقد كان الحصار الفرنسي على الجزائر باهظ التكاليف محفوفا

(1) اوقيستان بيرنار م. ن ص .ن.

بالمخاطر والاتعاب ففي شهر ماي عام 1830م تمكنت بعض القبائل الجزائرية في نواحي دلس من ذبح ستة وثمانين من الرعايا الفرنسيين بيعت رؤوسهم في مدينة الجزائر بخمسمائة فرنك للرأس الواحد كما أُسر الباقون (1)

ويذكر بعض المؤرخين الفرنسيين ان الجزائريين حاولوا فك الحصار العسكري فجهزوا لذلك اثني عشرة عمارة بحرية حربية مجهزة ب 252 مدفعا وعلى متنها 3200 رجلا، واختاروا ليلة المولد النبوي الشريف لتنفيذ عمليتهم الهجومية (2).

وفعلا فقد غادر الاسطول الجزائري ميناء الجزائر في ليلة 4 اكتوبر(3) وكان يشتمل على فرقاطة كبيرة واربع نقائر (CORVETTE) مسلحة بحوالي عشرين الى اربعة وعشرين مدفعا عيار 6و18 وعدة قطع من الغليوطات يتراوح عددها بين ست وثماني.

اما القوة البحرية الفرنسية فكانت تتكون من ست سفن حربية

(1) اوقيستان بيرنار المصدر السابق . ص.ن.
(2) برانس، سكست دي بوربون .
(PRINCE SIXTE DE BOURBON) آخر حملة الملك. (باريس، 1930م)
LA DERNIERE CONQUETE DU ROI. ص.37
(3) يرى اسكير ان ذلك وقع في ليلة 3 اكتوبر. راجع كتابه. احتلال الجزائر . ص82.

مجهزة بـ 170 مدفعا وهذه اسماء السفن الفرنسية امفيتريت، لاقا لاتـــــــــي (LAGALLATEE ENFITRITE,) ليربيكلفوم (BERKELEFOME)، لاسـيـقـوني (LACIGONE)، لاكـونونيـار (CANNONIERE)، لاشـامـبـينواز (LA CHAMPINOISE) وعلى الساعة الثانية عشرة وثلاثين دقيقة بعد منتصف النهار بدأ القتال فهاجمت اربع مراكب جزائرية فرقاطة قائد الحصار كولي بينما اقتحمت بقية المراكب الاخرى الوحدات البحرية الفرنسية، وقد روى شاهد عيان الماني ان الجزائريين قاتلوا بشجاعة ولكن صمود الفرنسيين كان عنيفا؛ استمر القتال ساعتين وعلى حين بغتة انسحبت العمارات الجزائرية، ويزعم مؤرخ فرنسي ان الداي استقبل ببرودة رياس الوحدات البحرية التي شاركت في هذه المعركة فأنبهم (1) وعندما نتتبع المصدر الفرنسي المذكور فانه يروي لنا القصة الاتية:

كانت بعض السفن الجزائرية الحربية قد تعرضت لسفينة تجارية فرنسية لارلكان (ARLEQUIN) عام 1827م فأسرتها وقد قرر الفرنسيون ان يفتكوا سفينتهم المأسورة في شاطئ مدينة وهران فاغتنموا شهر رمضان لتنفيذ هذه العملية ففي ليلة 21 ماي 1828م على الساعة الواحدة صباحا كانت السفينتان الفرنسيتان لاليرت (LALERTE) ولادونيس (LADONIS) قد اقتربتا من الارض حتى

(1) برانس سكست دي بوربون. المصدر السابق ص37.

كادتا تلتصقان بالسفينة المحجوزة. وكان عدد من البحارة العثمانيين يحرسونها . عند هذا تقدم فيترول (vitrol) هوورجاله شاهرين سيوفهم، وفجأة سمع الحراس العثمانيون حركة المتسللين ففروا من مخافرهم،ولكن الخفراء من الاهالي اعطوا الاشارة بالنفير فاستفاقت المدينة من نومها على دوي مدافع التحصينات ودك بطاريات السواحل. غير ان الفرنسيين المغيرين كانوا قد تمكنوا من تهريب السفينة لارلوكان (ARLEQUIN) (1).

بدأ الحصار الفرنسي على الجزائر بسبع عمارات بحرية ثم زيد هذا العدد فاصبح اثني عشرة عمارة وانتهى اخيرا بثماني عشرة عمارة حربية طوقت موانئ النيابة لتمنع عليها مصادر التموين (2). وفي شهر اوت من عام 1827م اكد قائد الحصار كولي انه منذ بداية العام لم يسجل أي نشاط للبحارة الجزائريين فلم يغادروا ميناء الجزائر (3) فقد ذكر بعض الفرنسيين ان ملك السويد ارسل في 4 أوت 1827م السفينة لورفي (LORFIE) محملة بالذخائر الحربية كإتاوة سنوية الى داي الجزائر ويؤكد عين المصدر ان هذه السفينة تعرضت لهجوم قوات الحصار (4) الفرنسي فاقتادتها اسيرة الى

(1) برانس سكست دي بوربون. المصدر السابق ص39-40.
(2) جوليان. المصدر السابق.ص29.
(3) اسكير. المصدر السابق.ص 82.
(4) اسكير م.ن.ص 81.

ميناء طولون (PORT DE TOULON) كما اسرت عمارة جزائرية واخرى تونسية في 14 سبتمبر عام 1827م كانت اولاهما تحمل الحبوب وثانيتهما تقل على متنها الملح.

وفي شهر مارس من عام 1828م شوهد البحارة الجزائريون في شطوط سردينية، وجزر الباليار وحتى في شواطئ بروفنس (1) وفي 7 أبريل 1828م تعرضت باخرة ايطالية لسفينة جزائرية فاقتادتها اسيرة الى كاجلياري. وفي ليلة 3 ماي تمكن طاقم هذه السفينة من الهروب على متن زورق حربي سرديني (2) وفي هذا الوقت الذي أحكمت فيه فرنسا حصارها على الموانئ الجزائرية كانت السوق السوداء الوطنية تتعامل مع بعض الاطراف الاوربية الاخرى (3) وكان الداي حسين يتوقع للحصار الفرنسي على شواطئ الجزائر نتيجة شبيهة بالعمليات السابقة التي انتهت الى ضربة سيف في الماء اذ كان القنصل الانجليزي ما ينفك يسدى اليه النصائح بالعدول عن كل حل سلمي.

ولقد شهد عام 1828م انقساما كبيرا في مجلس الوزراء الفرنسي عن فعالية واهداف الحصار على الجزائر فان كليرمون دي تونير وزير

(1) اسكير. المصدر السابق.ص82.
(2) اسكير م.ن.ص ن.
(3) اسكير.م.ن.ص.ن.

الدفاع (الذي كان يمثل الحزب اليميني المؤيد للإحتلال) قد رأي في الحملة امتدادا للحروب الصليبية وعملا على تمدين السكان الاصليين البلاد وبالتالي على تنصيرهم، وفي هذا المعنى خاطب ملكه شارل العاشر بما يأتي:" لقد ارادت العناية الالهية أن تثار حمية جلالتكم بشدة في شخص قنصلكم على يد ألد اعداء المسيحية ولعله لم يكن من باب الصدفة (كذا) ان يدعى ابن لويس التقي لكي ينتقم للدين وللإنسانية، ولاهانته الشخصية في نفس الوقت، وربما يسعدنا الحظ بهذه المناسبة لننشر المدنية بين السكان الاصليين وندخلهم في النصرانية "(1) وقد عدد كليرمون دي تونير فوائد الاحتلال للجزائر فلخصها في الاتي : يشكل الاحتلال قاعدة للتخلص من معاهدة فيينا التي ينص احد بنودها على عدم اجراء اي تغيير اقليمي من غير موافقة الحلف الرباعي. هذا ما كان تونير يراه في ميدان السياسة الخارجية بالنسبة الى مشروع الغزو. اما انعكاسات ذلك على محور السياسة الداخلية فيوجزها بقوله:"إن شعبا معروفا بالشعب مثل الشعب الفرنسي، لابد له من حين الى آخر ان يرى حوادث خطيرة تخرج به عن الحياة المألوفة، واحتلال الجزائر سيغذي هذا الخيال وسيمكن الملك من حل البرلمان الذي قويت فيه المعارضة". ويرد الوزير الفرنسي على كل الذين يدعون أن الحملة تكلف فرنسا تكاليف مالية بالغة بان خزينة القصبة كافية وحدها لتغطية هذه المصاريف بما تعج به من اموال عظيمة تقدر بحوالي 180مليونا من الفرنكات. ويشكل

(1) د/ صالح العقاد. المصدر السابق.ص86

الاحتلال في تصور تونير ثروة طبيعية ويعوض فرنسا ما فقدته من مستعمراتها القديمة (1)

وقد كتب تونير تقريرا إلى كل من الملك ومجلس الوزراء جاء فيه على الخصوص:

"إنني جد متأسف على ضياع فرصة نحقق فيها مجدا..." ويسرح الخيال بتونير فتتراءى له الاحلام قريبة المنال سهلة الوصول فيمني نفسه قائلا: "انظروا الى الخير الذي جلبته حرب اسبانيا، أليس جميلا ان حطمنا ثوار اسبانيا، ثم نحطم بعد ذلك طغاة افريقيا (2) وقد ذيل تونير حاشية تقريره هذا بهذه العبارة " قرء بالمجلس في 14 أكتوبر 1827م امر الملك بالانتظار. 16 اكتوبر 1827م".

كانت الحكومة الفرنسية تؤمن بفعالية الحصار على الجزائر. يظهر ذلك من تصريح الملك شارل العاشر الذي اورد في هذا الصدد ما يأتي:" ان حصارا شديدا يكفي لعقاب الجزائر وحماية التجارة الفرنسية، وقد كانت الاوساط المسؤولة كلها تميل تقريبا الى الاخذ بهذا الرأي. ففي 9 مارس اجاب النواب البرلمانيون الملك بقولهم :"

(1) د/ صلاح العقاد. المغرب العربي. القاهرة. مكتبة الانجلو المصرية 1969م ص 85.
(2) اسكير. المصدر السابق ص 81.

اننا مستريحون بشدة للإجراءات التي حددتها جلالتكم لحماية تجارتنا والانتقام للشرف الفرنسي (1) وفي 5 يناير 1828م سقطت وزارة دي فيلال (DE VILLELE) لتعقبها حكومة مارتينياك. ولم يكن مارتينياك كثير الاعتماد على العناصر اليمينية المتطرفة، كما ان وزيره للخارجية دي لافورنيه (DE LAFOURNEY) لم يكن هو الاخر من انصار تقسيم املاك الدولة العثمانية مع الحكومة الروسية مما أبعد فكرة الاحتلال في هذا الوقت. اما جل نواب هذه التشكيلة الوزارية فانهم كانوا يجهلون اهمية المسألة لانهم ينظرون اليها من نافذة شبه مغلقة اعني بها ضخامة النفقات المالية للحصار. ولعل اكبر دليل على ذلك هو ان صائفة عام 1829م لم تشهد سوى نائبين اثنين تصديا للدفاع بحرارة عن تأييد مشروع الحملة والانزال. ولذلك لجأت حكومة مارتينياك الى مفاتحة الداي لعلهما يدخلان في مفاوضات ثنائية. ولكن حكومة مارتينياك كانت تبحث في الوقت ذاته عن حل يتجاهل الحقوق المشروعة للجزائر مما أبعد اخيرا اي احتمال للتقارب بين الطرفين المتخاصمين.

وكان لوجود عدة قطع من الاسطول الفرنسي في كل من اسبانيا والبرازيل، ووقوع بعض الوحدات البحرية الاخرى في الاسر خلال عمليات حربية على الارجنتين كان لهذه العوامل مجتمعة اثرها البعيد في مجرى السياسة الفرنسية فاقترح دي لافورنيه في مذكرة

(1) برانس سكست دي بوربون. المصدر السابق. ص57.

وجهها الى الملك شارل العاشر يوم 19 يناير 1828م ان تسوي فرنسا مشكلاتها مع الجزائر بالتعاون مع دول اوربا ووالي مصر محمد علي وابدى اعتراضه للحملة المقترحة بدعوى انها ستشكك اوربا في السياسة الفرنسية وتثير حقد بريطانيا بالذات.

3- الجزائر وفرنسا تبحثان عن حل للأزمة:

لقد اثر الحصار العسكري على اقتصاد الحكومة الفرنسية فكلفها 21 مليون فرنك خلال ثلاثة اعوام فوجدت نفسها مضطرة ان تعيد النظر في سياستها نحو الجزائر.

ولهذا اجريت عدة محاولات فرنسية للدخول في مفاوضات مع الداي لحمله على الانقياد وعندما آنس قنصل انجلترا استعدادا من الباشا للمباحثات مع الحكومة الفرنسية فانه اشعرها بهذا التحول الجديد في سياسة الداي فرحبت فرنسا بذلك خاصة وان الحصار قد طالت مدته فسمحت لقائدها "كولي" ان يتباحث مع الباشا "عن تبادل الاسرى كحجة للإتصال به" (1) وأعلنت فرنسا عن رغبتها في ان تنزل للداي عن طلب الاعتذار لكن بشرط ايجاد حل مشرف لخلاف البلدين. وفعلا فقد تم الاتصال بين الباشا وممثل الحكومة الفرنسية في هذه المفاوضات الضابط (بيزار) (BEZARD) وبعد

(1) قزال. المصدر السابق .ص193.

مراسيم الاستقبال سأل الداي مندوب فرنسا عن الدوافع التي عجلت بحكومته الى أن تعلن الحرب علِى الجزائر قبل ان تفهم وجهة نظرها في الموضوع. كما أكد الداي للمندوب الفرنسي ان قنصل بلاده دوفال كان دوما بسلوكه غير المحمود سببا في خلق المشكلات بين الجزائر وفرنسا اذ أنه -اي الداي- لم يضربه بالمروحة وانما الذي حصل فعلا هو أنه اشار بها اليه فأصابت جنبه فقط (1) وفي آخر المقابلة اكد الداي لرئيس الوفد الفرنسي ان الجزائر مستعدة للسلم كما أنها مستعدة للحرب.

وقد عدلت الحكومة الفرنسية شروطها المجحفة فطالبت هذه المرة بأن يعلن الداي امام القناصل الاجانب انه لم يكن ابدا ينوي الاساءة الى الملك، ثم يقوم بعد ذلك بارسال وفد عنه ليؤكد الاعتذار ذاته الى الملك وقد قبل الداي هذا الاقتراح لكنه اشترط ابرام معاهدة صلح بين الجزائر وفرنسا اولا ثم ينيب عنه بعد ذلك بعثة الى فرنسا لتعتذر للملك الفرنسي شارل العاشر. ولكن فرنسا لم تقبل بهذا الشرط فطلبت من قائد حصارها كولي أن يشدد عملية تطويقه على الموانئ الجزائرية (2)

وفي 23 جوان 1829م عينت فرنسا خلفا جديدا لكولي الذي استقدمته الى بارس هو الرائد "لابروتونيار" الذي زودته بهذه

(1) يحي بوعزيز. المصدر السابق ص185.
(2) يحي بوعزيز م.ن.ص186.

التعليمات:

1- تقوم بعثة جزائرية بالسفر الى باريس لتقدم الاعتذار للملك شارل العاشر.

2- يتعهد الداي باطلاق سراح اسرى السفن البابوية.

3- قبل إعلان الصلح النهائي يجب إبرام هدنة مؤقتة بين الطرفين.

وكما قام داتيلي قنصل سردينيا بإبلاغ المطالب الفرنسية الى الداي الذي رفضها، فان السيد سان جون قنصل بريطانيا قام هو الاخر بحمل شروط الداي الى لابروتونيار، وهذه الشروط هي:

1- نزول فرنسا عن كل ادعاء لها في حصن القالة واحتكار التجارة في عنابة.

2- يتعهد الداي بمنح فرنسا حق صيد المرجان اذا قدمت مبالغ مالية تفوق ما تقدمه الدول الاوربية الاخرى.

3- يمكن تجديد الاتفاقيات السابقة بين البلدين.

4- اذا قبلت فرنسا هذه الشروط، فان الداي يستقبل مندوبها على متن الفرقاطة الانجليزية الراسية امام الميناء.

5- اذا تم عقد الصلح بناء على هذه الاسس، فان مبعوثا عن الباشا سيسافر إلى باريس لتقديم الاعتذار الى الملك باسم الداي (1)

(1) يحي بوعزيز. م.ن.،ص 187.

وكان سيكتب لهذه الخطوات التمهيدية ان تصل الى نتيجة وتنتهي الى غاية لولا ان صدمها حادث اخر كانت الايام تبيته اعني به حادث الباخرة لابروفانس الذي سنتعرض له بعد قليل.

واذا كانت هذه المفاوضات قد انتهت الى شبه قطيعة فان محاولة ثانية للدخول في مباحثات اخرى بدأت تلوح في الافق. ففي المقابلة التي تمت بين وزير البحرية الجزائري والقبطان (أند ريا دي نرسيا) (DENERCIA) وقع الاتفاق على ان يستقبل الداي الكومندان دي لابروتونيار في 30 جويلية عام 1829م وكان لابروتونيار قد وصل الى الجزائر في هذا اليوم على متن الباخرة لابروفانس (LA PRO-VENCE) يصحبه كل من دي نرسيا والمترجم بيانشي (BIANCHIT) وكاتب عام وقد تأجل لقاء الطرفين الى يوم 31 جويلية ففي هذا اليوم اجتمع الوفدان بالقصبة مدة ساعتين نوقشت خلالهما الشروط الفرنسية ولما لم يتوصل الطرفان الى نتيجة ايجابية فقد اتفقا على عقد جلسة ثانية حدد لها يوم 2أوت.

كما خصص فاتح اوت لزيارة الوفد الفرنسي بعض معالم مدينة الجزائر وضواحيها واكد الباشا لاعضاء البعثة أنهم سيلاقون الامن والحماية اينما حلوا. واليك مقتطفات عن الانطباعات التي سجلها بعض اعضاء الوفد الفرنسي: " كان جمع غفير من الناس يزدحم حولنا كلما ذهبنا اوسلكنا طريقنا الى الجزائر (المدينة) على أننا لم نلاحظ عليهم اي نظرة حقد واستطيع ان أؤكد أنني لم اسمع في طريقنا كلمة واحدة نابية علما باني على قسط من المعرفة باللغة

العربية والتركية. ودعنا رئيس المرسى والشخصيات المصاحبة له وداعا وديا. (1).

وقد ترك لنا رئيس الوفد الفرنسي وصفا عن آخر مقابلة له مع الباشا اذ أورد في هذا الصدد ما يأتي (2) وفي صباح 2 أوت تهيأنا للذهاب لمقابلة الداي الذي كان جالسا على مقعد وثير محاطا بكبار ضباطه وسامي قوات حرسه" ويضيف لابروتونيار فيقول " وقد لاحظ لي الترجمان بان العادات التركية تمنع ان يتقدم اي كان مسلحا امام الداي حتى القناصلة كانوا مجبرين ان يتركوا سيوفهم في مقصورة". قال لابروتونيار: " فأجبته باني لست قنصلا بل قائد فرقة في مهمة خاصة باسم الملك ولست اتخلى أنا ولا أصحابي عن اسلحتنا فتظاهر الداي بانه لم يلاحظ هذه المخالفة للقواعد المعمول بها فانتقم من البعثة الفرنسية بتناسيه دعوتها إلى الجلوس (3).

كان هذا اليوم بالنسبة الى الوفد الفرنسي ذا أهمية كبيرة ففيه يتقرر احد امرين : السلم أو الحرب كما أن هذا اليوم اعاد الى ذاكرة اعضاء الوفد الظروف المشابهة للأخطار التي كان اللورد اكسموث قد تعرض لها هو وضباطه، غير ان هذا الاخير كان له من القوة

(1) المجلة الافريقية عدد 21، عام 1877م ص.429.
(2) المجلة الافريقية عدد 21، عام 1877م.ص 427.
(3) برانس مكست دي بوربون، المصدر السابق.ص.86.

العسكرية ما يدعم به المفاوضات. وقد دارت محادثات لابروتونيار مع الداي حسين على النقط الثلاث الاتية:

1- اطلاق سراح المساجين الفرنسيين.

2- ايفاد ضابط سام الى باريس ليعرب للملك بان ما وقع في 30 ابريل 1827م بين الداي ودوفـال لم يكن يراد منه شـتم الملك ولا إساءة الادب الى جلالته.

3- ابرام معادة سلم دائمة بين البلدين وبعد مناقشة طويلة رفض الداي مقترحات الحكومة الفرنسية رفضا قاطعا.

عند هذا لم يتـردد لابروتونيـار في أن يعلن امـام الداي ان ملك فـرنسا سـوف يستـعمل القـوة التي وضـعـهـا الله بين يديه ليدافع عن حقوقه وكرامة عرشـه اذا فشلت وسائل التوفيق كلها. فما كان من الداي الا ان اجابه بقوله : عندي البارود والمدافع..." (2)

وفي يوم 3 أوت اصدر لابروتونيار الامر الى السفينة بالاقلاع من خليج مدينة الجزائر؛ كان ذلك حوالي منتصف النهار وفي اثناء تحرك السفينة فانها اقتربت كثيرا من مدفعية المدينة فردت عليها البطاريات الجزائرية بطلقة اولى وثانية وثالثة.

وهرول أناس كـثـيرون ليحـتل كل منهم مركز دفـاعـه. وفي ظرف

(1) برانس سكست دي بوربون.م.ن ص84.
(2) بول ازان، المصدر السابق.ص 31-33.

ثلاثين دقيقة كانت البارجة لابروفانس قد تلقت ثمانين طلقة مدفع وعددا اخر كبيرا من القنابل والبومبات التي سقطت في مؤخرة البارجة (1) ويعترف الفرنسيون بان السفينة المذكورة قد اقتربت حقا من التحصينات الجزائرية الا أنهم يعزون ذلك الى شدة هبوب الرياح. وإذا كان هذا الحادث العارض قد اقام الحكومة الفرنسية ولم يقعدها فان الداي حسين تبرأ منه فأقال وزيره للبحرية وعاقب المسؤولين عليه كلهم بان طردهم من مراكز عملهم (2).

ويؤكد بعض المؤرخين الفرنسيين (3) أن وزير الخارجية الفرنسي اشعر لابروتونيار في 18 أوت 1828م أنه حمل قنصل سردينيا بالجزائر بفتح مفاوضات مع الداي.

كان الوزير يطلب من الباشا الإعتراف بانه لم يكن في نيته ابدا شتم الملك وسبه عندما ضرب القنصل الفرنسي دوفال.

وبعد الفشل الذريع الذي الت اليه هذه المداولات كلها فإن قنصل سردينيا قد أبرق إلى باريس بما معناه " أن كل شيء قد انقطع نهائيا، إن الحرب بعد كل شيء ستتولد عنها أطيب النتائج للتجارة، لسلام المسيحية وأمنها وطمأنتها وسعادة الإنسانية. (4).

(1) المجلة الافريقية، عام 1877م، عدد 21، ص 430-431
(2) م.ن.ص433.
(3) برانس سكست دي بوربون. المصدر السابق.ص 65
(4) برانس سكست دي بوربون.م.ن.ص66.

الفصل الثالث

مشروع الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1830م

1- الوضع السياسي في فرنسا قبل الإحتلال:

عندما فقدت فرنسا امبراطوريتها الاستعمارية عقب هزيمة نابليون عام 1815م فانها نزلت لانجلترا عن بعض مستعمراتها

القديمة. ولذلك يجمع معظم المؤرخين على أن احتلال فرنسا للجزائر كان يشكل بداية لظهور امبراطورية توسعية جديدة كما يعد احياء للسياسة الفرنسية الاستعمارية (1).

وقد قام اقطاب السياسة الفرنسية الاستعمارية بعملية تمهيدية لتنفيذ فكرة الاحتلال فخاطبوا المشاعر باسم الدين تارة، والهبوا العواطف بالتلميح لخيرات الجزائر تارة اخرى.

ففي 9 ابريل 1816م تقدم شاطوبريان الى البرلمان الفرنسي باقتراح يقضي باستعمار بلدان المغرب نقتطف منه هذه الجمل: "لقد رأيت أيها السادة انقاض قرطاجنة، والتقيت بين تلك الاثار مع الذين (كذا) خلفوا اولئك المسيحيين المساكين الذين قدم سان لوي (SAINT LOUIS) حياته فداء تحريرهم... إن عدد هذه الضحايا يتضاعف كل يوم. اليس يتعين على الفرنسيين الذين خلقوا للمجد والاعمال العظيمة ان يكملوا العمل الذي شرع فيه اسلافهم؟ ففي فرنسا وقعت الدعوة للحرب الصليبية الاولى، وفي فرنسا يجب ان نرفع رايات الحرب الصليبية الاخيرة) (2).

وفي عام 1820م ظهر كتاب بباريس يحمل عنوان (قصة اقامة

(1) د. صلاح العقاد. المغرب العربي. القاهرة. مكتبة الانجلو المصرية 1969م. ص85.
(2) الميلي. المصدر السابق.ص283.

في الجزائر" يشرح فيه صاحبه مزايا الاحتلال الفرنسي للشمال الافريقي ويبين فيه كذلك اهمية هذه البلدان وما تمثله بالنسبة الى الإستيطان الفرنسي.

وفي عام 1825م اتصل وزير خارجية فرنسا البارون دي داماس (LE BARON DE DAMAS) بوثيقة هذا عنوانها " مذكرة عسكرية عن الجزائر" يري صاحبها ان احتلال مدينة الجزائر يتوقف اساسا على حصار بري تكون جزيرة سيدي فرج قاعدة لانطلاقه. ولمزيد من المعلومات الضافية يقول صاحب المذكرة "... ان من اسباب فشل هجوم شارلكان (CHARLES QUINT) عام 1541م على مدينة الجزائر هو جهله المطبق بالمكان الملائم لنزول الحملة (1) وفي 8 جوان 1827م وجه شخص مجهول مذكرة الى الحكومة الفرنسية يحثها فيها على ضرب مدينة الجزائر من الخلف فقد اوصى بما يأتي: "واستولت على مدينة الجزائر من الخلف فانها تستطيع بفضل هجوم جريء ان تستولي على كنوز القصبة، وتجد في ذلك تعويضا عادلا عن تكاليف الحرب) ويستطرد هذا التقرير فيضيف: "لئن كانت الحملة ضد (كذا) الجزائر بحرية... فيخشى عليها ان لا تكلل بالنجاح المرغوب (2).

(1) الميلي. المصدر ز لاسابق.ص284.
(2) الميلي. المصدر السابق ص.ن.

وكما وجه بارسي بوكاج (BARCY BOUCAGE) رسالة الى وزارة الخارجية الفرنسية بهذا العنوان "مذكرة سياسية "في اخر اوت 1827م- وهي الفترة التي ضربت فيها فرنسا حصارا بحريا على الجزائر تمهيدا للشروع في تنفيذ عملية الاحتلال- يتحدث فيها عن تسوية الخلاف بالطرق السلمية ان كانت فرنسا تفضل الحلول الدبلوماسية، كما يقدم فيها توصيات تتعلق بالجانب العسكري ان كانت حكومته ستلجأ الى اتباع طريقة الحرب.

وتزيد هذه المذكرة فتوصي بما يأتي: "انني مقتنع باننا سنتوصل بخمسة عشر الف رجل والمدفعية الريفية الى تحطيم هذا الجيش (اي التركي) الذي يتركب من عناصر مختلفة، ومن شعوب مستعدة لان تنفض عن نفسها النير التركي ان بدت لها امكانية ذلك.

وعندما نستولى على مرتفعات مدينة الجزائر فاننا نصبح قريبا سادة الجزائر والداي وبواخره وكنوزه التي تستطيع ان تسد جزءا من نفقات الحرب."(1).

وكان بوكاج يرى ان الاحتلال يجب ان يمتد من ميناء ارزيو الى ميناء مدينة جيجل.

اما النائب البرلماني المحافظ ليني دي فيلفاك (DEVILVAQUE) فيلخص مزايا احتلال الجزائر على النحو الاتي:

(1) الميلي. المصدر السابق ص284

1- يعوض الاحتلال ما فقدته فرنسا حتى حدود منطقة الرون

2- يحقق الاحتلال (استقرار الا من العمومي) لانه (يمتص ذلك الجمهور من الشباب المتحمسين المندفعين الحائرين الذين يبرزون من كل ناحية بعد كل ثورة كبرى" (1). واما وزير الدفاع كليرمون دي تونير (CL. DETONNERRE) فانه لا يفرق بين الاسباب الداخلية الفرنسية والخارجية لعملية غزو الجزائر اذ انه يربط بين كل هذه العوامل عندما يقول: " لن يكون امتيازا طفيفا للملك عندما يتقدم جلالته طالبا نوابا جددا من فرنسا ومفاتيح الجزائر في يده "(2).

وكان القناصل الاوربيون يتبادلون وجهات النظر عن انجع الوسائل لعملية احتلال الجزائر فهذا قنصل فرنسا في مدينة (توسكان) انذاك (وهو الشاعر لامارتين) يكتب الى وزارة الخارجية الفرنسي فيقول: " وصل قنصل الدانمارك بالجزائر الى فلورنسا وما تحصلنا عليه من احاديثه يؤكد ما هو متوقع من زمان وهو ان محاصرة الجزائر عن طريق البحر لن يؤدي الى اي نتيجة لان التجارة ليست شيئا هاما بالنسبة الى مدينة الجزائر، إنه يعتقد مثل كل الناس ان سبعة او ثمانية من الجند كافون لاحتلال المدينة انطلاقا من البر" (3). وفي عام 1828 م تقدم قنصل فرنسا في تونس الى حكومته

(1) الميلي م.ن ص285.
(2) الميلي م.ن.ص.ن.
(3) الميلي م.ن.ص.ن

بوضع يدها على الشرق الجزائري. وتتلخص فوائد الاحتلال في رأي القنصل فيما يأتي:

1- وقوع باي تونس تحت تأثير النفوذ الفرنسي لانه دائم التخوف من داي الجزائر

2- تعميم الاستعمار الفرنسي من شرق البلاد الى غربها

3- فتح المجال واسعا امام ازدهار الاسطول التجاري الفرنسي.

ويعزو بعضهم اسباب تأجيل فرنسا لتنفيذ مشروعها الاستعماري في الجزائر الى اسباب كثيرة اهمها : وجود القوة البحرية موزعة في كل من نافارينو بقيادة الاميرال دي ريني (DE REGNY) من جهة، والبرازيل من جهة اخرى (1) وامام هذا الوضع فقد وجدت فرنسا نفسها محرومة من أهم اداة لتنفيذ فكرة الاحتلال. ولنعد الان الى تحليل بعض الاسباب الاخرى التي حملت فرنسا على غزو الجزائر وهي اسباب تتمثل في جهاز حكومة البوربون نفسها، تلك الحكومة التي اعادها الحلفاء الى العرش، والتي راحت تبحث عن نصر خارجي تغطي به موقفها الذي اذلت به الشعب الفرنسي والتي ظهر عجزها كذلك في تعديل خريطة اوربا الجديدة عقب معادة فيينا (VIENNE) وان هذه الحكومة قد عملت على الاستفادة من ازمة

(1) الميلي م ن ص 286.

الجزائر لتكسب الرأي العام الفرنسي الى جانبها في حملة الانتخابات المقبلة (1).

ولا يفوتنا ان نجلب الانتباه الى العامل الديني وما كان له من اثر حاسم في احتلال فرنسا للجزائر. فقد كان الملك شارل العاشر معروفا بتعصبه الديني واتجاهه الموالي لحزب الكنيسة. وليست الملكية ولا حاشيتها هي التي اظهرت عداء لما حققته الثورة الفرنسية من مكاسب سياسية واقتصادية واجتماعية فقط، فان رجال الاعمال واصحاب الأسطول قد حقدوا هم الآخرون على كل الذين تعاونوا مع الثورة وعملوا على تعميم العدالة والمساواة بين طبقات المجتمع الفرنسي. إن الثورة قد قضت على إقطاعات كثيرة وهدمت صروحا بنيت على انقاض اشلاء الكادحين، وان الامبراطورية قد وضعت حدا للأرباح الطائلة وإزاء هذا التغيير العميق الذي خضع له المجتمع الفرنسي فكر غلاة الاستعمار في البحث عن حلفاء لهم بين صفوف هذا المجتمع ذاته يساعدونهم في إحياء تجارتهم وبعث مجدها الغابر، وإيجاد أسواق لهم في الخارج لتصدير منتوجاتهم وبضاعتهم وقد وجدوا ضالتهم المنشودة في الجيش الفرنسي ذاته الذي كان يعاني هو الاخر عار هزيمته الشنعاء التي ألمت به في معركة واترلو الشهيرة (2) والذي اصبح يتلمس معالم الطريق لمحاربة محو اثار هذا

(1) د/ صلاح العقاد. المصدر السابق.ص86

(2) هي معركة واترلو الشهيرة التي انهزم فيها نابليون امام الدول الاوربية الاخرى عام 1815م. الكاتب

الانهزام الفظيع وقد ساعد الجيش الفرنسي على هذا الشعور إعادة بناء وحداته البرية والبحرية خاصة إذا علمنا ان تشكيلات من الجيش قامت بعرض قواتها في إسبانيا وبلاد اليونان عام 1829م. (1).

ولما أصبح خوض غمار الحروب في القارة الاوربية مقصورا على القوتين الكبيرتين بريطانيا، والنمسا وليس هناك مجال لمواجهة الجيش الفرنسي لهما فقد اتجهت انظار القيادة الفرنسية إلى الجهة الأخرى من البحر المتوسط أعني بها الجزائر. يقول بعض الكتاب "والوثائق التاريخية تشير كلها الى ان بريطانيا والنمسا قد شجعتا الملك شارل العاشر على غزو الجزائر لان ذلك يساعد صديقهم الملك الفرنسي في المحافظة على عرشه والبقاء في الحكم مدة اطول" (2).

وكانت الجزائر بموقعها الاستراتيجي الحساس تراود مشاعر انجلترا وفرنسا في التنافس للسيطرة على هذه القاعدة البحرية الممتازة. فكانت بريطانيا ترى ان وقوع الجزائر بين مضيق جبل طارق وجزيرة مالطة يساعدها على التحكم في طرق المواصلات البحرية بالبحر المتوسط.

(1) برانس سكست دي بوربون. المصدر السابق.ص94.
(2) د/ عمار بوحوش (الارض والهجرة)
مجلة الاصالة العدد 11 (السنة الثانية،
نوفمبر- ديسمبر 1972م) ص123.

كما كانت هذه الاحلام ذاتها تستأثر باهتمامات نابوليون في حربه على الانجليز. ومن ناقلة القول التذكير بان حصول فرنسا على هذا المرفإ البحري- اي الجزائر- يسمح لها ببسط نفوذها على المسطحات المائية انطلاقا من قاعدتها البحرية (طولون) شمال وجنوب التراب الفرنسي وانتهاء الى مشارف بلاد الجزائر. وكان هذان العاملان الاستراتيجي والاقتصادي يمثلان نقطة ارتكاز في العلاقات الجزائرية الفرنسية مدة طويلة.

ولهذه الغاية بالذات حاولت فرنسا على الدوام ان تمنع بريطانيا ان تستفيد من هذين العاملين. والى هنا يتضح لنا المدى البعيد لتعلق السياسة الفرنسية الشديد بفكرة احتلال الجزائر (1) فمن مطامع استعمارية اقتصادية تتمثل في تلهف فرنسا على ثروات الجزائر الطبيعية، الى فشل ذريع في سياستها على الصعيدين الداخلي والخارجي، واخيرا الى التنافس مع العدوة التقليدية بريطانيا في التسابق لبسط الهيمنة الاستعمارية على طرق المواصلات البحرية (2)

على ان بعض المؤرخين الفرنسيين لايتورع في الدفاع عن رأي يحاول به تسويغ احتلال الجزائر بانه قضية لا تمت بصلة لكل ما اوردنا من اسباب، وانه (اي الاحتلال)، لا يعدو ان يكون مجرد نتيجة

(1) يرى الجنرال، بول آزان ان فقدان فرنسا لنفوذها في الجزائر خاصة في الميدان التجاري قد جعلها ترغب في الحصول على ذلك من جديد. انظر كتابه. حملة الجزائر ص 17.

(2) د/ جلال يحي. المصدر السابق.ص 85- 86.

حتمية لقضية الحبوب وما ترتب عنها من ديون انتهت الى ضرب الداي حسين للقنصل الفرنسي بمذبته.

فقد قال هذا المؤرخ ما يأتي: "لم يكن تدخل فرنسا مدفوعا باهتمامات سياسية عامة أو رغبة في توسع استعماري. بل كان له سبب عرضي وهو النزاع الذي ثار بصدد تسوية قضية توريد حبوب تم في عهد الجمهورية من جانب اثنين من اليهود الجزائريين بكري وبوشناق (ابن زاهوت وبوجناح) ولم يكن قد دفع ثمنها عند سقوط نابوليون" (1) ولعل اصدق ما نرد به على مزاعم هذا الكاتب المتحيز ما ساقه احد الكتاب الكبار في هذا الشأن اذ اورد ما يأتي:"لقد اغفل الفرنسيون بعض الاسباب الحقيقية للحملة فلم يتعرضوا لها بالذكر، ذلك ان الحكومة الفرنسية ارادت ان تتملص من دفع ديون الجزائر التي اسعفتها بها ابان ثورتها 1789م دون فائدة، كما كان للتزاحم بين بريطانيا وفرنسا دوره في هذا الاحتلال بهدف ايجاد امبراطورية توسعية على حساب الشعوب التي بدأ الهرم يدب الى اجهزتها المتداعية والتي لم يقيض لها ان تأخذ باسباب الثورة الصناعية التي ظهرت في اوربا في بداية القرن التاسع عشر(2).

وعندما كان "دي فيلال" على رأس الحكومة الفرنسية، كان اعداؤه الكثيرون يعيبون عليه فساد سياسته في الداخل وفشلها في الخارج.

(1) الزال، ومارسيه، تاريخ الجزائر ص121.

(2) د/ ابو القاسم سعد الله. الحركة الوطنية الجزائرية (منشورات دار الاداب- بيروت). طب 1، 1969م. ص21-22.

وليسترد دي فيلال مركزه السياسي فقد رفع صوته عاليا ليندد بخطإ داي الجزائر. فاعلن ان الملك الفرنسي يعرف كيف ينتقم انتقاما مدويا لكرامة وشرف الشعب الفرنسي. (1) وكان دي فيلال يعتقد ان هذا التهديد يكفي لاخضاع الداي حسين. ولكن آماله قد انهارت عندما لم يكترث الباشا بوعيده وبدلا من ان يذهب دي فيلال الى اقصى حد في اجراءات ردع الداي، فقد اكتفى بوسيلة هي بين بين، وهي حصار مدينة الجزائر، ولكن الباشا سخر من الحصار كما سخر من التهديدات قبله. وهكذا فان القضية التي كان السيد دي فيلال يعتمد عليها في جذب الراي العام اليه لم تفده الا في توريطه اكثر واكثر (2).

وقد استعملت الاطراف المتنازعة كلها في فرنسا قضية الجزائر للوصول الى اهدافها وبلوغ مراميها وسترعيو بها.

واذا كان الحلفاء الاوربيون قد اعادوا أسرة البوربون (BOUR-BON) الى الحكم في فرنسا رغما عن ارادة شعبها فان شعب هذه الامة بقي متشبثا بالروح الديمقراطية التي نفختها فيه ثورة 1789م فلم تستطع الحكومة الملكية العائدة بحكمها السيء وفضائحها الصارخة ان تلغي القوانين التي سنتها الثورة وشرعها

(1) دي رينو. المصدر السابق.ص 18.

(2) دي رينو.م.ن.ص.ن.

نابوليون او تنال منها (1) وكان الملك الفرنسي شارل العاشر كثير الاستبداد برأيه والتمسح باهداب رجال الدين ولعل قولته المشهورة تؤكد لنا ما عرف عنه من هذه الميول "خير لي ان اكون حطابا من ان املك على شاكلة ملك انجلترا" (2) كما ان رئيس حكومته بولينياك قال عنه "... انه يدبر كل شيء، لست الا الكاتبه الاول..." (3) لقد اصدر الملك شارل العاشر قوانين تعسفية تستهدف المعاقبة على الالحاد الديني، ودفع تعويضات مالية للنبلاء الذين هاجروا بعد قيام الثورة. كما اصدر امرا ملكيا يتعلق بتسريح الحرس الاهلي. وكان هذا الحرس قد نظم مظاهرات يؤيد فيها الاصلاح الدستوري. وكما راجت بعض الاشاعات بان الملك اقر العزم على الغاء النظام الدستوري واحلال النظام القديم محله. وابرز ما يؤكد لنا اقدامه على تحقيق هذه الظاهرة الاخيرة هو اقالته لوزارة " مارتنياك" ودعوته لجول دي بولينياك في 8 أوت 1829م الى تشكيل وزارة جديدة اسندت فيها وزارتا الحربية والبحرية الى كل من دي بوربون والبارون دي هوسى على التوالي. وكان هذان الاخيران معروفين بنزعتهما الاستعمارية وتفكيرهما الرجعي شأنهما في ذلك شأن وزيرهما الاول الذي هاجر الى أوربا قبل ان تستفحل الثورة، وسجن في عهد الامبراطورية

(1) هـ.ا.ل. فشر. تاريخ اوربا-تر.احمد نجيب هاشم، ووديع الضبع دار المعارف بمصر، طب5). ص135.
(2) فشر. المصدر السابق.ص139.
(3) اوقستان برنار. المصدر السابق.ص96.

وتصدى للدفاع بحرارة عن الملكية ، الملكي، ورفض اخيرا ان يؤدي يمين الولاء لدستور عام 1815 م (1)

وعندما صممت الحكومة الفرنسية على التخلص من مشكلة الجزائر فان فكرة تقسيمها (اي الجزائر) بين بعض الدول الاوربية قد راودت ذهن بعض ساسة الفرنسيين حينا من الوقت فقد اهتدى بولينياك الى هذا ا

1- يجب ان يتم فرض سلم دائمة على الداي ثم يتم الانسحاب من مدينة الجزائر.

2- تجرد الجزائر من وسائلها الدفاعية التي شجعتها كثيرا على احتقار اوربا ثم تفرض شروط على حكومتها.

3- يدمر ميناء مدينة الجزائر ويردم بالحجارة تفاديا لبعث قوة بحرية جديدة.

4- ينصب ملك بربري او عربي تساعده حكومة وطنية اما الداي وحاشيته وجنوده الانكشاريون فيتم ترحيلهم الى آسيا.

5- بعد ان تحطم مدينة الجزائر يسمح للسلطان العثماني ان

(1) فشر. المصدر السابق.ص140.

يسمي مجرد ممثل له في نيابة الجزائر.

6- تسلم مدينة الجزائر الى حكومة جزيرة مالطة

7- التمركز في مدينة الجزائر والاستعمار الشامل لمنطقة الساحل فقط. ولن تعارض روسيا وبروسيا هذا الاتجاه.

8- تقسم البلاد الجزائرية من الشرق الى الغرب بين دول البحر المتوسط. فتستعمر النمسا مدينة عنابة، وتتولى سردينيا ادارة مدينة سطورة (سكيكدة)، وتوساكنيا تستوحذ على مدينة جيجل، وتستاثر حكومة نابل بمدينة بجاية، وتنفرد فرنسا بمدينة الجزائر، وتستقل البرتغال بمدينة تنس وتستوحذ انجلترا على مدينة ارزيو، واخيرا تصفي الحكومة الاسبانية حساباتها القديمة مع مدينة وهران. (1)

2- موقف الدول الاوروبية من الحملة:

ولما كان ملك سردينيا شارل فيلكس (CHARLES FELIX) يحلم بشن حملة على تونس وطرابلس ويريد التخلص من الجزية السنوية التي يدفعها الى حكومة الداي في الجزائر، ومن الاهانات المتتالية التي كان يتحملها رعاياه التجار فقد طلب نصيبه

(1) هنري نوجير، حملة الجزائر 1830م. باريس.ص 51-52
HENRI NOGUERES; L'EXPEDITION D'ALGER, PARIS

من الغنيمة مقابل اعانة يقدمها الى الحملة. وقد شجعه على ذلك انه كان لا يمانع في نمو القوة البحرية الفرنسية بالبحر المتوسط. فاقترحت سردينيا ضم ولاية طرابلس الى نيابة مصر وضم الجزائر الى فرسان القديس يوحنا، وتونس الى دولة صغيرة لا تمثل خطرا كبيرا بالنسبة الى الدول الاوروبية الاخرى ولعلها كانت تقصد نفسها بهذا المغنم. وقد راع بقية بلدان البحر المتوسط ان تنمو القوة البحرية الفرنسية في هذه الربوع ولكن نفوذها كان ضعيفا. اما حكومة البيمونت (PIEMONT) فكانت تطمع في نيابتي تونس وطرابلس اذا تمزقت الدولة العثمانية وقد ادى قنصلها في الجزائر دورا خطيرا اذ زود الفرنسيين بالمعلومات الضافية. بينما كان ممثلها في تونس يشجع الداي بوعده بمساعدة حكومته. وأما البابا بيونس الثامن(PIE VIII) فقد سمح للحكومة الفرنسية ان تستخدم موانئ بلاده بهدف تنفيذ الحملة. وكذلك فعل ملك نابولي (NAPLES) الذي رخص لتجار بلاده ان يأجروا قواربهم للجيش الفرنسي.

ولتحول بروسيا انتباه فرنسا عن منطقتي الراين وبلجيكا فقد وافق ملكها فريديريك الثالث على مشروع الحملة. والموقف ذاته وفقته بلدان اوربا الشمالية (1).

ولم تبد الجمهوريات الايطالية الاخرى اي اعتراض على الحملة بل

(1) شارل اندري جوليان . المصدر السابق ص41.
راجع ايضا. محمد خير فارس.تاريخ الجزائر الحديث. ص186.

انها قد سارعت بتهنئة الملك الفرنسي على مشروعه الذي يستهدف خدمة الدول المسيحية (1) واذا كانت اسبانيا تشكو عجزا ماليا فقد كان دورها نافذ الخطورة في هذه العملية مع العلم انها كانت تخشى جوار فرنسا لافريقيا. ولتؤمن الحكومة الفرنسية اسباب نجاح الحملة فقد فكرت في اقامة مستشفى عسكري في الاراضي الاسبانية ببورماهون (2) (PORT MAHON) يتسع لاستقبال الفي شخص ومن جهة اخرى فقد قام الجنرال دي سان برياست (Gl. DE St. BRIEST) سفير فرنسا باسبانيا بفتح مفاوضات مع الحكومة الاسبانية اوصى بضرورتها الخبراء العسكريون للحصول على موانئ ببلادها لرسو العمارات البحرية الفرنسية خاصة في خليج بالما (PALMA) القريب كثيرا من سواحل فرنسا والسواحل الافريقية. وبعد تردد طويل قبلت اسبانيا هذه المطالب. وفي البداية فان الحكومة النمساوية اظهرت نوعا من المعارضة لفكرة الاحتلال وذلك ابقاء للوضع الدولي على ما هو عليه وخوفا من انبعاث الروح العسكرية الفرنسية من جديد فقد اعلن ميترنيخ (METTERNICH) مستشار النمسا على اثر الاحتلال مايأتي : ليس حادث المروحة هو الذي تنفق من أجله مائة مليون ويضحي فيه باربعين الف رجل (3) وكانت روسيا

(1) شارل اندري جوليان. المصدر السابق ص.ن
(2) برانس سكست دي بوربون. المصدر السابق.ص125
(3) الميلي وعبد الله شريط الجزائر في مرآة التاريخ (مكتبة البعث. قسنطينة طب1. 1965م. ص161.

هي الدولة الوحيدة التي كان موقفها مشجعا اكثر للإحتلال.

فعندما طلب سفير بريطانيا من القيصر الاسكندر الاول ان يعارض المشروع الفرنسي اجابه هذا بان روسيا ليس لديها اي اعتراض تبديه على الحملة ولعل تصريح القيصر الروسي للسفير الفرنسي (لافيروني) في شهر جويلية 1821م يبين بوضوح انحياز روسيا التام للحكومة الفرنسية في مشروعها الاستعماري في الجزائر فقد صرح بما يأتي: " ما عليها (اي فرنسا) الا ان تفتح البركان من مضيق جبل طارق الى الدردنيل وان تختار ما يلائمها وتستطيع ان تعتمد في هذا المجال ليس فقط على تأييد روسيا بل وعلى اعانتها الجدية والفعالة (1) ونصحت الحكومة الروسية لفرنسا بالتدخل المباشر لانها -اي روسيا- كانت ترى ان كل تقارب بين القاهرة وباريس من شأنه ان يؤثر على مصالحها ويؤذي مطامحها في المضائق. (2).

كانت الحكومة البريطانية في البداية اشد الدول الاوربية معارضة للحملة وكانت تستهدف بذلك بقاءها في مركز الثقل في منطقة البحر المتوسط.

ولتغطي الحكومة الفرنسية مخاوف بعض الدول الاوربية فقد عملت

(1) الميلي. المصدر السابق.ص 286-287
(2) برانس سكست دي بوربون. المصدر السابق.ص123

على ايجاد ظرف دولي مناسب للترحيب بمشروع الحملة فأعلن بولينياك في 4 فبراير 1830م للدول المسيحية ان الملك الفرنسي شارل العاشر اتخذ قرارات بابطال عبودية المسيحيين بدول المغرب والقضاء على القرصنة على امتداد الساحل الافريقي واعادة حرية الملاحة وازدهار التجارة بحوض البحر المتوسط والتخلي عن الاتاوات التي تقدمها الدول الاوربية الى حكومة الداي بالجزائر.

ورغما عن هذه المسحة الانسانية المزعومة" فقد اظهر ويلنجتون (WILLINGTON) تخوفه من هذا التصريح فاعلن في 12 فبراير ما يأتي :" ان كل ما نسمح بالقيام به في الجزائر يجب ان لا تتجاوز نتائجه قصفنا لمدينة الجزائر عام 1816م (1) ولذلك امر الملك شارل العاشر بالرد على التخوفات الانجليزية وقد جاء في رده هذا ما يأتي:"ان الملك ينتقم لشرفه بما يتناسب وكرامة شعبه غير مدفوع في ذلك باي طموح شخصي. واذا سقطت نيابة الجزائر في يده فانه سيتفاهم مع حلفائه الاوربيين بشأن مستقبلها وذلك باقامة حكومة فيها تكون اكثر تحضرا واكثر تفهما وانسجاما مع المسيحية والمسيحيين ولكنه (اي الملك) لا يأخذ نفسه باي تعهد اخر يتنافى وكرامة وفوائد فرنسا (2).

وبعد ان اتخذ الملك الفرنسي هذه القرارات فانه ارسلها الى

(1) برانس سكست دي بوربون م.ن.ص.ن

(2) برانس سكست دي بوربون. المصدر السابق ص. 121

ممثليه في العواصم الاوربية واليك بعض ما جاء فيها: لقد اباد الداي مؤسساتنا على الساحل الافريقي، وان ثلاث سنوات من الحصار لم تعمل الا على تقوية تطاوله واذا كنا نطالبه بتعويضات عن الاضرار التي لحقت بنا فانه لم يتكلم الا عن ادعاءات كان يدعيها على فرنسا. (1) ولما كانت انجلترا تعد الدولة الاكثر اهتماما بالحوادث الجارية في البحر المتوسط فقد كان طبيعيا انها لا تكتفي بوعد مبهم من فرنسا عن مشروع غزوها للجزائر ولذلك اخبر الدوق ويلنجتون سفير فرنسا بلندن الدوق دولافال (DELAVAL) بما معناه " ان وعد الحكومة الفرنسية بالتباحث مع الدول الاوربية كلها لا يبدو ابدا مطمئنا لان حلفاء فرنسا وخاصة روسيا وبروسيا يمكن ان يقبلا اقامة مستعمرة فرنسية بالجزائر. (2)

واذا كان الانجليز قد ارسلوا جيشهم واسطولهم الى ضفاف وادي النيل لنجدة الدولة العثمانية، بهدف اخراج الفرنسيين من مصر، فانهم قد وقفوا هذه المرة من احتلال فرنسا للجزائر موقفا معارضا بحق ولكنه موقف لم يصل بهم على كل حال الى حد التهديد المسلح، ولعل ذلك راجع اساسا الى ان الحكومة الفرنسية كانت موالية وعميلة لها وان قوات الطرفين الانجليزي والفرنسي اشتركتا في تدمير

(1) برانس سكست دي بوربون. م.ن.ص 121-122
(2) برانس سكست دي بوربون. م.ن.ص.ن

الاسطول العثماني والجزائري في نافارينو 1827م. واخيرا فقد كانت انجلترا تنظر الى الجزائر على أنها بعيدة جدا عن بلاد الهند حيث كانت القوات المتصارعة كلها تحاول الوصول اليها. ولما كانت انجلترا تدرك انها لن تتحصل على الاغلبية في مؤتمر اوربي بخصوص مسألة الجزائر فقد كانت دوما تسعى الى الحصول مباشرة على تاكيد من فرنسا تتعهد فيه هذه الاخيرة بأنها لن تقيم مستعمرة دائمة على ارض الجزائر. (1) وفي 12 ماي جددت فرنسا للدول الاوربية تمسكها بالانفراد بالعمل المسلح في الجزائر " انها ستحضر المؤتمر الاوربي معفوة من اي تعهد مسبق (2) ولكن الحكومة الانجليزية لم تتوقف عن تقديم احتجاجاتها المرفقة احيانا ببعض التهديدات، ولكنها تهديدات من وراء الستار غير ان الملك شارل العاشر لم يول كبير اهتمام لهذا الوعيد فاخذ يسرع التحضر الحثيث لتنفيذ الحملة العسكرية على الجزائر.

وقد كان مما اثار كوامن الحكومة الانجليزية وزاد من حدة غضبها هذا الخطاب الذي القاه الجنرال " دي بورمون" على الجيش الفرنسي بمناسبة زيارته التفقدية له متأثرا بالخمر والشمس والاحتكاك بجيش متحرق للعمل" (3) ففي هذا الخطاب تحدث بورمون

(1) بول آزان. المصدر السابق ص44
(2) بول آزان. المصدر السابق.ص46
(3) د/ محمد خير فارس. المصدر السابق.ص181

عن فتح الجزائر الذي تهيئ الحكومة الفرنسية لضمان نجاحه. وفي 15 من نيسان سلم السفير الفرنسي بلندن مذكرة الى وزير خارجية بريطانيا ابانت بوضوح ان الملك الفرنسي لن يحمل شعبه تضحيات الحرب في الجزائر وانه سيسعى لكي يعوض هذه النفقات بما تعج به خزينة القصبة من اموال وكنوز. وكان هذا الكلام اشارة واضحة الى أن الحكومة الفرنسية انما تستهدف من حملتها عملية احتلال حقيقي. ولما انتهى السفير الفرنسي من قراءة مذكرة بلاده صرخ ابردين (ABERDIN) قائلا " لقد طلبنا منكم ان تسكنوا قلقنا ولكنكم لم تفعلوا سوى زيادة هذا القلق" (1) اما رئيس حكومة بريطانيا فقد صرح بما يأتي: ان بونابارت والد يريكتوار لم يتصرفا باسوأ من هذا التصرف " (2) وفي 9 من ايار اعلن ابردين للسفير الفرنسي ما يأتي :... انني بحاجة ماسة الى مذكرة تطمئنني عن نيات الحكومة الفرنسية، وان برلماننا يطلب هذه الوثيقة..." وختم ابردين هذه المقابلة بما يأتي "..لقد كنا حتى الان معتدلين فلم نعط الاوامر الى اسطولنا في البحر المتوسط ان بإمكاننا ارساله الى الشواطئ المهددة واتخاذ مقر له في جبل طارف... (3) ولما طالب السفير البريطاني بنسخة من التعمليات التي صدرت الى الجنرال دي بورمون رد عليه

(1) د/ محمد خير فارس. المصدر السابق .ص182

(2) د/ محمد خير فارس. م.ن.ص.ن

(3) د/ محمد خير فارس. م.ن.ص.ن

بولينياك قائلا :"ان هذا ربما يعطي كدليل على الثقة، ولكنه لا يطلب (1) وعندما لجأ السفير البريطاني الى التلويح باستخدام الاسطول الانجليزي اجابه وزير البحرية الفرنسي بكل تحد:

... اننا لسنا في وقت تملون فيه القانون على اوربا ان اسطولنا سيكون مستعدا للإقلاع في اواخر ايار وسيتوقف في جزر الباليار للتجمع وسينزل الحملة غربي الجزائر. ها أنت قد اطلعت على سير الحملة وبامكانكم ملاقاتها ولكنكم لن تفعلوا ذلك...." (2) وفي حوار دار بين الملك الفرنسي شارل العاشر والسفير البريطاني اجاب العاهل الفرنسي بقوله "... السيد السفير، كل ما استطيع عمله لحكومتكم هو الا اصغي الى ما أسمعه الان" (3).

وفي 8 جانفي 1830م تلقى الممثلون الفرنسيون باوربا مذكرة من حكومتهم بشأن تدخل محمد علي والي مصر لحل قضية الجزائر.،

وقد اعلنت هذه المذكرة ان هدف فرنسا من ذلك هو تثبيت سلطة الباب العالي على نيابات المغرب العربي الثلاث عن طريق ضمها الى ولاية مصر. واذا كانت حملة محمد علي باشا يمكن ان تحقق الاهداف المرجوة فان الملك الفرنسي سيتخلى عن مشروع غزو الجزائر. وقد ورد في هذه المذكرة بعض ما يأتي:

(1) د/ محمد خير فارس. م.ن.ص.184

(2) د/ محمد خير فارس. م.ن.ص.ن

(3) د/ محمد خير فارس. م.ن.ص.ن

"... انه اذا انقطعت المفاوضة مع محمد علي فان الملك لن يراعي الا كرامة ومصالح تاجه وذلك لانهاء قضية الجزائر بالطريقة التي تبدو له مناسبة اكثر ... (1) ولما كانت فرنسا مصرة على احتلال الجزائر فقد ناشد ملكها شارل العاشر الحكومة الانجليزية ان لا تتدخل في هذه القضية التي لا تهم الا فرنسا وحدها، وقد قال الملك شارل العاشر بالحرف الواحد "... ان فرنسا ليست في حاجة الى دعم اي شخص لتنتقم لشرفها، اما الانجليز فاننا لا نتدخل في شؤونهم فلا يتدخلون في شؤوننا ... (2)

ويظهر ان الحكومة البريطانية كانت تستبعد تحقيق انتصار عسكري فرنسي في الجزائر. فقد صرح رئيس وزارتها الدوق ويلنجتون لبعض وزرائه قائلا: "... دعوهم يقوموا بالحملة، انهم سيلاقون كارثة، اني انا الدوق ويلنجتون أؤكد لكم ذلك..." (3)

ولما أعلن محمد علي عن رفضه للمشروع الفرنسي فقد صرح (دولافال) سفير فرنسا باسطانبول للورد ابردين في 15 ابريل بان ذلك لا يغير ارادة الملك الفرنسي في شيء بوعده الذي قطعه على نفسه بتحطيم القرصنة في ايالات المغرب الثلاث. (4)

(1) برانس سكست دي بوربون. المصدر السابق.ص 125
(2) برانس سكست دي بوربون. م.ن.ص1254
(3) برانس سكست دي بوربون. م.ن.ص 113
(4) برانس سكست دي بوربون. المصدر السابق.ص 127

واذا تميز التهديد الانجليزي لفرنسا بشأن مشكلة الجزائر بالسلبية فان الصعوبات السياسية والاقتصادية في بريطانيا كانت تعكس هذا الوضع ذلك ان توعك صحة الملك كان يثير خوفا متزايدا من حدوث تغيير في اجهزة الحكم. وعلى الرغم من عداء الملك البريطاني ويليام 14(William 14) للمشروع الفرنسي فانه كان من الصعب عليه ان يبدأ اول صفحة في تاريخ حياته الملكية بالدخول في حرب لا يرى سواد الشعب الانجليزي مسوغا لها.

كما ان بريطانيا كانت ترى ان المتاعب التي ستواجهها فرنسا في الجزائر ستثير معارضة عنيفة في البرلمان الفرنسي يستحيل معها تنفيذ عملية الاحتلال يضاف الى كل ما تقدم من اسباب ان انجلترا قد ارتأت انه من الافضل لنجاح سياستها الخارجية ان ترى «روح الطموح» الفرنسي تجد لها مكانا تحت الشمس في ارض الجزائر. (1).

وعلى الرغم من ان المذكرة الفرنسية كانت واضحة الا أنها لم تحدد بعض النقاط الخطيرة. فلم تتأخر بريطانيا عن الدخول في صلب الموضوع حيث صرح اللورد ابردين للدوق دولافال بان عملية الجزائر ستحيي (المسألة الشرقية) من جديد وان السلطان العثماني لن يقبل

(1) د/ جلال يحي، تاريخ العلاقات الدولية، طب2، 1971م ص122.

بان يسمح نائبه في مصر لنفسه بعقد تسويات خاصة مع فرنسا ويظهر ان المشروع الفرنسي الكبير باقحام نيابتي تونس وطرابلس في مشكلة ولاية الجزائر قد اثار محاوف انجلترا من امتداد النفوذ الفرنسي في كامل ربوع بلدان المغرب العربي.

ولذلك طلب اللورد ابردين من الدوق دولافال ان لا تمد فرنسا عملها التوسعي إلى تخوم نيابتي تونس وطرابلس وان تتعهد بحسم خلافها بنفسها وفي الحقيقة فان هذه العبارة الاخيرة تدل بوضوح على تراجع في موقف بريطانيا من عملية احتلال فرنسا للجزائر وبهذا تكون الحكومة الإنجليزية قد وافقت بصراحة على تدخل فرنسا المباشر في الجزائر.

3- موقف بلدان المغرب من الحملة:

كان الموقف الذي اتخذته دول المغرب من احتلال فرنسا للجزائر موقفا سلبيا. اللهم الا اذا استثنينا موقف ايالة ليبيا. ولعل خير ما يصور لنا ما كان عليه بعض حكام بلدان المغرب من تعامل شنيع مع الفرنسيين على الجزائر هذه الفقرات التي ساقها احد الكتاب المعاصرين. فقد قال "وكان حكام تونس ضالعين مع الفرنسيين يزدادون منهم تقربا كلما خافوا على عرشهم الزوال على ايدي الاتراك غير مفكرين في المصير المحتوم الذي ينتظرهم ولا ما يقتضيه

واجب التضامن الاسلامي، وحق الجوار والاخوة لإنقاذ الجزائر من براثن الاستعمار الفرنسي... (1)

ومنذ بداية عام 1828م التزم الباي حسين اتخاذ موقف الحياد (الميال) للحكومة الفرنسية في حربها على الجزائر بل انه ذهب الى ابعد من ذلك فسارع بارسال وفد تونسي عنه الى الجزائر لتقديم تهاني النصر الى الجنرال دي بورمون في 5 جويلية 1830 على نجاح الاسلحة الفرنسية وذلك رغما عن موجة الاحتجاجات الشعبية (2).

وفي18 ابريل 1830م وجهت الحكومة الفرنسية تعليمات لقنصلها العام في تونس (ماتيودي ليسبس -MATHIEU DE LES) (SEPS تنصح له فيها بمحاولة الدخول في مفاوضات مع الباي حسين لعقد تحالف فرنسي تونسي ذي صبغة دفاعية عن الممتلكات الفرنسية في البحر المتوسط. وفعلا فقد نجح القنصل في حمل الباي على ابرام اتفاقية 8 أوت 1830م وبموجب هذه المعاهدة تكون فرنسا قد اوقفت كل تدخل مباشر او غير مباشر من جانب تونس في قضية الجزائر. كما حرصت فرنسا على اغراء باي تونس بالتعامل معها فتغاضى الباي عن بيع حيوانات التجار التونسيين لتموين الجيش

(1) محمد محفوظ (السياسة التركية والفرنسية غداة احتلال الجزائر مجلة الفكر.(السنة 8- العدد 2- نوفمبر 1962م) ص44.
(2) جوليان. المصدر السابقص58.

الفرنسي. ولكنه لم يذهب الى حد ارسال قوات تونسية تعزز جانب الجيش الفرنسي في حربه على الجزائريين فقط، ويعود ذلك الى خوفه من أن يسيء هذا العمل الى مركزه في أعين رعاياه المسلمين. كما أنه اصدر تعليمات بمنع تسرب البارود بين مدينة طبرقة وقسنطينة بالجزائر. وعلاوة على ذلك فانه منع جنودا عثمانيين من التوجه الى ارض الجزائر (1).

ومن تراب نيابة تونس قامت قيادة الجيش الفرنسي بتوزيع المناشير باللغة العربية تدعو فيها الجزائريين الى الاستسلام والتعاون مع الجيش الفرنسي وذلك في مقابل احترام الفرنسيين لاملاك العرب.

ويبدو ان التهديدات التي كان داي الجزائر قد وجهها الى باي تونس قبل ذلك بثلاثة اشهر قد ساهمت في الوصول الى هذه النتيجة التي كانت فرنسا تنتظرها على أَحَرَّ من الجمر. (2).

وعندما قرر الباب العالي ارسال موظف سام الى الجزائر وهو السيد طاهر باشا لتسوية الخلافات بينها وبين فرنسا فان هذا الموظف سرعان ما تراجع عن اداء مهمته لان باي تونس قد منعه من النزول بميناء حلق الوادي، واقتصر امره على مجرد اكرامه (3).

(1) جوليان. المصدر السابق.ص59

(2) هنري توجير. المصدر السابق ص54-55

(3) جوليان. المصدر السابق ص59

وبعد ذلك عقد الباي اجتماعا لحاشيته لدرس المسألة فتباينت الاراء وتضاربت. وكان اكثر الناس وضوحا في رأيه هو الوزير محمد كاهية الذي قال بالحرف الواحد " ان هذا الرجل يريد السفر في البر ولا يمكن ارساله في مهامه القفار دون حامية على قدر مقامه وانها محلة صغيرة وبذلك ربما ظهر للفرنسيين انها اعانة بتحيل (1).

اما سليمان كاهية فقال : "نخشى ان عربان البلدان اذا سمعت بباشا من بر الترك يقع فيهم خبال يكون سببا في الهرج والنهب لاسيما والجهة الغربية مضطربة" (2).

ولما تقرر ان لا وسيلة لتقديم العون الى طاهر باشا فقد غادر هذا الاخير تراب تونس وكله مرارة وحقد على بايها . " ولا زال في نفسه حاقدا على الباي يرددها لكل من أتى من تونس سمعتها منه مشافهة باسلامبول، وهو يومئذ قبطان باشا قال لي : ما يكون جوابكم لله عن تعطيلي الذي عطلتم به مصلحة جمهور من المسلمين"؟ لكن المقدر كان فاجبته بما لا يقنعه" (3).

وغداة الاحتلال فان مشروعا تونسيا وقع الاتفاق عليه يقضي بان تسلم فرنسا ولايتي قسنطينة ووهران الى باي تونس مقابل

(1) محمد محفوظ. المصدر السابق ص45.
(2) محمد محفوظ. م.ن.ص.ن
(3) ابن ابي الضياف. عن محمد محفوظ . المصدر السابق.ص 45-46

غرامة مالية. وفعلا فقد انخدع الباي الضعيف للمشروع فوجه رسالة الى علماء واعيان الجزائر هذا ما جاء فيها "فكاتب علماء البلاد واعيانها بما محصله، ان الجزائر لما حل بها ما حل، وكان أمر الله قدرا مقدورا اصبحتم فوضى، وعرضة لكل ذي حد امضي لا تأمنون تراعا، ولا تستطيعون دفاعا وبقاؤكم على هذه الحالة يفضي لتشتيت الكلمة واستئصال امة مسلمة، وان الجيش الفرنسي لا قبل لكم به ولا طاقة، فالواجب ان تنضموا الينا وتتركوا القتال لانه القاء باليد الى التهلكة في هذه الحال والمؤمنون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا الى آخر المكتوب وكان من إنشاء عبد الفقير" (1).

وعندما أمنت فرنسا جانب تونس بعدم تدخلها في مشكلة الجزائر، فإنها ارادت ان ترهب الدولة العثمانية فارسلت قطعة من أسطولها الى ميناء حلق الوادي بقيادة الاميرال روزمال (ROZAMEL) وكانت تستهدف بهذا التهديد المسلح الضغط على باي تونس الذي. وقع معها على اتفاقية 8 أوت 1830 كما اشرنا سالفا. (2).

وبعد ذلك واصل الاسطول الفرنسي طريقه الى ليبيا في نفس المهمة التي كانت ميسورة اذ سرعان ما امتثل باشا طرابلس الغرب هو الاخر للمطالب الفرنسية فوقع على اتفاقية 11أوت 1830م وقد نصت هذه المعاهدة على عدة شروط اهمها: تلتزم نيابة طرابلس عدم

(1) ابن ابي الضياف. عن محمد محفوظ . م.ن ص46
(2) محمد محفوظ . م.ن.ص.ن

تطوير قواتها البحرية. ويكشف هذا البند بالذات عن نية الحكومة الفرنسية في شل كل حركة مجاورة للجزائر قد تكون في يوم من الايام عنصر فعالية وتأييد لها. (1).

اما سلطان المغرب الاقصى (مولاي عبد الرحمان) فلم يبد اي تضامن مع الجزائر ففي 7 ماي 1830 ضمن حياده لنائب قنصل فرنسا بطنجة حيث سمح -كما فعل باي تونس للجيوش الفرنسية- ان تتمون من موانئ مملكته (2) وكان موقف الشعب المغربي مغايرا تماما لموقف حكومته تماما فعندما علم سواد الشعب ان الحكومة الفرنسية قطعت علاقتها مع الجزائر اصبح يشك في تجريد حرب صليبية على بلاد المغرب كلها.

وقد كتب نائب قنصل فرنسا بالمغرب يصف موقف الشعب بقوله :" كانت عيونه مركزة على حملة الجزائر (3). وكان لنبإ سقوط مدينة الجزائر ابعد الاثر في نفوس المغاربة اذ انه اوقع المغاربة في ذعر(4) وقد رفض الرأي العام في المغرب النظر الى الهزيمة العثمانية في مدينة الجزائر على أنها امر نهائي، فراح يأمل في ان تتدخل بريطانيا بأسطول بحري مكون من سبع وخمسين باخرة حربية.

(1) محمود محفوظ. المصدر السابق ص.ن
(2) جوليان. المصدر السابق.ص59
(3) جوليان. م.ن.ص.ن
(4) جوليان. م.ن.ص.ن

وفي حالة ما اذا انطفأ بصيص هذا الامل فان جيشا قوامه 80 ألف رجل ينهض بقيادته شيخ الطريقة التيجانية سيكون بمقدوره استعادة المدينة(1).

وكانت نيابة طرابلس الغرب قد التزمت سلوك سياسة تضامن وتأييد للجزائر في موقفها الدفاعي ازاء العدوان الفرنسي، فبحزن عميق استقبل الرأي العام في ليبيا نبأ احتلال مدينة الجزائر، غير أن حكام هذه الايالة كانوا لا يستطيعون تقديم اي عون مادي للجزائر بسبب ضعف اجهزة نيابتهم الدفاعية، يتضح لنا ذلك من الرسالة التي وجهها باشا طرابلس الى داي الجزائر فقد خاطبه:" اما فيما يتعلق بنا فإننا لسنا اقوياء بما فيه الكفاية لنرسل لكم نجدات. إننا لا نستطيع مساعدتكم إلا بصلوات طيبة نوجهها نحن ورعايانا الله في المساجد" (2).

4- مشروع بولينياك محمد علي:

استقبل بولينياك (10أوت 1829م) عندما كان وزيرا للخارجية بعثة فرنسية قدمت من مصر تحمل مقترحات أطلق عليها فيما بعد اسم «مشروع محمد علي» لحل قضية الجزائر (3) ويقضي هذا

(1) جوليان. م.ن.ص.ن
(2) جوليان. م.ن.ص.ن
(3) د/ابو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الحديث.ص1970م ص26

المشروع بأن تتحرك قوات مصرية يعززها الأسطول الفرنسي من البحر لغزو طرابلس وتونس والجزائر بهدف اقامة نظام متحضر فيها بدلا من حكوماتها الحالية التي لا ترعى حرمة للقوانين الدولية وخاصة منها قوانين الملاحة البحرية. وبعد اخضاع النيابات الثلاث المذكورة فإنها تضم إلى ايالة مصر التي تقدم عنها جزية سنوية الى السلطان العثماني.

ونتيجة لهذا العمل المشترك تكون فرنسا قد حصلت على امتيازات اقتصادية وعسكرية وعاقبت الجزائر دون ان تعلن الحرب مباشرة عليها.

كان باشا مصر محمد علي مستعدا لتنفيذ هذه المغامرة وكان يرى ان ذلك يتوقف اساسا على المساعدة التي تقدمها اليه الحكومة الفرنسية فقط. وقد طلب الباشا ان يتحمل وحده كل تبعات الحملة. اللهم الا بعض ضباط المدفعية والهندسة الذين يستعيرهم من الجيش الفرنسي. وكان الباشا يرى ان جيشا مكونا من اربعين الف جندي تسند قيادته الى ابنه ابراهيم يكفي للقضاء على دول المغرب الثلاث. (1)

وقد اختلف في قيمة وطبيعة المساعدة اذ طلب محمد علي من فرنسا ان تمده مقدما بأربع سفن ذات ثمانين مدفعا ومبلغ 28 مليونا من الفرنكات بينما تتعهد فرنسا بقيمة عشرة ملايين من

(1) د/ صلاح العقاد . المصدر السابق.ص94.

الفرنكات فقط. وبناء على بعض المصادر فان والي مصر أكد للقنصل الفرنسي بالقاهرة "أنه قادر على انهاء المشكلة الجزائرية بتجنيد 68 الف رجل و23 سفينة وتوفير مائة مليون فرنك لتغطية نفقات الحملة) (1) ولكن مؤرخا فرنسيا اخر يرى أن محمد علي لا يصل به الجنون الى درجة الاقدام على هذه المغامرة فيجند قواته كلها ليرسلها الى الجزائر مع ما ينجر على ذلك من احتمال هجوم الباب العالي عليه او قيام ثورة اهلية عليه (2).

كان بولينياك يؤمن بضرورة الربط بين مشكلة نيابات شمال افريقيا وايالة مصر وكان يرى ان ذلك يؤمن انتشار النفوذ الفرنسي في كامل المنطقة حتى حدود اسيا وقد تحادث مع زملائه في لندن عندما كان سفيرا فيها لبلاده عام (1828م) عن الفوائد التي يمكن ان تجنيها أوربا بصفة عامة وفرنسا بصفة خاصة من غزو الجزائر (3) ولذلك فانه لا يبدو غريبا ان يبحث بولينياك بتلهف عندما يصل الى الحكم عن وسيلة ينفذ بها خطته القديمة. ولما كانت فرنسا في تلك الاونة غير قادرة على تحقيق مشروع الحملة وحدها، فقد رحب رئيس وزارتها بمشروع محمد علي وبادر فأرسل الضابط (هودير)

(1) د/ ابو القاسم سعد الله. المصدر السابق.ص26.
(2) برانس سكست دي بوربون. المصدر السابق.ص110.
(3) د/ ابو القاسم سعد الله. المصدر السابقص26.

(HUDER) ليجري المباحثات الاولى بشأن الاقتراح المصري (1)

كان بولينياك يعتقد ان نجاح المشروع يتوقف على دعامات ثلاث:

موافقة محمد علي باشا مصر، حياد انجلترا واخيرا قبول الباب العالي بذلك. ولهذا فانه ارسل الى سفيره باسطانبول تعليمات بجس نبض الحكومة العثمانية عن المشروع (2). وتضمنت هذه التعليمات اقناع السلطان العثماني بان الحملة اذا قامت بها مصر ستحقق هدفين:

1- جزية سنوية كبيرة تؤديها الولايات الثلاث الى السلطان العثماني ذلك ان هذه الايالات ما انفكت تتمرد على السلطة الشرعية للباب العالي.

2- عدم ارسال الجيش الفرنسي الى الجزائر وهذه بعض فقرات مما جاء في رسالة الحكومة الفرنسية الى الدولة العثمانية "... وبوضع هذه المهمة في عنق محمد علي يبعد جيشه عن بلاد عربية لم ينفك عن التفكير ببسط سيادته عليها... للتحرر من القلق الذي يوجده طمع باشا مصر بفتح سورية ان يوجه الجيش المصري الى بلاد بعيدة عنها اي ان يصدر فرمانا يأمر محمد علي بالاستيلاء على الولايات

(1) د/ ابو القاسم سعد الله. م.ن.ص.ن

(2) يرى بول ازان ان بولنياك كان يسعى بقوة للحفاظ على الجيش الفرنسي في القارة الاوربية. ولذلك فإنه رحب بالمشروع المصري لحل مشكلة الجزائر. انظر كتابه، حملة الجزائر 1830. ص35

الثلاث (طرابلس، تونس والجزائر) ... وان أوربا ستنتظر بسرور الى قيام مثل هذا الحكم في بلاد واضحة عن القابلية للتجارة والانتاج جعلها جهل حكامها الحاليين وجشعهم مرتعا للقراصنة... وفي هذا تعويض عما ضحى به السلطان في معاهدته مع روسيا .... (1)

وقد كان رأي الحكومة العثمانية في البداية في مصلحة المشروع ثم وقع التراجع عنه لان ذلك يخالف قواعد الدين الاسلامي من جهة ولان محمد علي لا يستطيع ان ينفذ الخطة من جهة ثانية. واتخذ الديوان العثماني موقفا وسطا فوافق على ارسال شخصية هامة الى الجزائر تتوسط في ايجاد حل لخلافها مع فرنسا وتتعرف الى رأي باشا الجزائر. كانت هذه الشخصية هو السيد خليل افندي الذي كان دبلوماسيا ماهرا وسياسيا محنكا وصديقا حميما لداي الجزائر.

ففي شهر ديسمبر 1828م وصل المبعوث العثماني الى الجزائر ولكنه فشل في مهمته بسبب تعنت الطرف المقابل اذ اصرت فرنسا على اقامة منشآت بالشرق الجزائري وعلى حقها في صيد المرجان (2).

وعندما عرض المشروع الفرنسي المصري على مجلس وزراء فرنسا لمناقشته عارضه الجنرال دي بورمون (GL. BORMONT) وزير الحربية ودي هوسي (DE HAUSSY) وزير البحرية ذلك ان محمد علي في

(1) د/ محمد خير فارس، المصدر السابق.ص169
(2) د/ ابو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص27

نظر هذين الوزيرين لا يختلف كثيرا عن باشا الجزائر كلاهما (بربري) وقد هدد دي هوسي بتقديم استقالته اذا قدمت فرنسا السفن الاربع الى محمد علي وازاء هذا التصلب في موقف المعارضة اضطر بولينياك ان يدخل تعديلات على المشروع تقضي بتخفيض المعونة الى 10 ملايين فرنك. اما السفن فتعار فقط (1) وقد استمرت هذه المعارضة عنيفة حتى بعد ان عدل المشروع. ويوصي المشروع المعدل بان تشترك فرنسا باسطول بحري هام يحمي الجيش المصري الذي يزحف من البر وبقوة هامة من الجنود والمهندسين للمشاركة في الحصار والهجوم (2) وقد حظي هذا المشروع الجديد بموافقة الملك الفرنسي عليه في 12 أكتوبر 1829م. عندئذ ارسل بولينياك وفدا الى مصر لحق بهودير الذي كان لا يزال في طولون ينتظر سفينة تحمله الى القاهرة.

وخلال جلسة ديسمبر 1829م قرر مجلس الوزراء الفرنسي ان تنفرد فرنسا بالحملة على الجزائر وفي 20 ديسمبر 1829م وافق الملك مبدئيا على هذا القرار وفي اليوم ذاته رجع هودير يحمل رفض باشا مصر للمقترحات الفرنسية وأمام هذا الرفض فان بولينياك لم ييأس من احتمال تعاون مصري فرنسي على الجزائر.

(1) د. ابو القاسم سعد الله. المصدر السابق ص27
(2) د/ ابو القاسم سعد الله م.ن.ص28.

ففي 3 يناير 1830م عقد مجلس الوزراء الفرنسي اجتماعا جديدا اقترح فيه ادخال تعديلات جديدة على المشروع. وقد تقرر في هذه المرة تخصيص 20 مليونا من الفرنكات التي اشترطها باشا مصر يدفع نصفها عند تحرك الجيش المصري ونصفها الاخر بعضه عند الوصول الى طرابلس، وبعضه الاخر عند الوصول الى تونس، كما خصص مبلغ 8 ملايين من الفرنكات في مقابل السفن الاربع التي رفضت فرنسا تسليمها او حتى اعارتها الى مصر. كما قرر مجلس الوزراء الفرنسي ان يرسل اسطوله لحماية الحملة المصرية ابتداء من مدينة الاسكندرية. (1).

ففي 20 يناير وصل هودير الى مصر يحمل الاقتراح المعدل الذي ارتاح له محمد علي ولكن حملة صحفية واسعة انتقدت المشروع فوصفته بانه (غير ممكن، فظيع، مهزلة، اي غير مجد لفرنسا ان تستعمل مسلما ضد مسلم) (2) وقد ابدت بعض الحكومات الاوروبية تحفظاتها الشديدة من المشروع. فالسلطان العثماني- مدفوعا من انجلترا- رفض ان يعطي الباشا التصريح اللازم بالمشاركة في الحملة خوفا من نمو قوته بتحالفه مع فرنسا. في حين امتنعت روسيا عن ابداء رأيها. اما بروسيا فعارضت ذلك صراحة. كل هذا

(1)د/ ابو القاسم سعد الله. المصدر السابق. ص 28.
(2) د/ ابو القاسم سعد الله. م.ن. ص.ن.

دفع بولينياك الى العدول عن تخطيطه الواسع (1) وفي 6 فبراير 1830م ارسلت فرنسا مبلغ 8 ملايين فرنك الى باشا مصر اذا اكتفى بنيابتي طرابلس، وتونس. اما نيابة الجزائر فان فرنسا هي التي ستتولى أمرها بنفسها. عند هذا يئس محمد علي وقطع المفاوضات مع فرنسا قائلا: "انهم لن يصلوا ابدا الى الجزائر، واذا وصلوا فلن يجرؤوا على البقاء فيها لمعارضة بريطانيا لهم (2) كانت فرنسا ترى ان المشروع المصري يحقق عدة فوائد أهمها:

1- التقليل من تكاليف الحملة عبر البحر المتوسط

2- لا تتدخل بريطانيا عندما تكون القضية ذات صبغة اسلامية بحتة

3- اعادة ربط علاقات ودية بين فرنسا ومصر لتعويض هذه بعض ما خسرته في حرب اليونان. وعلى الرغم من الخسائر التي لحقت بقوات محمد علي في معركة نافارينو فإن التفاهم معه قد يستحكم امره وبذلك يقوي تأثير السياسة الفرنسية بالمشرق.

4- ابعاد محمد علي عن محاولة التوسع في بلاد الشام

ومن خلال تصريح محمد علي باشا مصر لقنصل انجلترا فان وجود خلافات كبيرة بين الباشا وبين فرنسا بشأن المشروع الفرنسي

(1) الزال. المصدر لاسابق ص13.
(2) د/ ابو القاسم سعد الله. المصدر السابق. ص 29.

تظهر مما يأتي:

" انني لا اقبل المشاركة مع فرنسا في حربٍ ضد (كذا) المسلمين فاخسر ثقتهم بي واود لو وثقت انجلترا بي، لان من مصلحتها الاعتماد على مواجهة الخطر الروسي (1) كما صرح ايضا "... اني اعلى وزراء الدولة العثمانية شأنا وأحبهم الى قلوب الناس... واذا قبلت الاتفاق... فيحتقرني ابناء امتي وينصرف الناس عني... (2) وقد اعربت بريطانيا لمحمد على أنها -بتفاهم مع السلطان العثماني- ستكون له متاعب في البحر المتوسط وسورية والبحر الاحمر ان هو لم يتراجع عن مشروعه مع الحكومة الفرنسية. (3).

وكان طموح الباشا محمد علي يدفعه للمجازفة بنفسه في هذه المغامرة لو انه يتبوأ مكان الامبراطورية العثمانية التي ضعفت وشاخت.

وعندما قطعت العلاقات الدبوماسية بين الجزائر وفرنسا عام 1827م فان محمد علي قام بمفاتحة (دي فيلال) (DEVILLELE) عن عمل مشترك لتسوية الخلاف الجزائري الفرنسي. كما ان (لافيروني) (LAFEROGNE) وزير خارجية فرنسا كان من انصار هذه الفكرة اذ كان يرى ضرورة تعاون الباشا وفرنسا وروسيا وانجلترا لحسم

(1) د/ صلاح العقاد. المصدر السابق ص94.
(2) د/ محمد خير فارس. المصدر السابق ص175
(3) د/ محمد خير فارس م.ن.ص173

قضية الجزائر باستعمال القوة (1).

ويظهر ان محمد علي كان غير متخوف كثيرا من السلطان العثماني فعندما عرضت عليه فرنسا مشاركة اسطولها لحمايته من عدوان محتمل فانه قال: " عدوان؟ من السلطان" ضحك محمد علي " ان السلطان حمار لا اطلب منه شيئا ولا يعمل شيئا لماذا يمنعني من الإستحواذ على نيابات مادمت ادفع له جزية؟ إن انجلترا هي مصدر الخطر الكبير وهي التي تستطيع معارضة حملتي ومن تدخلها هي اريد ان اكون محميا" (2).

وعن المشروع المصري الفرنسي قدم كل من دي بورمون ودي هوسي اعتراضات فنية فاستبعدا على الجيش المصري ان ينجح في قطع مسافات شاسعة من الاسكندرية حتى بلاد الجزائر (3) وعندما ذاع نبأ حملة والي مصر على طرابلس وتونس والجزائر بعث الداي حسين باشا الجزائر رسالة الى والي نيابة طرابلس يوسف علي يستفسره فيها عن صحة ذلك فاجابه هذا بما يأتي: " قد بلغنا جوابكم وخطابكم المفيد... بأنه بلغ سيادتكم ان عندنا حركة بحرية وبرية ومتهيئتين لملاقات صاحب الإيالة الشرقية (والي مصر)... ان الحامل لوالي مصر على ذلك ان عدو الله الفرنسيين أغراه على أخذ الوجاقات وسهل له الطرق والمسالك... ويستقل بالملك ويصير سلطان أفركه

(1) برانس سكست دي بوربون، المصدر السابق ص109

(2) برانس سكست دي بوربون، المصدر السابق ص130.

(3) برانس سكست دي بوربون، م.ن.ص128.

(كذا) العرب... بان يمدوه بجميع ما يحتاجه (كذا) من الة الحرب والعساكر ويوجه معهم ابنه إبراهيم باشا ليمكنوه ولاية الجزائر... والفتنة نار وواقدها لا يكون إلا من الفجار..." (1).

5- موقف الدولة العثمانية من الحملة:

وفي أوت عام 1827م كتب سفير فرنسا باسطانبول مذكرة اعرب فيها عن وجوب التدخل العسكري في الجزائر (... وحيث ان الداي قد زاد من تعدياته السابقة بتحقيره قنصل فرنسا في الجزائر، فان جناب امبراطور فرنسا اضطر الى طلب ترضية علنية مهددا باعلان الحرب في حالة رفض طلبه، الا أن طلبه قد رفض وعليه فالحرب محققة" (2).

وقد تذرعت فرنسا بإعلان الحرب على الجزائر بناء على ماورد في البند الحادي عشر من المعاهدة المبرمة بين الدولتين الفرنسية والعثمانية في ربيع الاول 1153هـ الموافق لـ 30 ماي 1740م. واليك فقرات مما جاء في هذه المعاهدة:

عندما يرسي قراصنة الجزائر في موانئ الفرنسيين فعلى هؤلاء ان يراعوهم ويقدموا إليهم البارود والرصاص والاشرعة وسائر الالات.

(1) آرجمنت كوران. المصدر السابق ص54.53هـ

(2) آرجمنت كوران. السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائرتر.د/ عبد الجليل التميمي (منشورات الجامعة التونسية 1970م) ص39

وعلى الجزائريين ان لا يغيروا على اسرى واموال التجار الفرنسيين عندما يلاقونهم وقد منعوا من القيام بذلك عدة مرات في زمن عظمة جدنا المرحوم. ولكنهم لم يكفوا عن ذلك ومازالوا على العدوان ومع أن السلطنة الهمايونية غير راضية عن ذلك فيجب اذن اعتاق الاسرى الفرنسيين ان وجدوا واعادة اموالهم كاملة، واذا تمادى القراصنة في عصيانهم واستمروا في عدوانهم ووقع إعلامنا من طرف السعادة (ويقصد به ملك فرنسا) فانه يجب عزل والي الجزائر ايا كان ويقع بعدها دفع التعويضات عن الالات المغار عليها واذا لم يمتثلوا لامرى الشريف، مع تنبيههم لذلك، فعلى ملك فرنسا اذا ما وصلوا الى الموانئ الفرنسية ان يرفض قبولهم بموانئه وقلاعه، كما ان الوسائل التي يستعملها لمعاقبتهم سوف لن (كذا) تمس بسوء هاته المعاهدة، وذلك تماشيا مع الحكم الشريف الصادر زمن اجدادنا ،الذي مازلنا متمسكين به وواعدين ملك فرنسا بتأييد شكاياته أو التعبير عن ارتياحه فيما يتعلق بهذا الامر (1).

وعملا بهذه المعاهدة فقد اعلنت فرنسا الحرب على الجزائر من غير اشعار مسبق لحكومة الباب العالي، وكان اقدام فرنسا على هذا العمل منافيا لروح الاتفاق الفرنسي العثماني كما صرح بذلك رئيس الكتاب ووزير البحرية العثمانية خلال 1827 لمترجم السفارة الفرنسية غير انه لما كانت الدولة العلية منهمكة في اخماد حرب

(1) ارجمنت كوران، المصدر السابق ص 39-40.

اليونان فانها قررت في اجتماع رأسه الصدر الاعظم وضم وزير الحربية خسرو باشا ان لا تتدخل في القضية الجزائرية.

وقد كتب وزير البحرية العثماني رسالة الى السيد خليل افندي بشأن الخطاب الذي وصله من أمين ترسانة الجزائر. فلم يتوان خليل افندي في ارسال هذه الرسالة الى وزير البحرية العثماني في 28 أوت يرجوه فيها ان يشرح الموقف باكثر دقة للباب العالي. وبعد ان اطلعت الحكومة العثمانية على هذه الرسالة فإنها حكمت بخطإ الطرفين (الجزائري والفرنسي).

ولذلك قررت ان تلوذ بالصمت ولا تبحث هذه المسألة حتى يفاتحها فيها السفير الفرنسي من جديد.

وقد وجه الداي حسين رسالة الى الصدر الاعظم باسطانبول اكد فيها ما كان امين ترسانة الجزائر قد أكده لخليل افندي بشأن الاسباب الحقيقية للخلاف الجزائري الفرنسي. وطلب الداي حسين في هذه الرسالة من الحكومة العثمانية ان تأذن بتسهيل عملية تجنيد الانكشاريين من منطقة ازمير. وقد شرح الباشا في رسالته المذكورة نتائج الهجوم الذي شنه الاسطول الانجليزي عام 1816م على الجزائر.

واذا كانت الحكومة العثمانية قد تركت الجزائر وحيدة في الميدان في خلافها المسلح مع فرنسا فان ذلك يعود الى أنها كانت تعتمد على فعالية البحرية الجزائرية التي صمدت في وجه الاسطول الانجليزي

قبل هذا التاريخ ثم انها (اي الحكومة العثمانية) كانت قد خسرت جل قواتها البحرية في 20 ديسمبر 1827م بنافارين، وعلى اثر ذلك مباشرة دخلت الحرب مع روسيا.

وفي اوائل شهر نوفمبر 1829م اقلع السيد خليل افندي من مدينة إزمير على متن سفينة انجليزية الى الجزائر حيث وصلها في آخر الشهر نفسه للقيام بمحاولة غير رسمية بين الباشا وفرنسا. وتؤكد بعض المصادر ان سفير النمسا باسطانبول كان من وراء هذا السفر وكانت حكومة النمسا تستهدف بهذا المسعى التوفيقي بقاء الداي حسين محايدا في النزاع الذي نشب بينها وبين مراكش (1) وكان رئيس وزراء النمسا يعمل كذلك على عدم احداث اي تغييرفي منطقة البحر المتوسط والحفاظ على الوضع القائم باوربا.

وفي بداية شهر ديسمبر 1829م قدم السفير الفرنسي مذكرة الى رئيس الكتاب العثماني برتيف افندي فيها اعتراف بان اوجاق الجزائر تابع للدولة العثمانية غير ان الدايات لا ينقادون كثيرا لأوامر السلطان، وتضمنت هذه المذكرة كذلك ان الحكومة الفرنسية طلبت من الداي حسين ترضية للشتيمة التي لحقتها في شخص قنصلها بالجزائر وكانت هذه المذكرة تـــــــــــــــرى ان من حق الحكومة العثمانية تاديب دايات الجزائر. ولذلك

(1) ارجمنت كوران، المصدر السابق ص 43.

فهي تقترح ان يقوم بهذا الامر نيابة عنها واليها في مصر محمد علي باشا بحيث "ان حملة قوتها عدة الاف شخص يسمح بها فرمان من حضرة السلطان ويحمل خط حضرته الشريفة ستحقق اجراء الخطة المقترحة في وقت قليل" (1). وبعد الاطلاع على هذه المذكرة عقب عليها رئيس الكتاب بانه لا يمكن ايفاد قوات الى أرض مطيعة للباب العالي كما أنه سيقوم بارسال موظف يصحبه فرنسي لنصح الجزائريين، وقد قبل السفير الفرنسي هذا الاقتراح.

وعلى اثر اجتماع ضم كلا من وزير البحرية خسرو باشا ورئيس الكتاب برتيف افندي قرر الباب العالي عدم السماح لوالي مصر بالتدخل في قضية الجزائر باي حال من الاحوال، كما قرر ان تقوم شخصية سامية بزيارة الجزائر لنصح الداي حسين كما سبق ان قلنا.

ولما كان السلطان محمود الثاني يدرك جيدا خطورة هذه المهمة فقد عين للقيام بها السيد طاهر باشا.(2).

(1) ارجمنت كوران، م.ن. ص45-46 .

(2) كان بحارا ماهرا قاد الاسطول العثماني في معركة نفارين. وشارك في الحرب الروسية عام 1828م-1829م وخلال المدة مابين 1832م-1836 عين وزيرا للبحرية ثم واليا على طرابلس الغرب 1836م، وفي عام 1841م تعين وزيرا للبحرية من جديد، ومات سنة 1847م. راجع ع.س.هـ24 ص49.

وقد تلقى الباب العالي مذكرة من مترجم السفارة الانجليزية باسطانبول كشفت عن وجود معاهدة بين فرنسا ومحمد علي باشا بشأن ارسال قوات مصرية الى الجزائر واوصت هذه المذكرة بان يسافر طاهر باشا الى الجزائر فورا وعلى أن يعرج علي مدينة الاسكندرية "ويعلن ان السلطان امر بحل النزاع الناشب بين اوجاق الجزائر، وفرنسا دون اراقة الدماء.

ومع تصريحه هذا لمحمد علي باشا فان عليه ان يعلمه ايضا بمنع ارسال قوة عسكرية، وعلى طاهر باشا ان يذهب بعد ذلك الى الجزائر ويوضح للداي الاخطاء التي سيتعرض لها في حالة عدم اعطائه ترضية عن الحقارة التي لحقت فرنسا" (1).

واذا صح أمر هذه المعاهدة المصرية الفرنسية فان السبب الرئيس لابرامها كما اثبت ذلك بعض المؤرخين المعاصرين (هو سبب سياسي اذ كان الباشا يرغب في التوسع، ولكن هناك سببا اقتصاديا فالقوافل القادمة من السودان تفضل الوصول الى البحر المتوسط عن طريق طرابلس الغرب بدل مصر تهربا من دفع الضرائب ... وكان الوالي يفكر باحتلاله الجزائر ان يكون قد احتل تونس وطرابلس الغرب، وبذلك ستعود اليه ضرائب القوافل القادمة من السودان (2).

(1) ارجمنت كوران. المصدر السابق ص 50.
(2) ارجمنت كوران. المصدر السابق ص 50.

وبايعاز من وزير البحرية خسرو باشا ورئيس الكتاب برتيف افندي وجه قائد مقام الصدر الاعظم العثماني رسالة الى والي مصر محمد علي باشا عن المعاهدة المصرية الفرنسية جاء فيها : " في وقت الشيخوخة هذا، ان قيامه بهذا الوجه على سفك دماء المسلمين مناف لرضاء الباري، وان العقل لا يقبل بحال من الاحوال عملهم السيء المنافي لارادة الله" (1) واكدت هذه الرسالة ان الحكومة العثمانية علمت عن طريق سفيري انجلترا والنمسا، ان اتفاقا مصريا فرنسيا حصل بشأن قضية الجزائر. وتتساءل هذه المذكرة عن اسباب المعاهدة المذكورة فتقول:

"ماهو المنشأ الحقيقي للحوادث المذكورة؟ يعني هل الباب العالي قد وجه الى سيادتكم طلبا في ذلك؟ وعلى تقدير ذلك باي وجه عوملت جوانب هذا الولاء؟ ارجو ان تشرحوا لنا كيفية ذلك بايضاح وبسرعة" (2)

وفي اوائل شهر مارس 1830م اخبر رئيس الكتاب العثماني مترجم السفارة الفرنسية باسطانبول ان طاهر باشا انما تأخر عن موعد السفر الى الجزائر لان الموظف الفرنسي الذي سيصحبه لم يعين بعد وفي مساء اليوم ذاته تلقي الباب العالي جواب سفارة فرنسا . فألقت هذه تبعة تأجيل سفر المبعوث العثماني على الدولة العثمانية نفسها . وأكد جواب السفارة الفرنسية من جهة اخرى أنه

(1) أرجمنت كوران. المصدر السابق ص 53-54.
(2) أرجمنت كوران م.ن.ص 54.

لم يصبح في الامكان ارسال ممثل فرنسي ليرافق طاهرباشا في مهمته التوفيقية. عندئذ طلب حميد باي (1) من السفير الفرنسي ان يكتب رسالة الى قائد الفرقة الفرنسية التي تحاصر الجزائر بتسهيل مهمة السيد طاهر باشا. وقد قبلت السفارة الفرنسية هذا الطلب.

وفي 16أبريل 1830م كانت البارجة الحربية (نسيم ظفر) قد اقلعت من اسطانبول في طريقها الى الجزائر وعلى متنها المبعوث العثماني السيد طاهر باشا يرافقه كاتبه الخاص ومترجمه. وكان طاهر باشا محملا برسالة من السفير الفرنسي باسطانبول الى قائد الحصار الفرنسي بالجزائر، كما كان طاهر باشا مزودا بامر مكتوب يوضح مهمته ويحمل خط يد السلطان نفسه. وقد اشتملت تعليمات السلطان العثماني لمبعوثه الى الجزائر على خمسة بنود هي:

1- عندما يصل طاهر باشا الى المياه الاقليمية الجزائرية فانه يبادر بالتباحث مع قائد الحصار الفرنسي لتسوية المشكلة القائمة بين الجزائر وفرنسا.

2- اذا رفض قائد الحصار ان يتفاوض معه فعليه ان يطلب من الحكومة الفرنسية ممثلا عنها يتمتع بكامل الصلاحيات ليبدأ معه مداولات رسمية ثم يدخل بعد ذلك الى مدينة الجزائر.

(1) " رجل دولة ضعيف.... وظل في منصبه حتى مارس 1830م) انظر. ارجمنت كوران. المصدر السابق ص 49هـ.27.

3- يشرح طاهر باشا للعلماء والاعيان العواقب الوخيمة التي تنتج من الحرب على فرنسا وعليه ان يقنع هؤلاء بان السلطان طلب حل النزاع بالطرق السلمية.

4- اذا كانت المطالب الفرنسية مجحفة فليكن ذلك موضوع مفاوضات بينه وبين الموظف الذي ترسله الحكومة الفرنسية.

5- على طاهر باشا ان يبذل كل مافي وسعه للوصول الى حل الخلاف الذي نشب بين فرنسا والجزائر واذا فشلت مساعيه كلها فعليه ان يوجه رسالة الى السلطان.

وبعد ايام قليلة من سفر طاهر باشا الى الجزائر وصل رد من والي مصر محمد علي باشا الى حكومة الباب العالي يؤيد فيه الباشا ويؤكد نفيه لما نسب اليه من توقيع معاهدة بينه وبين فرنسا بهدف الهجوم على ايالة الجزائر وأكد والي مصر أنه قال لقنصل فرنسا:

"أنتم مسيحيون، أما نحن والجزائريون فمسلمون، وسماع اقوال كتلك ونحن ذوو دين وأمة وشريعة ودولة واحدة لا يتلاءم مع ديننا ودولتنا) (1)

وفي 16 مارس 1830م اعلم مترجم السفارة الفرنسية باسطانبول حكومة الباب العالي ان فرنسا اقرت العزم على ارسال جيش الى الجزائر الا أنها مع ذلك تأمل في ان يتوصل طاهر باشا الى حل

(1) أرجمنت كوران. المصدر السابق ص 55.

سلمي بينها وبين الداي حسين. وقد كانت سفارة فرنسا متأكدة من الفشل الذي ينتظر طاهر باشا في مهمته، اذ أنها (اي السفارة الفرنسية)، اخرت موعد سفره عدة اسابيع فلم تسلمه رخصة الى قائد الحصار على الجزائر الا بعد ان تاكدت عزم حكومتها الاكيد بتجريد حملة عسكرية على الجزائر هذا من جهة ومن جهة اخرى فان طاهر باشا المكلف بالمهمة سوف لم (كذا) تصحبه الا باخرة حربية من الدرجة الثانية ولا يرافقه الا عددا قليلا (كذا) من الرجال ومن العتاد والالات الحربية الضرورية لخدمته...) (1).

وفي الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية تنتظر النتائج التي سيتمخض عنها سفر طاهر باشا الى الجزائر، كانت الحكومة الفرنسية قد صممت على ان تنفرد بالعمل المسلح في الجزائر خاصة بعدما تاكدت ان والي مصر قد أعلن رفضه للمشروع الفرنسي وذلك في 6مارس 1830م.

وبعد شهر من سفر طاهر باشا الى الجزائر وصلت منه رسالة عن طريق ازمير يؤكد فيها للسلطان العثماني ان قائد الحصار الفرنسي منعه من دخول مدينة الجزائر، وانه اضطر الى الذهاب الى مدينة طولون للإقامة فيها، وأنه عند اقترابه من مرفإ هذه المدينة شاهد اسطول فرنسا محملا بالعساكر والذخيرة الحربية متجها الى الجزائر.

(1) ارجمنت كوران. م.ن. ص56.

ويوضح طاهر باشا في رسالته هذه ان وزير الخارجية الفرنسي يسأل ان كان ممثل الحكومة العثمانية يتمتع بكل الصلاحيات ليتفاوض مع الوفد الفرنسي عن الخلاف مع الجزائر؟.

وأكد طاهر باشا في رسالته المذكورة انه اجاب الوزير الفرنسي لكنه مازال لم يتصل باي رد منه. وباختصار فان الحكومة الفرنسية قد التجأت الى اهمال مهمة السيد طاهر باشا التوفيقية وذلك حينما عبرت (عن دهشتها لتعيين رجل (كذا) لا يفهم ابدا ما يقال له.) (1).

وبذلك تكون فرنسا لم تعترف رسميا بالمبعوث العثماني وقد تأخرت رسالته عن الوصول الى اسطانبول وذلك بالنظر الى تاريخ ارسالها.

وبعد زمن قليل اتصل رئيس الكتاب العثماني من مترجم السفارة الفرنسية باسطانبول بمذكرة مؤرخة في 6أوت 1830م تفيد بان الجيش الفرنسي قد احتل مدينة الجزائر.

وتزعم بعض المصادر الاجنبية ان طاهر باشا كان يحمل تعليمات سرية تقضي بعزل او اعدام الداي حسين اذا تطلب الامر منه ذلك. ولكن المصادر العربية والتركية كلها لا تروي مثل هذه الادعاءات. كما انه ورد في بعض الكتب الاجنبية زعم بأن الوزير الأول العثماني اكد

(1) كانت رسالة طاهر باشا للباب العالي مؤرخة في 7 محرم 1246هـ الموافق 29 جوان 1830 راجع أرجمنت كوران، المصدر السابق ص 59. هـ46

لطاهر باشا عند سفره الى الجزائر ما يأتي: " واذا نجحت في مهمتك التوفيقية فان نيابات المغرب الثلاث ستكون تحت امرتك، وإلا فإن رأسك سيقطع" (1).

ويذهب المصدر المذكور الى أن هذا الإختيار بين الأمرين هو الذي دفع بطاهر باشا الى أن يؤجل سفره الى الجزائر ولا يستعجله.

كما ان البعض يرى أنه " لو أنجز طاهر باشا مهمته لفقد الداي حسين رأسه وفقدت فرنسا الجزائر.(2).

6- فرنسا تتخذ قرارا انفراديا بالحملة

لم يكن الرأي العام الفرنسي ليهتم كثيرا بمشروع الحملة على الجزائر فكانت غالبية الشعب تنظر الى المسألة على أنها محاولة يائسة من حكومته لتغطية سياستها التي تتسم بالعمالة في الخارج وبالفشل في الداخل. ولهذا فقد تلقى معظم الناس نبأ إعلان الحملة العسكرية دون اكتراث. وباختصار فان الرأي العام الفرنسي استعمل قرار الحملة على الجزائر سلاحا لمحاربة (حكومة مكروهة) (3) اما سكان الموانئ، وعلى وجه الخصوص اهل مرسيليا، فقد

(1) اوقستن بيرنار- المصدر السابق ص98
(2) د/ محمد خير فارس المصدر السابق ص185.
(3) اسكير المصدر السابق ص384-358

اهتموا بالحملة التي يمكن ان تؤمن الملاحة وتفضي الى فتح اسواق جديدة لتجارتهم. (1).

غير ان الطبقة البورجوازية لم تحبذ فكرة الحملة لانها كانت تنظر الى الحرب في الجزائر على أنها (حملة خاصة) من شأنها ان تسهل تنفيذ عملية انقلاب، هذا الانقلاب الذي تخشاه وترهبه واما الصحافة اليسارية فقد تناولت الموضوع بعناية فائقة فكشفت عن حالة نفسية غير راضية بالوضع. وقد تجلت هذه الحالة في المقال الذي دبجه النائب دي لابورد(DELABORDE) الذي وصف الحملة بانها «ظالمة في اصولها، خرقاء في اهتمامها، جانية ومجرمة في تنفيذها». (2)

وقد بين هذا النائب ان ارسال الحملة الى الجزائر (غير معقول، لا يمكن القيام به، خاصة اذا كان دون سبب) ويستطرد السيد الكسندر دي لابورد في استنكاره الشديد لقرار الحملة فيبدي هذه الاسئلة "هل هذه الحرب عادلة؟ ابدا. لا أخشى ابدا ان اقول ذلك... بل كان ممكنا ان تلخص هذه القضية على النحو الآتي: ان الداي يطالب بحقه فنسرقه، يشتكي فنشمته، يغضب فنقتله. هل هذه الحرب مجدية؟ هل من مصلحة فرنسا ان تقيم مستعمرة على ارض الجزائر دون ان تحتفظ بها؟ هل هذه الحرب تساوي الاموال والرجال الذين نقدمهم الى أتونها؟ من يمكنه ان يفكر في ذلك؟

(1) قزال المصدر السابق ص195

(2) قزال م.ن.ص.ن

وأخيرا اذا كانت هذه الحرب ليست عادلة ولا مفيدة فهل هي على الاقل مشروعة؟ انها ليست كذلك ايضا وهنا يصبح السؤال خطيرا بشكل.... معه اعز حقوقنا اذا كان في غياب مجلسي النواب والشيوخ او حتى بحضورهما يمكن ان نصرف ميزانية تتجاوز المائة مليونَ تحت ذريعة الحرب وان نجمع جيشا فانه لا يوجد ابدا حكومة تمثيلية". (1)

واما دي بودبناس (DEBOUDEBNES) فانه يفضح تآمر بلاده على الجزائر عندما يعلن: اذا كانت المسيحية تريد ان تثأر للإهانات الفاضحة التي الحقتها بها نيابة الجزائر الا يمكنها ان توحد معنا اساطيلها وعساكرها واموالها؟ ويتساءل .

بودبناس عن الفوائد التي ستجنيها فرنسا من هذه المغامرة فيرى ان تكاليف الحملة لا توازي المكاسب المادية والادبية التي ستحصل عليها فرنسا من حربها في الجزائر. ان الحملة - في رأيه- ستكلف فرنسا كثيرا من المتاعب المالية، وان تحضير ستين الف رجل عملية تتطلب مزيدا من التضحيات مدة اربعة اشهر.

وفي رأي بعضهم الاخر فان الجزائر بخصوبة تربتها ووفرة انتاجها ستسمح للملك ان يوطن فيها كل من يرى وجوب مكافأتهم

(1) بول ازات، المصدر السابق ص 47-48

او اغنائهم. كما أنها ستعوض فرنسا المنتوجات التي كانت تستوردها من المستعمرات القديمة. (1).

واذا كانت الصحافة الرسمية قد هللت لفكرة الاحتلال فان هذا لم يغير اي شيء من الانطباع العام الناتج من حملة الانتقادات الواسعة. فقد كشفت بعض الجرائد المتحررة عن نية الحكومة المبيتة عندما كتبت تقول : "ان الحملة على الجزائر كانت فخا عسكريا منظما لضرب التحرر السياسي، ومحاولة لتشتيت رأي الشعب وحرية الشعب... ماذا وراء هذه القضية؟ هناك وزراء غير اكفاء وغير صالحين، كما ان هناك الامل في جعل النصر على الجزائر نصرا على حريتنا، وأخيرا هناك الحلم في الفوز بالرتب والمنح والتشريفات. (2).

ولعل اصدق من عبر عن هذا الموقف العام المتشكك هو الكاتب الفرنسي اسكير الذي اورد في هذا الصدد:؛ السبب الحقيقي لهذه الحرب هو تحضير الجيش الفرنسي لحرب على الباريسيين. (3)

وعلى اثر اجتماع عقده مجلس الوزراء الفرنسي في 21جانفي 1830م برئاسة الملك شارل العاشر تقرر ارسال حملة عسكرية الى الجزائر وفي 3 مارس اعلن الملك الفرنسي في خطاب العرش امام البرلمان ما يأتي: انني لا أستطيع ان اترك الاهانة الموجهة الى علمي

(1) اسكير. المصدر السابق ص75.
(2) اسكير المصدر السابق ص384-385.
(3) اسكير م.ن.ص.ن.

طويلا دون عقاب، وان الرد المدوى الذي ابغي الحصول عليه ارضاء لشرف فرنسا سيجري بمعاونة كل القوى لمصالح المسيحية" (1).

وقد بقي قرار الحملة تكتنفه السرية التامة فلم تعلن عنه الحكومة الفرنسية الا في آخر شهر مارس وذلك لتجنب المعارضة على الصعيدين الداخلي والخارجي.

ولنا ان نسأل عن الدوافع الرئيسية التي حملت الرأي العام الفرنسي على ان يعارض في البداية وبقوة قرار الحملة العسكرية على الجزائر. والحقيقة فإن الشعب الفرنسي لم يعارض جوهر مشروع الحملة بقدر ما كان يعارض القائمين بها والعاملين على تنفيذها، اي ان موقفه من مبدإ الحملة كان موقف مؤازرة وتأييد لذلك نجده عند سقوط الملكية في اواخر شهر جويلية 1830م يتجند بحماسة شديدة لخدمة اغراض حملة مشبوهة في اهدافها كاذبة في اسبابها بل ويطالب باحتلال الجزائر ووجوب استيطانها وبالتالي باقامة مستعمرة دائمة على ترابها فالقضية اذن كانت في رأيه لا تعدو ان تكون مسألة حزبية عارضها عندما كانت الملكية قائمة ورحب بها عندما تهاوي صرح هذا النظام (اي الملكية).

لقد احدث مشروع الحملة على الجزائر في الاوساط الفرنسية جوا مليئا بالتصورات والتكهنات لما ينتظرها من نتائج فتارة نجد نائبا برلمانيا يسأل عن استخلاص النتائج من قصف اللورد اكسموث

(1) قزال المصدر السابق ص194.

لمدينة الجزائر عام 1816م وتارة اخرى نرى الخوف يسيطر على العقول من ذكرى (عاصفة شديدة) ودائمة على ساحل مدينة الجزائر. وتذهب الاحتمالات ببعضهم بعيدا فيتصور هذا الافتراض اذا وصل الاسطول الى مدينة الجزائر دون حصول حوادث فانه يجد على ساحل افريقيا شاطئا مفتوحا ليس به اي ميناء ولا ملجأ؛ ان ادنى اضطراب بحري يجعل عمليات الانزال البحري تبوء كلها بالفشل ولو كان ذلك في الايام الجميلة من فصل الصيف". (1).

وقد كانت فرنسا تستهدف من عملية احتلالها للجزائر فتح واجهة خارجية يتلهى بها الرأي العام فيها؛ فلا الفتح العسكري ولا المؤسسات البراقة ولا المكاسب الدائمة لتجارتها كانت هدفها من وراء هذه الحملة المسعورة. ان الاوساط الحاكمة في فرنسا لا تبحث الا عن مجد شخص فقد كل وزن وعدهم بانه بهذا المجد سيخرس الحرية التي تضايقه والصحافة التي تتهمه وصرخة البؤس التي تطاب منه مزيدا من التوفير". (2).

وبعد ان وافق الملك الفرنسي شارل العاشر على قرار الحملة العسكرية على الجزائر اصدر وزيره الاول بولينياك بيانا للدول الاوربية قال فيه:" لابد من توضيح هدف فرنسا من الحملة... ان للحمة هدفين رئيسين يتعلق اولهما بفرنسا وحدها وهو الانتقام للكرامة الوطنية

(1) اسكير. المصدر السابق. ص382-383.
(2) بول ازان. المصدر السابق ص46.

وحماية المؤسسات التجارية التي كانت لها امتيازات في الشرق الجزائري، ومطالبة الداي بتعويضات عن الخسائر والاضرار التي ما انفك قراصنته يلحقونها بالتجارة الفرنسية. اما الهدف الثاني فيخص اوربا باسرها وهو منع الرق والقرصنة والا تاوات التي مازالت بعض الدول الاوربية تدفعها الى حكومة الجزائر. وتمضي مذكرة الحكومة الفرنسية فتعلن انه اذا تمخضت الحرب عن سقوط نظام الداي، فان فرنسا مستعدة لدعوة حلفائها لعقد مؤتمر دولي يناقش طبيعة الحكم الجديد الذي يمكن اقامته في الجزائر لخير المسيحية جمعاء". (1).

وقد ترشح عدد كبير من الجنرالات الفرنسيين لقيادة الحملة على الجزائر ابرزهم وزير الحربية نفسه الجنرال دي بورمون. وكان وزير الدفاع السابق كايرمون دي تونير يحلم منذ عام 1827م باسناد قيادة الحملة الى الجنرال المذكور. فقد خاطب تونير ذات يوم بورمون بقوله: " عزيزي الجنرال، هناك على ساحل افريقيا تنتظركم عصا الماريشالية. لقد رجوت جلالة الملك ان يأمركم بالذهاب لتأتوا بها، وان الملك مستعد ان يفعل ذلك" (2)

وعندما طلب الماريشال دوق دي راقوز (DUC DE RAGUS) من رئيس الوزراء بولينياك ان يسند اليه قيادة الحملة على الجزائر أجابه:

(1) محمد فرح الامة العربية (دار الفكر العربي- ص135.
(2) برانس سكست دي بوربون. المصدر السابق ص176.

"إنكم لا تجدون اي معارضة من قبل الملك، واني انصح لكم بمقابلة السيد لدوفان (LE DAUPHIN) والتحدث اليه" (1)

لقد استحوذت فكرة احتلال الجزائر على مشاعر بعض القادة الفرنسيين حتى ان بعضهم لا يتمالك نفسه فيصرح بانه سيتحول الى راهب اذا لم يتحقق امله في استعمار شعب الجزائر. فهذا الدوق دوراقوز يخاطب لدوفان : " سيدي، اذا لم تسند الي قيادة هذه الحملة، فاني سأبتلي ابتلاء عظيما وليس علي حينئذ الا ان أتحول الى راهب". (2).

غير ان الحملة لا يقتنع بجدواها الفرنسيون كلهم فهذا الجنرال بيرتي (PERTI) يربط بين مشكلة الجزائر والوضع السياسي السائد في فرنسا انذاك فيقول: ".... اننا ذاهبون الى الجزائر في مناوشة صغيرة مع الداي. اما الحرب الحقيقية فستكون عند عودتنا الى فرنسا". (3).

وهكذا ففي جلسة 7 فبراير 1830م اصدر الملك الفرنسي شارل العاشر مرسوما ملكيا بتعيين الجنرال دي بورمون قائدا عاما للحملة، والاميرال دوبيري قائدا للأسطول. ومن نافلة القول التذكير بان

(1) برانس سكست دي بوربون. م.ن.ص.ن.
(2) برانس سكست دي بوربون. م.ن.ص.ن.
(3) الميلي، وعبد الله شريط، الجزائر في مرآة التاريخ ص161.

الجنرال دي بورمـون كـان مكروهـا لدى الرأي العـام الفـرنسـي الذي اتهمه بالخيانة في معركة واترلو الشهيرة عام 1815م.

ولذلك كـان جنود الحملة وهم فـي طريقـهم الى الجـزائر- يسـخـرون منه ولسان حالهم يردد:

(الجزائر بعيدة عن واترلو ALGER EST LOIN DE WATERLOO)

لا يمكن الفرار في البحر ON NE DESERTE PAS SUR L'EAU

ومن جنرالنا بورمون DE NOTRE GENERAL DE BOURMONT

لا تخشوا الخيانة) (1) NE CRAIGNONS PAS LA TRAHISON.

(1) د/ محمد خير فارس المصدر السابق ص189 جوليان المصدر السابق.

الملاحق

هذا ملف يحتوي على عشر وثائق (1) تتعلق بتاريخ الجزائر الحديث انشرها اول مرة ليستفيد منها المؤرخون والباحثون مكتفيا في عرضها عليهم بتعليق وتقديم بسيطين اعتقادا مني بان دراستها دراسة علمية دقيقة هو امر تصرفني عنه ظروف حياتي الخاصة وبذلك سيطول عليها الامد اكثر مما طال لاجل ذلك آثرت ان اضعها بين ايدي القراء علهم يجدون فيها المادة العلمية التي تساهم في تصحيح بعض المفاهيم التاريخية.

واريد ان اجلب الانتباه الى مسأله هامة وهي ان المواضيع التي تتناولها تلك الوثائق لا علاقة لها بالمواضيع التي جاءت في الكتاب، ولكن ما يجمع بينهما -اي الوثائق والكتاب- هو الفترة الزمنية ذلك ان المرحلة التاريخية التي تتحدث عنها هذه الوثائق هي عينها المرحلة التي يدرسها هذا الكتاب.

وبسبب عدم تعرضي في الكتاب لتلك الوثائق بشيء من الدراسة والتحليل فقد رأيت ان اعرف بكل واحدة منها تعريفا خاصا ما دامت

(1) إن أصل هذه الوثائق محفوظ في مكتبتنا الخاصة

هذه الدراسة لم تتطرق لها بالقليل من ذلك.

ويمكن تصنيف تلك الوثائق من الناحية الموضوعية والترتيب التاريخي الى مجموعتين: مجموعة تتناول مراسلات ادارية مختلفة كتبت في عهد الداي حسين باشا (آخر دايات الجزائر) (1) وعددها اربع مراسلات. ومجموعة اخرى تدور محاورها على اغراض متنوعة يبدأ تاريخها من عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر وعددها ست وثائق. على انه يمكننا ان نحدد مجموعة الوثائق الاربع الاولى من الوجهة التاريخية كما يأتي:

1) رسالة من السيد الحاج (فراغ في الاصل) باي الى الدولاتلي حسين باشا مؤرخة في اواخر شهر رجب عام 1243هـ.

2) رسالة من السيد محمد صالح (بتخفيف الصاد) قائد بني موسى الى الدولاتلي حسين باشا مؤرخة في عام 1243هـ.

3) رسالة من الحاج (فراغ في الاصل) باي مؤرخة في 29 صفر الخير 1244هـ.

4) رسالة من السيد فلان بن فلان (هكذا في الاصل) ليس لها تاريخ وهي موجهة الى السيد فلان خوجة بن السيد فلان (هكذا في الاصل) بايلك الجزائر.

(1) كل كلام بين قوسين سواء أكان في التعليق على الوثائق او في المدخل اليها أعني النص الاصلي لها فهو من عندي.

المدخل إلى الوثائق الأربع الاولى

اما الرسالة الاولى (1) يظهر انها موجهة من الحاج احمد (باي قسنطينة) الى الداي حسين باشا والدليل على ذلك هو ان كاتب الرسالة ترك بياضا بين لفظ الحاج وكلمة باي مما يوحي بان ذلك الفراغ قد يكون مخصصا لكلمة "احمد" المحذوفة عمدا ومن جهة اخرى فان الرسالة تتحدث عن بعض القضايا التي تتعلق ببايلك قسنطينة الذي كان على رأسه الحاج احمد باي في ذلك الوقت. ومما يؤيد هذا الاحتمال ايضا ما جاء في ملحق الرسالة من اعلام الباي الداي عن خليفته -اي الباي- الذي اصابه مرض منذ رجع من الجزائر عقب قيامه بأداء الدنوش (2) وانه لا يرجى شفاؤه الا بعد مدة

(1) على رأس هذه الرسالة كتب باللغة الفرنسية ما يأتي:

"الى السادة مستمعي درس اللغة العربية" 1852م.

وتحته مباشرة ثلاثة حروف لاتينية وإمضاء بإسم مجهول. كما ان الركن العلوي الايسر للرسالة مكتوب عليه رقم 62 وتحته كذلك، السيد/ تورييانو.

والذي نستخلصه من هذا كله هو أن المراسلات الإدارية الجزائرية التي وقعت في أيدي الفرنسيين بعد الاحتلال قد قامت بدراستها جهات كثيرة منها "هذه الدروس العامة للغة العربية" التي من اهدافها تحقيق مثل هذا الغرض. والوثيقة التي بين ايدينا هي الوثيقة رقم 62 من بين تلك الوثائق التي تم الاطلاع عليها.

(2) الدنوش: هي الزيارات التي كان البايات يؤدونها الى الداي على رأس كل ثلاث سنوات وهي زيارات الزامية.

طويلة وبذلك فقد تعطلت الامور الادارية لذلك الخليفة: "وصرنا بلا خليفة فوجب علينا اعلامك ومناظرتك... فان ظهر لك من تعينه لنا فالامر لسيادتكم وان امرتنا باختيار من يصلح بنا فان الناس كثير".

وبعد ان يقدم الباي عبارات الاخلاص الى الداي فانه يخبره بانه وجه اليه قافلة التمر والزيتون واشياء اخرى ثمينة وكثيرة اليه والى كبار رجال دولته فقد قال له: "انا وجهنا لحضرتكم العلية... قافلة التمر والزيتون على حسب العادة... منها ما هو لحضرتكم... مع فرسين اثنتين (كذا) احداهما حمرا اللون (كذا) والاخرى زرقا اللون (كذا) وبرنوسين اثنين عمل الجريد وبرنوسين اثنين سوستي احدهما مجعب بالحرير وقندورة (جبة) جيدة جريدي مجعبة ووجهنا من ذلك عوائد ارباب دولتك السعيدة بالتمام". ويعلم الباي في رسالته "اننا بالمحلة المنصورة ننظر الموضع الذي يصلح بنا وفيه جلب ونفع وتسديد امر واصلاح فاننا نقصده ونتوجه اليه". كما ان في الرسالة حديثا عن الامن والاستقرار الذي يسود البلاد فالاراضي وخاصة منها وطن الحنانشة (1) قد حرثت حراثة تامة"... وقد عمرت الارض"... بالحراثة ومن جملتها وطن الحنانشة حرثه اهله وان هذه الاعوام الفارطة لم يجر فيه خط من الحرث"

أما الرسالة الثانية فهي تقرير اداري كتب عن اذن السيد / محمد الصالح قائد بني موسى الى الداي حسين باشا يعلمه فيه عن

(1) الحنانشة: قبيلة كبيرة شرق جبال الاوراس.

قضيتين هامتين" اولاهما هو وصول رسالة من الداي حسين الى قائد بني موسى وثانيتهما هي احاطة الداي علما بان محلته المنصورة المتوجهة الى نواحي التيطري قد وصلت الى عين الربط صبيحة يوم الخميس الموافق للتاسع والعشرين من الشهر الحالي (1) فقد قال له ما يأتي:

"... وان محلتكم المنصورة بالله تعالى الموجهة الى الناحية التيطراوية قد خيمت بعين الربط صبيحة يوم الخميس وفق التاسع والعشرين يوما من شهر التاريخ". ويؤكد القائد المذكور للداي انه سيتلقى المحلة المذكورة حسب ما جرت به العادة فيوفر لها المؤونة اللازمة على اهل وطن بني موسى في مثل هذه الحال فقد قال له فيما قال: "نتلقوها (كذا) بالمونة (كذا) الواجبة... على اهل وطننا بني موسى وهي ستة عشر كبشا واربعة وعشرين (كذا) طاسا سمنا وثلثيتان من الشعير.

واما الرسالة الثالثة فان كاتبها هو الحاج (2) فلان باي الى السيد

(1)- ان تاريخ 29 رجب عام 1243هـ يوافق عام 1827م.

(2)- لعله يكون الحاج احمد باي قسنطينة لانه يتحدث في هذه الرسالة عن قضايا كثيرة تدور كلها في الشرق الجزائري، ولكن يبدو من خلال الرسالة ان الحاج باي قد استقبل في غير مدينة قسنطينة (مقر حكمه) شخصا اسمه "الحاج عمار" حاملا ظهيرا من الداي وانه (اي الحاج باي) قد اكرم هذا الشخص وسهل له مواصلة الطريق الى قسنطينة حيث يقيم فيها يوما او بعض اليوم ثم يتابع سفره الى تونس.

حسين باشا يخبره فيها عن وصول كل من رسالته اليه ووصول الحاج عمار (1) حاملا ظهيرا من الداي انعم فيه عليه بتوليته (وكيلا) في تونس والاكرام عليه بكسوة فاخرة. اما الحاج باي فتفضل عليه بجواد مطهم وسرجه وعدته واصدر اوامره بقضاء حاجات الحاج عمار كلها. ثم مضى هذا الاخير الى قسنطينة حيث يقيم بها يومين يقضي خلالهما بعض شؤونه الخاصة وينصرف بعد ذلك الى تونس. انه يقول في هذه الرسالة: "فقد بلغنا كتابك العظيم... وبلغ الينا خديمكم المكرم الحاج عمار بظهيركم السعيد قد انعمت به عليه من الكسوة الفاخرة... ونحن اعطيناه مركوبا حسنا بسرجه وعدته وامرنا بقضاء حوائجه ومضى لقسنطينة (كذا) يقيم بها نحو اليومين يقضي بعض اشغاله وينصرف لتونس (كذا) ان شاء الله".

وقد جاء في الصفحة الثالثة من الرسالة ملحق يتعلق بهذا الموضوع يشرح الاجراءات الادارية المتبعة في مثل هذه الحالة من التعيين خارج الحدود الوطنية فزيادة على الظهير والمكتوب اللذين كان الحاج عمار يحملهما من الداي الى باي تونس فقد كان على الحاج باي ان يكتب ظهيرا ومكتوبين آخرين من عنده الى هذا الاخير وكذلك فعل: "ونحن سيدنا لما جاء الحاج عمار الوكيل بظهيرك السعيد مع مكتوبك الجديد لباي (كذا) تونس اقتفينا في ذلك العادة المعلومة وكتبنا له ظهيرا

(1)- لم نتعرف الى حقيقة هذا الشخص الا من خلال ما يوحي به النص.

واعلاما بوكالتنا ومكتوبا من عندنا لباي تونس".

وبعد الانتهاء من هذا العرض فان الرسالة تنتقل الى الحديث عن موضوع آخر له صلة ببعض هذه الانتفاضات المتفرقة التي يشهدها بايلك قسنطينة من حين الى آخر ذلك ان اولاد سلام الذين يسكنون المناطق الجبلية الوعرة قد اعلنوا العصيان على السلطة مع اولاد سلطان (1) وذلك منذ ان قدم يحي آغا (2) الى هؤلاء الاخيرين: "ان اولاد سلام الجبائلية كانوا من حين قدم يحي اغا لاولاد سلطان نافقوا معهم" وتستمر الرسالة في الحديث عن هذا الشغب فتقول: "ولما رجعنا من نحية (كذا) زمورة وفرغنا من قضية اولاد بورنان (3) توكلنا على الله وغزوناهم... يوم الاحد السابع وعشرين من شهر تاريخه فوجدناهم بموضع وعر باهلا (كذا) جبلهم يقال له الرحبات... فوقع بيننا وبينهم حرب ثم هزمهم الله تعالى... وقطعنا منهم ستة وعشرين رأسا ووجهناها لقسنطينة (كذا) وانجرح منهم ازيد من ثلاثين نفسا ومات منهم خمسة لم تقطع رؤوسهم واخذنا لهم من الغنم ستة الاف شاة ٦٠٠٠ ومن البقر مائتين وخمسين ٢٥٠ رأسا ومن الخيل والبغال

(1) اولاد سلام واولاد سلطان: هما قبيلتان كبيرتان في نواحي مدينة باتنة.

(2) هو القائد الجزائري الاصل المعروف بشجاعته. قتله الداي حسين بسبب وشاية البعض به اليه.

(3) اولاد بورنان: هي احدى القبائل الكبرى التي كانت في صراع دائم مع بايلك قسنطينة والتي تقع الى الغرب من ولاية قسنطينة حاليا.

سبعين ٧٠ زايلة ومات لنا فارس من ريفه وجرح مملوك... تعينت سلامته ومات لنا ثلاثة افراس خيل لا غير". وتؤكد الرسالة ان هذا الانتصار على القبائل المتمردة قد وطد اركان الامن وفرح به الناس الذين كانوا يتعرضون لاذى اولئك المتمردين "انفتح عن وطنك باب عظيم من ابواب العافية وفرحت جميع الاعراش".

وفي آخر الرسالة يتصدى صاحبها للحديث عن الحاج علي التارزي (1) الطرابلسي الذي قدم الى مدينة عنابة. وقد وقعت مراسلة بينهما اذ بعث اليه الحاج على التارزي رسالة يخبره فيها عن قدومه الى المدينة المذكورة فكتب اليه الحاج باي يسأله عن الهدف من زيارته ان كان يرمي من ورائها الى مقابلة الداي ام انه يقتصر على مدينة قسنطينة فقط؟.

ولكن الحاج علي رد عليه بانه انما جاء الى مدينة عنابة ليبيع مائة وثلاثين رأسا من العبيد. كما انه (الحاج علي التارزي) بعث اليه رسالتين اخريين احداهما الى الداي نفسه والاخرى الى الحاج باي موجهة اليه من باشا طرابلس. ومعها هدية ومضمون الرسالة يدور على امكانية السماح بشراء الخيول المعتقة. ويظهر ان الحاج باي كان شديد الحذر من هذه العلاقات والمراسلات التي تبدو له مشبوهة فهو عندما عرف نية باشا طرابلس واطلع على الهدية التي ارسلها

(1) لم نتعرف الى حقيقة هذا الشخص الا من خلال ما يثبته النص.

اليه فانه بادر بمكاتبة الحاج علي التارزي ينصح له بالبقاء في مدينة عنابة حتى اشعار جديد ثم قام بعد ذلك بارسال المكتوبين والهدية جميعا الى الداي ليطلع عليها كلها. ولم يأذن للحاج علي التارزي بشراء الخيل الا بعد الحصول على امر بذلك من الداي. استمع اليه يقول: "ونعبلمك سيدي ان الحاج علي التارزي الطرابلسي قدم الى عنابة وبعث لنا مكتوبا... فجاوبناه بان يخبرنا على حاجته التي جاء بها (كذا) هل مقصده القدوم لحضرتكم (كذا) ام لقسنطينة (كذا) فقط. فرد لنا الجواب انه جاء بمائة وثلاثين رأسا من العبيد بقصد البيع وبعث لنا مكتوبين احدهما لسيادتكم (كذا) والاخر لنا (كذا) من عند باشا طرابلس ولما فتحت كتابنا وجدت فيه جريدة مضمنها هدية الينا طالبا شراء الخيل والعتاق (هكذا في الاصل بواو العطف).

ولما فهمت مراده كتبت له يبقى (كذا) في عنابة حتى يأتيه جوابنا واني وجهت لك المكتوبين والجريدة تطلع عليهم (كذا) ثم بعد ذلك سيدي الذي تأمرني به نفعله (كذا) فاني لا نقبل (كذا) منه هدية ولا نأذن له في شراء الخيل الا بعد امرك السعيد" وتنتهي هذه الرسالة المطولة الى الحديث عن هذين الرجلين اللذين لجأ الى مدينة قسنطينة هاربين من باي تونس الذي عزلهما من وظيفتهما وولى بدلهما من ليس اهلا لذلك.

وهذان الرجلان "احدهما هوالمسمى محمد بن سليمان بن فرحات

من اولاد حسن وهم من اولاد الترك كان قائد (كذا) على دريد من رعية باي تونس والثاني... كان شيخ الفراشيش...(1) وزعما ان تابعهم (كذا) من دريد والفراشيش استأنفوا من ذلك وبعثوهما يأخنوا (كذا) لهم الاذن منا ويأتون لبلادنا... وقد امرنا قايد الدار (2) يبقيهما (كذا) عنده في قسنطينة حتى يأتيني جوابك السعيد".

ويقترح كاتب الرسالة في الاخير بشأن هذين اللذين التجأ من تونس الى الجزائر ما يأتي: "...ان هؤلاء اولاد حسن... فان اردت ان نجعل معرفة ونردجوابكم بوجه طيب نجدهم مرة اخرى فتكون المعرفة معهم سابقة فالنظر لكم (كذا) اعزك الله".

واما عن فرقة "الزغالمة"(3) الذين كانوا قد تلقوا الامر من قبل الباي بالدخول الى تراب الجزائر وتعهدوا بذلك فانهم لا يزالون الى الان بالقرب من مدينة تبسة "... ان الزغالمة الذين كنا اخبرناك عليهم وامرناهم بالدخول لبلادنا والبعد عن وطن القبلة وما زالوا الى الآن بقرب تبسة".

واما الرسالة الرابعة والاخيرة فان اول ما يلاحظ عليها هو انها لا

(1) -دريد والفراشيش: هما قبيلتان كبيرتان متاخمتان للحدود الجزائرية التونسية الى الجنوب الشرقي من مدينة تبسة.

(2) -قائد الدار: يعني رئيس القصر.

(3)- هم اليوم من السكان المعروفين في مدينة تبسة ونواحيها.

تحمل تاريخا ولا طابعا وان الاشخاص الذين ورد ذكرهم فيها كلهم مجهولة اسماؤهم وان موضوعها يدور اساسا على تحريم بيع وشراء النصاري كما ان كاتبها (وهو مجهول طبعا) قد اتصل بخمسة وعشرين سلطانية من السيد / محمد بن كذا ومن ناحية اخرى فانه - اي الكاتب- يعتذر الى السيد / فلان خوجة عن عدم تمكنه من شراء نصراني يرسله اليه لان الباي اصدر امرا الى حكام البلاد بتحريم بيع وشراء النصارى "وهذه الساعة امتنع في بلادنا شراء النصارى لان الباي بعث كتابه الى حكام البلاد واكد عليهم (كذا) بان لا يشتري احد روميا والذي يشتريه يأخذه بايلك"

وتنتهي الرسالة بوعد من كاتبها بانه لن يتأخر عن ارسال نصراني الى السيد / فلان خوجة عند اول فرصة تسنح له بذلك.

هذا عن الوثائق الاربع الاولى. اما عن مجموعة الوثائق الست الباقية فانها ترتب تاريخيا هي الاخرى كما يأتي:

الوثيقة رقم 1: رسالة من أغا الاصنام الى قائد القياد الحاج مروان بتاريخ 1267هـ (1851م).

الوثيقة رقم 2: طلب شخصي موجه من الحاج حسن بن حمدان ابن عثمان خوجة الى الحاكم العسكري في مدينة الجزائر بتاريخ 1852م بالعربية وبخط مشرقي.

الوثيقة رقم 3: تقرير اداري من الباش أغا الجودي حاكم زواوة

الى العقيد (دنبوا) بتاريخ 17 ربيع الثاني 1271هـ الموافق لشهر ديسمبر 1854م بالعربية.

الوثيقة رقم 4: رسالة من الكونت "راندون" الى السلطان حميدة ابن احمد في تنبوكتو (1) بتاريخ اواخر محرم 1271هـ (1855م)، وهي باللغة العربية، كتبها ايريكو (المترجم في الجيش الفرنسي).

الوثيقة رقم 5: رسالة من الحاج محمد خنوخن قائد التوارق الى القائد الاعلى في الاغواط بتاريخ 24 محرم (1273هـ)، مترجمة الى الفرنسية بعناية إ. بوضربة.

الوثيقة رقم 6: رسالة من عمار بن عيسى ومحمد بن احداسي بالقطر التونسي الى اللواء قائد منطقة قسنطينة بتاريخ سبتمبر 1878 بنصيها الاصلي والمترجم الى الفرنسية.

(1) مدينة تجارية على نهر النيجر، في جمهورية مالي حاليا.

المدخل الى الوثائق الست الثانية

تكشف الوثيقة الاولى من المجموعة الثانية من تلك الوثائق عن كيفية استشهاد محمد بن عبد الله (1) وهي رسالة كتبت بامر آغا لاباصيت بنواحي الاصنام (الشلف حاليا) لا تحمل تاريخا الا ان طابعا دائريا على رأسها مكتوب في وسطه "عبد ربه القبطان لاباصيت سنة 1267هـ" لتفصل له الطريقة البشعة التي مات بها محمد بن عبد الله. وقبل الوصول الى هذه النقطة بالذات فإن كاتب الرسالة يقدم تفاصيل ضافية عن تنقلات محمد بن عبد الله الذي كان "في نواحي الشرق

(1)- كان بعض زعماء المقاومة الجزائرية في القرن العشرين يطلقون على انفسهم اسم "محمد بن عبد الله" تيمنا وتبركا برسول الله صلى الله عليه وسلم، لذلك فاننا نستبعد ان يكون الشخص الذي تتحدث هذه الوثيقة عن مقتله هو محمد بن عبد الله الذي تؤكد بعض الوثائق انه مات في عام 1876م في طرابلس الغرب كما ان بعضها الاخر يؤكد انه توفي في عام 1795م في نواحي تونس. هذه الشكوك كلها هو ان الوثيقة التي بين ايدينا والتي تصف موته تحمل في اعلاها طابعا كتب فيه هذا التاريخ: 1267هـ الذي يوافق تقريبا عام 1851م فانظر الفارق الزمني الكبير بين التواريخ الثلاثة المذكورة. ولعل نشرنا اول مرة لهذه الوثيقة سيساهم في التعريف بالنهاية الحزينة والمفجعة لحياة محمد بن عبد الله سواء علينا اكان هذا الاخير هو صاحب وثيقتنا هذه او غيره من بعض هؤلاء الزعماء المجاهدين الذي يتبركون بإضفاء هذا الاسم عليهم اي (محمد بن عبد الله).

كعمالات مليانة وعمالات المدية وثنية الاحد وشرشال" ويبدو من ثنايا الرسالة ان السيد محمد بن عبد الله لم يكن وحده في تلك التنقلات اذ كان يصحبه فيها شخص ثان اسمه "ابن الخثر من اولاد حلوف" وعندما علمت السلطات المحلية بامر محمد بن عبد الله وصاحبه فانها خرجت للبحث عنهما في تلك المناطق فاما ما كان من الشخص الثاني فانه "توجه الى بلاده" واما «محمد بن عبد الله اتا (كذا) من ناحية شرشال وفات الى بني اورا غ الذين آووه ورجع عند اولاد القصي الغرابة" وعند هؤلاء الاخيرين القي القبض على محمد بن عبد الله "وقبضناه يوم الثلاثاة (كذا)" ففتشوه وجردوه من كل ما كان معه فوجدوا عنده طابعا "ووجدنا عنده طابع (كذا)" اكبر من الدور (كذا) بمدفع (كذا) ومكتوب فيه محمد بن عبد الله" وبعد القاء اسئلة عليه فانهم قتلوه وحزوا رأسه فارسلوه الى مدينة مليانة واما جثته فقد بعثوا بها الى مدينة ثنية الاحد "وبعد قبضه سألناه وقتلناه وبعثنا بها (هكذا في الاصل ويبدو انها جثته) الى ثنية الاحد ورأسه الى مليانة. ولم تقتصر الجريمة على قتل محمد بن عبد الله والتمثيل الشنيع بجثته بل تعدى الامر ذلك الى اولاد القصى الغرابة فقتل ثلاثة رجال منهم "وقتلنا ثلاثة رجال من اولاد القصى الغرابة الذين قبض عندهم يقالوا (كذا) لهم القرانين". والاحظ اخيرا ان هذه الرسالة كتبت بلغة ركيكة ولكثرة الاخطاء التي وردت فيها فاني لم احاول ان أصلح شيئا من ذلك.

واما الوثيقة الثانية فكتبها الحاج حسن بن حمدان بن عثمان خوجة (1) الى الحاكم العام العسكري في مدينة الجزائر وذلك في عام 1852م، يشكو له فيها حالته الاجتماعية ومآل اليه وضعه بعد احتلال فرنسا لمدينة الجزائر حيث كان ابوه من التجار الكبار والاثرياء المترفين في هذه المدينة "بحيث كانت بين يديه (اي ابوه) نحو مليون دورو وكانت له املاك ستة" وعندما استولت فرنسا على مدينة الجزائر فقد وقع نهب امواله وبذلك تغيرت حالته وساء امره واصبح يعمل مترجما في محكة مدينة البليدة وقد مضى عليه في هذا العمل ست سنوات وهو يعول عائلة كبيرة يزيد عددها على العشرة افراد ويسكن في منزل بايجار بزقاق يسمى (رولويان) بالبليدة ويطلب من الحاكم العسكري العام في هذه الرسالة ان يأمر بالنزول له عن ذلك المنزل والملاحظ ان السكنى التي يدور عليها موضوع هذه الرسالة تعد من الاملاك العقارية الموقوفة على المساجد كما تثبت الرسالة ذلك».

(1)- هذه الرسالة كتبها الحاج حسن بن حمدان بن عثمان خوجة بيده وبخط مشرقي يؤكد فيها انه كان يعمل مترجما في محكمة البليدة عام 1852م يطلب فيها من الحاكم العسكري على مدينة الجزائر ان ينعم. عليه بالدار التي يسكن فيها حيث يعمل في المدينة المذكورة. وبذلك ينتفي ما يقوله الدكتور ابو القاسم سعد الله: "- ولم يكتف الاستعمار الفرنسي بذلك بل نفى ابنيه (حمدان بن عثمان) الحسن وعلي من الجزائر ايضا". انظر كتابه "ابحاث وآراء في تاريخ الجزائر" ص 73.

والوثيقة الثالثة هي هذه التي تقدم الينا وصفا دقيقا عن نهاية بوبغلة الذي يعد رمزا للمقاومة الشعبية فقد اعلن هذا الاخير الثورة على الاستعمار الفرنسي في منطقة القبائل عام 1851م وعرفت حياته نهاية حزينة في شهر ديسمبر من عام 1854 (1) في بني مليكش بالمنطقة المذكورة وكان هذا الرجل معلما للقرآن. واسمه الحقيقي هو محمد الامجد بن عبد المالك الذي تعرض لمؤامرة دنيئة اودت بحياته. والوثيقة التي بين ايدينا تكشف عن طبيعة تلك المؤامرة والعناصر التي شاركت فيها والمكان والزمان اللذين تم فيهما تنفيذ هذه العملية التي استاء لها حتى مدبروها ومنفذوها انفسهم. وهي -اي الوثيقة- يمكن تصنيفها في اطار التقارير الادارية الرسمية التي يرسلها الموظفون الرسميون الى بعض الجهات العليا المسؤولة عليهم (وهو انه بلغنا على انه تسوق في قتله قايد بني عباس مع بعض بني مليكش كالحاج علي نيث اوذيع من قرية تغلاط). وخيوط تلك المؤامرة نسجها القائد نسجا محكما فهو قد اوعز الى بعض من بني مليكش ان يستضيف بوبغلة الى داره وان يحضر كل شيء لتنفيذ العملية عندما يأنسون منه ذلك: "وكيفية قتله انهم جعلوا له الضيفة (2) في دار احدهم واتوا به الى تلك الدار وشغلوه بالكلام على مراده حتى

(1)- الموافق لـ 17 ربيع الثاني 1271هـ. على اننا لم نصحح النص الاصلي للوثيقة بسبب كثرة اخطائه.

(2) يعني الضيافة.

وجدة (كذا) الضيفة وقدموا له (كذا) الطعام" ويستمر هذا التقرير في تفصيل قتل بوبغلة فيقول: "فلما شرع في الاكل وقفوا (كذا) معه ثمانية رجال، ثلاثة عن يمينه، وثلاثة عن شماله، واثنين خلفه، فلما رأوا فيه فرصة، اخذوا حبلا من القرنب وبادروا اليه وجعلوه في عنقه، وجذبوه من كل جهة ثلاثة بالقوة وخنقوه ووقعوا فيه بضرب القزازيل(1) حتى مات".

هذه هي الصورة الفظيعة التي مات عليها بوبغلة والتي لم تطمئن لها حتى نفوس الذين قتلوه. ومن طوايا هذه الرسالة تتبين لنا المشاركة الفعلية لقائد بني عباس في قتل بوبغلة ذلك انه تفاهم مع منفذي العملية كما توصي بذلك الرسالة بان عليهم ان ينقلوا جثة الضحية الى وادي بني عباس حيث يكون القائد في انتظارهم مع جماعة غيره وهو ما تم فعلا "وبعد ذلك رفعوه على جواده الى محل وعدهم مع القايد المذكور بواد بني عباس ووضعوه ميتا بين ايدي (الاصل يديْ) القايد ومن معه الى وقت طلوع الشمس" كما ان العملية قد تمت في الليل. ولكي يعرب القائد ومن معه عن فرحتهم بنجاح هذه الخطة فانهم حزوا رأس بوبغلة وركب كل واحد منهم جواده واخذوا يقومون بحركات تشبه حركات المتقاتلين ويأتون باعمال بهلوانية توحي الى الناظر من بعيد ان القوم يتقاتلون كل ذلك ليوهموا

(1)- يعني العصيّ جمع عصا.

الناس انهم اسروا بوبغلة في القتـال والقوا القبض عليه وقتلوه "وقطعوا رأسه وركب القايد مع قومه وصاروا يلعبون مع بعضهم كما يفعلون في القتـال لاجل ان الناظر اليهم يتحقق انهم مسكوه في القتال خوفا من المعرة على بني مليكش وان لا يشمت احد فيهم" ولم يكتف القائد بهذه الاعمال البهلوانية بل انه اصدر امره الى كل الذين علموا بهذه المأساة ان يكتموا حقيقة امرها. "وأمر القايد المذكور على ان يشهروا قتله في القتال ولا يتكلم احد بخنقه غدرا".

وفي الاخير فان كاتب الرسالة يقسم بأغلظ الايمان إنه لم يعرف الفرحة في حياته كما عرفها عندما علم بموت بوبغلة "فلا رحمة الله عليه والله ما فرحنا في عمرنا ولو يوما اعظم من اليوم الذي ورد علينا هذا الخبر".

ويبدو من حاشية الرسالة ان صاحبها يتتبع الاخبار السياسية الدولية فهو يطلب من العقيد دنبوا ان يكتب اليه رسالة يشرح له فيها بعض تلك القضايا السياسية الدولية: "ان تردلي الجواب مع الحامل بخبر ماقع بين سلطان استانبول ومع اهل دولة افرانصة والانقليز مع العدو موسكوا".

وهذه الوثيقة الرابعة كتبت بامر الكونت راندون (1) سلطان مملكة

(1)- كان حاكما عاما على الجزائر في ديسمبر 1851م وهو الذي غزا جبال جرجرة عام 1857م كما انه عمل على تسهيل عملية الاحتلال العسكري فانشا الطرقات لهذا الغرض.

الجزائر كما سمي نفسه بذلك وهي مؤرخة في اواخر محرم سنة 1271هـ (1). وهي موجهة الى السلطان حميدة بن احمد في تنبوكتو بهدف اقامة مشروع للتجارة يبرم عقده بين البلدين كل من الكونت راندون وسلطان تنبوكتو. وقد حاول راندون ان يغري السلطان بتحبيب المشروع اليه لان فيه فائدة متبادلة بين الطرفين ولان الظروف الامنية العامة تساعد على ذلك: "الهنا ثلث الطريق من بني ميزاب الى الجزائر هو الثلث ارقد الذهب على راسك".

وكان الكونت راندون قد كلف الشريف الوزاني الحاج محمد بن احمد (2) بحمل رسالة في الموضوع الى السلطان ولكن هذا الاخير كان غائبا فاقتصر مبعوث الكونت على مقابلة السيد/ البكاي.

وتقترح الرسالة ان يكون التبادل التجاري بين الجزائر وتنبوكتو على الطريقة التي يتم بها بين تنبوكتو والتوارق. وتسهيلا لعملية البيع والشراء هذه فان الرسالة تتقدم باقتراح آخر يقضي بان هذه العملية التجارية التبادلية يمكنها ان تتم في مدينة الاغواط بسبب قرب هذه الاخيرة من مملكة تنبوكتو "واذا ظهر لك نعمل هذا البيع والشراء في بني الاغواط لاجل القرب اليكم يكون في ذلك الخير واذا ظهر لك نرسل (كذا) تجارنا الى تنبوكتو وانتم ترسلوا (كذا) تجاركم الى الجزاير

(1)- الموافق لـ1854م. على اننا لم نصحح الوثيقة لكثرة اخطائها.
(2)- لم نتعرف الى حقيقة هذا الشخص.

فيكون في ذلك الصواب".

ويبدو ان الكونت راندون متخوف من عدم لقاء مشروعه النجاح المنتظر لذلك تراه يقسم باغلظ الايمان انه لا يريد الا الخير والمتاجرة فالله اعطاه مملكة واسعة وولاه اقليم الجزائر لان نيته حسنة (كما يدعي ذلك) ولان نظام بلاده قائم على الحق ومؤسس على العدل. انه نظام اكرم المرابطين واحترم شعائر الدين وكل ماله صلة بالمسلمين فالمساجد وغيرها مما له علاقة بالحياة الروحية كل ذلك وقع احترامه والعمل بما يمليه الالتزام بالتعهدات (1).

وهذه هي الوثيقة الخامسة وهي مؤرخة في 24 محرم 1273هـ (2) رقد وجهها الشيخ / عثمان قائد التوارق الى الرائد مارغريت

---

(1)- لسنا ندري في اي تاريخ ومن هو هذا المسؤول الفرنسي الذي احترم المساجد والحياة الروحية في الجزائر. فقد وقع انتهاك حرمة معاهدة 5 جويلية 1830م في يومها الاول.

(2)- الموافق لـ1857م وهذه الرسالة لم نعثر على نصها العربي وقد نقلها الى الفرنسية في صفحتين وبخط جميل المترجم "بوضربة" بتاريخ 25 اكتوبر 1856. وقد وقع المترجم اسمه باللغة الفرنسية وهذا امر يدعو الى الحيرة فمن عساه يكون بوضربة هذا يا ترى؟ هل هو احمد بوضربة المعروف؟ ولكن هذا الاخير يبدو ان معرفته للغة الفرنسية ليست في هذا المستوى الرفيع من اجادة هذه اللغة بحيث انه يترجم بها هذه الترجمة المدهشة التي تدل على تجويده وتطويعه لتلك اللغة. فقد تحدث

MARGUERITE الحاكم العام في الاغواط يعلمه فيها عن اتصاله برسالتين منه حملهما اليه قاسي بن با إسماعيل الميزابي وكانت احدى هاتين الرسالتين مكتوبة باللغة العربية اما الاخرى فحررت باللهجة التارقية. وقد كان فهم معنى الرسالة العربية سهلا بينما لم يفهم معنى الرسالة الثانية اصلا ويدور موضوع الرسالة الاولى على

هونفسه عن هذه المسالة فقال: "...ابدأ بالاعتذار الى القارئ على اسلوبي الذي يكون منقما (الصواب منمقا) نتيجة اطلاعي البسيط على اللغة الفرنسية... وبما انه من الصعب علي ان اغامر في الكتابة حول (الصواب عن) مسألة سبقني الى معالجتها اشخاص عديدون (الصواب كثيرون) من ذوي المقدرة الواسعة...). انظر مذكرات احمد باي وحمدان خوجة وبوضربة. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1973 ص 171. واذا لم تنسب هذه الترجمة الى بوضربة احمد فان الامر عندئذ سيصبح مشكلة اكثر تعقيدا اذ لا يمكن ان يكون احد افراد هذه الاسرة قد تعلم الفرنسية في بداية الاحتلال واصبح يترجم بها بمثل هذه السهولة في عام 1856م. اللهم الا اذا كان هناك بين افراد تلك الاسرة من كان يعرف الفرنسية قبل الاحتلال واصبح يترجم منها واليها في ذلك التاريخ (1856). هذا مع ملاحظة ان حرف L اللاتيني قد سبق اسم بوضربة فهل يدل هذا الحرف على اسم عربي يبدأ بالألف كإسماعيل وابراهيم والياس مثلا؟

على ان نشرنا لهذه الوثيقة اول مرة حسب علمنا سينير السبيل امام المؤرخين والباحثين عن حقيقة هذا الشخص الذي سيظل امره مجهولا الى ان يتم العثور على معلومات تكشف الحقيقة اكثر عن نسبه وانتمائه السياسي.

رغبة الحاكم العسكري في الاغواط في ربط علاقات تجارية تعود بالخير على الجميع. وقد شاطر قائد التوارق حاكم الاغواط في افكاره وضمن له امن الطريق من مملكته كالطريق من ورقلة الى غدامس ومن غدامس الى PHORT وحتى بلاد توات.

ويتعهد اليه ان يكون العملاء التجاريون الذين يرغبون في زيارة مملكتـه آمنين في الطريق وانهم لن يتعرضوا لاي اذى في اثناء سفرهم ويعرب له عن فرحة رعاياه التجار عندما يتلقون سماع هذا الخبر وانه سيبادر بتشجيع البعض من هؤلاء الذين يريدون السفر الى منطقة الاغواط. وفي الاخير فان قائد التوارق يلح على حاكم الاغواط في وجوب ربط هذه العلاقات التي لا يتوانى في الاعراب له عن استعداد بلاده للتعويض الفوري عن كل الخسائر التي يتعرض لها رعايا الحاكم العسكري المذكور في اثناء رحلتهم من الاغواط الى بلاد التوارق.

وآخر هذه الوثائق هي هذه الرسالة المؤرخة في شهر سبتمبر من عام 1878 (1) وقد كتبها المسميان/ عمار بن عيسي ومحمد بن احداسي (2) بنواحي مدينة الكاف بالقطر التونسي الى اللواء قائد منطقة قسنطينة يذكّرانه فيها بحملة التفتيش التي كان قد قام بها في

(1) -الموافق تقريبا لعام 1295هـ.
(2) -يبدو انهما شخصان من عامة من كانوا يتعاملون مع الاستعمار الفرنسي في التراب التونسي على التحركات الجزائرية في الحدود الشرقية.

ناحية "جبل يوسف في الكاف الاحمر (1)". للبحث عن الاشخاص الهاربين من الجزائر الى التراب التونسي.

وقد تعرض الجبل المذكور لقصف المدافع بهدف قتل اولئك الاشخاص او القاء القبض عليهم ولكن هؤلاء لم يتعرضوا لاي اذى لانهم "اهل سحر فهم يروكم (كذا) وانتم لا تروهم (كذا)" وتؤكد هذه الرسالة ان الاشخاص المذكورين انما كانوا يعتصمون بالجبل لانهم كانوا يصنعون البارود والسلاح "وان هذا (كذا) الناس الذين يجتمعون في الجبل المذكور يصنعون البارود والسلاح وكلما يقوم بشؤون الحرب" وتفصل الرسالة حقيقة هؤلاء الاشخاص فتزعم انهم اربعة رجال "ثلاثة منهم من جهة (كذا) الغرب ومن النبي وسيدي خالد (2) والرابع منهم بلدي من قسنطينة".

ولهؤلاء الانفار الاربعة اتباع آخرون يساعدونهم فيما يقومون به من اعمال. والشخص الرابع الذي تنسبه الوثيقة الى مدينة قسنطينة كان سبايسيا (3) في الوحدة العسكرية التي كان يقودها النقيب جيرار "المعروف بقتل الصيود (كذا)". كما انه بعد انفصاله عن الوحدة العسكرية "صار يزعم انه درويش وسافر الى مدينة اسطانبول "ثم

(1)- يقع هذا الجبل في التراب التونسي المتاخم للحدود الجزائرية.
(2) -يقعان كلاهما في الشرق الجزائري.
(3)- السبايسي: كلمة تركية اصلها صبايحي وهي تعني فارسا تركيا.

ذهب الى بر اسطانبول" ولهذا الشخص اخ هو الان شيخ في ناحية عين رقادة (1) "وواحد منهم شيخ الآن في حكم عين رقادة في عامر الشراقة" يقوم باداء الزيارات اليه. اما الجزء الثاني من الرسالة فيتحدث عن كل من المرأة الفرنسية وحارس الغابة وما آل اليه مصير هذين الشخصين اللذين القي عليهما القبض اولئك الاشخاص الذين يعتصمون بجبل يوسف ولم يظهرا بعد ذلك.

"لكن بالامارة حين راحت المرأة الفرنساوية من كدية عاتي من نادر الحطب والرجل الفرنساوي القرنشنبيط (2) الذي راح من جبل الشطابة قراهم (كذا) اداوه (يعني اخذوه) هذا الناس (كذا) الذي (كذا) في جبل يوسف".

واذا كان الشخصان الفرنسيان قد تعرضا فعلا لعملية الاختطاف هذه فان كاتبي الرسالة ينصحان لحاكم منطقة قسنطينة بان المعلومات الدقيقة عن ذلك كله يمكنه ان يستقيها من المسمى بلقاسم بن بوذراع بوقزوله من عرش عبد النور فرقة غمريان لان هذا الشخص مشارك في العملية ويتوافر على معلومات صحيحة بشأنها ونقلت الى اللغة الفرنسية، في 5 مارس 1879 عن قلم "ايريكو" المترجم المعروف في الجيش الفرنسي وهي تقع في صفحتين احداهما مترجمة الى الفرنسية .

(1)-تقع في القطر التونسي.

(2)-القرنشنبيط: يعني حارس الغابة وهي محرفة من اللفظة الفرنسية

النص الحرفي لمجموعة
الوثائق الاولى والثانية

الوثيقة 1: رسالة من الحاج باي الى الداي حسين، اواخر رجب 1243 هـ (1827م).

الورقة الاولى

ع الحمد لله حق حمده   صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

الى مقام المعظم الارفع الاسعد الانفع الافضل الاكمل الافخم الاضخم الاكرم الاوحد الارشد المحفوظ برعاية القادر على ما يشاء مولانا الدولاتلي سيدنا حسين باشا آدام الله خيره ونصره واسعده وبلغه في الدارين مرامه ومراده، آمين، آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه الشامل وتحياته ولا مزيد بعد حمد الله جل جلاله وعم فضله ونواله الا الخير والعافية ونعم الله الوافية التي نطلب من المولى الكريم رب العرش العظيم دوامها وبقاءها على سيادتكم العلية بجاه خير الخلق والبرية عليه افضل الصلاة واجمل التحية، وبعد اعزك الله تعالى واطال بقاءك واتم نعمته عليك واحسانه اليك فالذي يتصل بشريف علمكم هو خير ان شاء الله امين انا وجهت لحضرتكم (كذا) العلية المصونة المرضية قافلة التمر والزيتون على حسب العادة والطريقة المباركة المعتادة منها ما هو لحضرتكم يبلغ اليكم بالهناء والعافية مع فرسين اثنتين (كذا) من عتاق الخيل احداهما (كذا)

حمرا اللون والاخرى (كذا) زرقا اللون وبرنوسين اثنين عمل الجريد وبرنوسين اثنين سوستي احدهما مجعب بالحرير وقندورة (يعني جبة جيدة جريدي (اي من صنع الجريد بتونس) مجعبة ووجهنا من ذلك عوائد أرباب دولتك السعيدة بالتمام جعل الله تعالى ورود ذلك عليكم ورود خير وعافية ونعرف سيادتكم العلية اننا بالمحلة المنصورة ننظر الموضع الذي يصلح بنا وفيه جلب نفع وتسديد امر واصلاح فاننا نقصده ونتوجه اليه ودعاك (كذا) الصالح معنا فانا لا نخيب بحول الله وقوته واعانته واما البلاد والوطن في عافية والحمد لله وقد عمرت الارض عمارة تامة بالحراثة ومن جملتها وطن الحنانشة حرثه اهله وان هذه الاعوام الفارطة لم يجر فيها خط من الحرث ولله مزيد الشكر ونسئله (كذا) سبحانه ان يعمر بعنايتك البلاد ويهني ببركتك وسعدك الوطن والعباد هذا سيدنا ما وجب به اعلامكم والله يبقى لنا وجودك ويمدك بالنصر ويغلبك على من عاندو جحد وكفرو ان يسيل عليكم سيرة الجميل ويكون لك وليا ونصيرا وكفيل (كذا) بحرمة سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. امين والسلام الفقير لربه سبحانه عبدكم وخادمكم ومقبل قدمكم الحاج (فراغ في الاصل) باي وفقه الله يمنه. اواخر رجب ١٢٤٣.

الحاق خير ومما يجب اعلام سيادتكم به عافاكم الله واحاطكم بحفظه وسلمكم ان خليفتنا منذ رجع من حضرتكم العلية من الدنوش مرض اعاذك الله وسلمك وعافاك بالمرض المعروف بالفرانس وبرز في اكثر بدنه ووجهه وبرءه (كذا) طويل وبقي الوضيف (كذا) معطلا

وصرنا بلا خليفة فوجب علينا اعلامك ومناظرتك ومشورتك فان ظهر لك من تعينه لنا فالامر لسيادتكم وان امرتنا باختيار من يصلح بنا فان الناس كثير... لاكن (كذا) سيدي من يوافق ويسعى في خدمة الاوجاق السعيد والنصيحة والموافقة بذلك قليل وانت سيدنا ومالك رقابنا ان من تجده لا يراعي الا صلاح نفسه ولا يؤمل في مصالحنا ومصالح الاوجاق السعيد في حذر علينا وانت تعرف ذلك وتحققه احسن منا والنظر والرأي اليك وانا ابنك وعبدك وخادمك الامر الذي ترضاه له فهو الذي نسر به ونرضاه والله يمد لنا في حياتك ويجعلنا فداك ويمدك بالعافية والنصر والهنا والسلامة، آمين، آمين.

■■■■

الوثيقة 2: من قائد بني موسى الى الداي حسين، في عام 1243 هـ.

ع الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

حفظ الله تعالى يمنه واكرامه وعم بجميل جوده واحسانه وايد ونصر بمواهب ألطافه وانعامه سيادة مولانا المعظم الاجل الوجيه الاقبل الزكي الاشمل الخير الاكمل المرعى المبجل الامام الهمام حام (الاصل حامي) ملة الاسلام سيدنا ومولانا الدولاتلي السيد حسين باشا قد اعطاه الله من الخيرات والمسرات (كلمة غير مقروءة) ويشمل أمين السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وتحياته ورضوانه ما

تليت آيات الله وكلماته ولا مزيد عن حمد الله تعالى له الا الخير والعافية ونعم الله العافية المتوالية التي اطلب (كلمة غير مقروءة) من الله العظيم رب العرش الكريم دوامها وبقاؤها (كذا) على الجميع بجمال النبي الشفيع عليه افضل الصلاة وازكى التسليم آمين.

اما بعد سيدنا ومولانا لقد وصلنا وبلغنا مكتوبكم الاعظم وخطابكم الافخم الموجه لنا من حضرتكم المنصورة بالله تعالى واعلمتنا فيه اعلام خير وعافية وان محلتكم المنصورة بالله تعالى الموجهة الى الناحية التيطراوية قد خيمت (كلمة غير مقروءة) بعين الربط صبيحة يوم الخميس وفق التاسع والعشرين يوما من شهر التاريخ فالمراد منا والمؤكد به علينا من جانبكم الاعظم نتلقوها (كذا) بالمونة (يعني المؤونة) الواجبة (كلمة غير مقروءة) على اهل وطننا بني موسى وهي ستة عشر كبشا ١٦ واربعة وعشرون طاسا سمنا ٢٤٠٠ وثلثيتان سعرا ٢٠٠٠ (ربما يقصد شعيرا) حسب ما جرت بذالك (كذا) العادة والطريقة الواضحة (كلمة غير مقروءة) ونبادروا (كذا) لها بجميع ذالك (كذا) ولا نقصروا (كذا) فيما هناك الخ ماذكرتم وسطرتم (1).

وكتب عن اذن المعظم المحترم السيد محمد صالح قايد بني موسى ايده الله بمنه وجوده آمين بتاريخ اواخر شهر الله (كلمة غير مقروءة) الحرام سنة 1243 هـ.

(1)- لقد حذفنا آخر الرسالة وهو خمسة اسطر لانها لا تكاد تقرأ بسبب تداخل حروفها ولانها لا تتحدث عن امر هام.

الوثيقة 3: من الحاج باي الى الداي حسين، 29 صفر الخير 1244 هـ.

الورقة الثالثة

ع الحمد لله حق حمده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

حضرة المعظم الارفع الاسعد الملاذ الانفع الامجد الافضل الاكمل الارشد ولي نعمتنا سيدنا حسين باشا الدولاتلني اعزه الله وايده وحفظه ونصره السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ورضوانه وتحياته ولا مزيد بعد حمدا لله جل ثناؤه الا الخير والعافية التي نطلب من الله جل وعلا دوامها واستمرارها على سيادتكم العلية بكرة وعشية بجاه اشرف البرية سيدنا ومولانا محمد عليه افضل الصلاة وازكى التحية وبعد سيدنا ايدك الله تعالى فقد بلغنا كتابك العظيم وخطابك الاكرم الجسيم وجدنا على سلامة ذاتكم وعافيتكم اللتين هما غاية قصدنا ونهاية مرادنا وبلغ الينا خديمكم المكرم الحاج عمار بظهيركم من الكسوة الفاخرة والعطية المشكورة الرفيعة وقدم اعزك الله لاهجا بجميل ذكرك وشكرك ملتزما باتم خدمة ونحن اعطيناه مركوبا حسنا بسرجه وعدته وامرنا بقضاء حوائجه ومضى لقسنطينة يقيم بها نحو اليومين يقضي بعض اشغاله وينصرف لتونس ان شاء الله هذا سيدنا اسعدكم وابقاكم الله وابقى لنا وجودكم ان اولاد سلام الجبايلية كانوا من حين قدم يحي اغا لاولاد سلطان نافقوا معهم وصاروا نجدة اليهم

(كلمة غير مقروءة) بعضهم وامتنعوا من اعطاء ما عليهم منذ اعوام
ويغيرون على الاعراش الموالية اليهم وشكوا منهم كثيرا من عام اول
الى وقتنا ولما رجعنا من نحية (كذا) زمورة وفرغنا من قضية اولاد
بورنان توكلنا على الله وغزوناهم واصبحنا عليهم يوم الاحد السابع
وعشرين من شهر تأريخه فوجدناهم بموضع وعر باعلى جبلهم يقال له
الرحبات وما صعدنا لهم الا بالجهد ومعونة الله ونصرا لسنجاقك
فوقع بيننا وبينهم حرب ثم هزمهم الله تعالى فاخذناهم اخذا ذريعا
وقطعنا منهم ستة وعشرين رأسا ووجهناها لقسنطينة وانجرح منهم
ازيد من ثلاثين نفسا ومات منهم خمسة لم تقطع رؤوسهم واخذنا لهم
من الغنم ستة آلاف شاة (6000) ومن البقر مائتين وخمسين (250)
رأسا ومن الخيل ومن البغال سبعين (70) زايلة ومات لنا فارس من
ريغة وجرح مملوك لنا وهو تعينت سلامته ومات لنا ثلاثة افراس خيل
لا غير ورجعنا بعسكرنا وقومنا سالمين غانمين ولله الحمد وله مزيد
الشكر لكن سيدي فرحقك وحياة رأسك ان مثل هؤلاء حين اخذنا
القبائل الذين مع اولاد بورنان ثم بهذه الغازية على اولاد سلام انفتح
في وطنك باب عظيم من ابواب العافية وفرحت جميع الاعراش التي
في الوطا (1) يأخذهم لانهم آنوهم كثيرا بالخديعة في سعيهم. الحاق
خير ونحن سيدنا لما جاء الحاج عمار الوكيل بظهيرك السعيد مع

(1)- الوطا: يعني الاراضي السهلة الواطئة

مكتوبك المجيد لباي تونس اقتفينا في ذلك العادة المعلومة وكتبنا له ظهيرا واعلاما بوكالتنا من عندنا لباي تونس اعلمناه بما هنالك على حسب مقتضيات الاحوال ليتقرر في علمه المراد والله يجعل ذلك خيرا ونعمة وعافية وسلامة لجنابك السعيد بمنه وكرمه آمين وقد اخبرنا الوكيل المعزول ان باي تونس بعث جوانب (1) وامر قائد الكاف ان يخلص ما ضاع للحماره وبلغنا هذا الخبر من عند الحنانشة ونحن ننتظر فان وفاهم بما ضاع لهم فذلك المراد وان لم يسلكهم فحينئذ نكاتبه واما الان فقد ظهر لنا تأخير مكاتبته احسن والسلام.

تتمة خير ونعلمك سيدي ان الحاج علي التارزي الطرابلسي قدم الى عنابة وبعث لنا مكتوبا يستبشرنا فيه عن القدوم الينا فجاوبناه بان يخبرنا على حاجته التي جاء بها هل مقصده القدوم لحضرتكم ام لقسنطينة فقط فرد لنا الجواب انه جاء لسيادتكم والاخر لنا من عند باشا طرابلس ولما فتحت كتابنا وجدت فيه جريدة مضمنها هدية الينا طالبا شراء الخيل والعتاق ولما فهمت مراده كتبت له يبقى في عنابة حتى يأتيه جوابنا واني وجهت لك المكتوبين والجريدة تطلع عليهم ثم بعد ذلك سيدي الذي تامرني به نفعله فاني لا نقبل منه هدية ولا نأذن له في شراء خيل الا بعد امرك السعيد ان شاء الله تعالى وانما هذا سيدي بحرمتك علينا والله يبقى لنا وجودك آمين.

(1)- هذه الكلمة لم نستطع ان نفهمها رغم تاويلنا لها على كل الوجوه.

هذا سيدنا ومما نعلم سيادتكم خيرا ان شاء الله تعالى ان قائد الدار اخبرنا انه قدم اليهم لقسنطينة رجلان احدهما اسمه محمد بن سليمان بن فرحات من اولاد حسن وهم من اولاد الترك كان قائدا على دريد من رعية باي تونس والثاني رجل شايب كبير كان شيخ الفراشيش وعزلهم باي تونس وولى غيرهم ممن لا طريق له ولا لاسلافه وابعدهما واذلهما وزعما ان تابعهم من دريد والفراشيش استأنفوا من ذلك وبعثوهما يأخذان لهم الاذن منا ويأتون لبلادنا ونحن سيدي ان الزغالمة الذين كنا اخبرناك عليهم وامرناهم بالدخول لبلادنا والبعد عن وطن القبلة ووعدوا بذلك ومازالوا الى الآن بقرب تبسة وقد امرنا قائد الدار يبقيهما (1) عنده في قسنطينة حتى يأتينا جوابكم السعيد هل نوسع لهم في الجواب ونوافقهم للدخول لبلادنا ام نتغافل عنهم ونردهم بلطف وان هؤلاء الشراقة لم يظهر لنا منهما صدق لاكن (كذا) لا بد نعرفك بكل من يأتي منهم ونظرك اصلح والسلام هذا سيدنا وان هؤلاء اولاد حسن مثل اولاد يلس عندنا فان اردت ان نجعل معرفة ونرد جوابهم بوجه طيب نجدهم مرة احرى فتكون المعرفة معهم سابقة فالنظر لك اعزك الله.

(1)- الى هنا رجع الى الحديث عن الشخصين الهاربين من تونس الى ارض الجزائر.

الوثيقة 4: تحريم بيع وشراء النصارى، بلا تاريخ

الورقة الثانية

• الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

حفظ الله تعالى بمنه مقام محبنا الاسنى والذخيرة الغابرة الحسنى اخينا في الله السيد فلان خوجة صانكم الله بصونه وامدكم بعونه السلام عليكم ورحمة الله تعلى (كذا) وبركاته لا زايد بحمد الله الا الخير والعافية وحبكم والسؤال وبعد لا يخفاكم ايها المحب انه قد ورد علينا مسطوركم الاسنى فقرأناه وفهمنا منه المصرح والمعنى وذلك ما الفيتم الينا على شان الرومي وبعثتم الينا خمسة وعشرين سلطانية مع السيد محمد بن كذا بلغنا ذلك على التمام والرومي لا نجده في هذه الساعة وكثيرا ما بحثنا وترجينا، لم يظهر لنا احد وهذه الساعة امتنع في بلادنا شراء النصارى لان الباي بعث كتابه الى حكام البلاد واكد عليهم بان لا يشتري احد روميا والذي يشتريه ياخذه بايلك من سبب اولاء النصارى الذين يسروا العرب ونحن فترانا نحتال على ارواحنا فان ظهرلنا رومي ولم يكن فيه شبهات نأخذوه ان شا (كذا) الله ولا نقتصروا (كذا) في مسائلكم لان هذه الساعة النصارى مفقودين وساعة اخرى نأخذ لك روميا كما تحب وترضى وهذا ما عندنا اخبرناكم به والسلام وسلم لنا على والدك السيد فلان وعلى فلان صهركم وعلى اهل الحانوت بحيث الجملة الف الف سلام والسلام عائد عليكم والرحمة عن اذن محبكم ومفضل مقاكم السيد

فلان ابن فلان وفقه الله بمنه وكرمه آمين. ان شاء الله تعلى بيد السيد فلان خوجة بن السيد فلان بيلك الجزائر. امنها الله بمنه وكرمه آمين.

▪▪▪▪

الوثيقة 5: من آغا الاصنام (الشلف حاليا) الى الحاج مروان بتاريخ 1267 هـ (1851 م)

• الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

محبنا واعز ما لدينا المحترم الارشد قايد القياد المكرم الحاج مروان عليكم الف سلام يعم الاهل والولدان وبعد فالذي نخبركم ونبشركم بان الخلاط الذي كان يدعي انه محمد بن عبد الله ويسعى الفساد وهلك العباد ولا يخفاك كان في نواحي الشرق كعملات مليانة وعملات المدية وثنية الحد وشرشال ولما ان عم جرهم (1) في بلاد الشرق في النواحي المذكورين وهم اثنين يزعمون التخلاط واحد يقال له ابن الخثر من اولاد حلوف والاخر هو المذكور هنا ولما خرجوا حكام العملات لتفتيشهم عليهم فالذي كان من اولاد حلوف توجه الى بلاده والاخر الذي يزعم محمد بن عبد الله اتامن ناحية شرشال وفات الى

(1)- قلبنا هذه الكلمة على اكثر من وجه فلم نفهمها ولعله يريد ان يقول: ولما ان عم شرهم.

بني اوراغ ورجع عند اولاد القصى الغرابة وجعلنا عليه رقاس (1) وقبضناه يوم الثلاثة ووجدنا عنده طابع اكبر من الدور بمدفع (2) ومكتوب فيه محمد بن عبد الله وبعد قبضه سالناه وقتلناه وبعثنا بها الى ثنية الاحد ورأسه الى مليانة، وقتلنا ثلاثة رجال من اولاد القصى الغرابة الذي قبض عندهم يقالوا لهم القرانين واخذنا متاعهم وبما وقع بالخلاط الذي يسعى الفساد اخبرناك لتأخذ حضك من الفرح والسرور والسلام وكتب بأمر الارفع السيد اغه لاباصيت اغه بالاصنام امنه الله آمين.

■■■■

الوثيقة 6: طلب من الحاج حسن بن حمدان بن عثمان خوجة الى الحاكم العسكري على مدينة الجزائر، 1852م.

● الحمد لله وحد   حضرة سلطاننا المعظم ووالي (اي ولي) نعمتنا المفخم دام علاه وابقى لنا وجوده، المعروض على مسامعكم الكريمة بعد التعظيم التام وتقبيل مواطن الاقدام ان عبدكم الداعي لكم بالغدوى (كذا) والابكار من اعيان اهل الجزاير وكان ابي من اكابر

(1)- وهذه الكلمة ايضا مما لم نفهم لها معنى ولعله يريد هذه اللفظة وهي عساس.

(2)- هذه العملة أصلها من المكسيك كانت متداولة في الجزائر في العهد العثماني.

التجار (1) بحيث كانت بين يديه نحو مليون دورو وكانت له املاك ستة 6 (2) وحين استولت الدولة الفرانصوية على الجزاير انتهب مالنا وتغيرت احوالنا وصرت الاءان (كذا) ترجمان (كذا) بتريبوتال (محكمة) البليدة ولي في الخدمة المذكورة ستت (كذا) سنين ولي اولاد وعيلة (عائلة) كبيرة تنيف على عشرة انفس وساكن بدار من ديار المحبسين (يعني المحبسة) على القرب والمساجد بزقاق اسمها (كذا) روليان بالبليدة ندفع كراؤها (كذا) في كل شهر (كلمة غير مقروءة) الملتمس من مكارم احسانكم ان تنعموا على باعطائها لي فنضرة (كذا) منكم تحينا (كذا) وقطرة من بحر كرمكم تغنينا فالدل (كذا) بعد العز مصيبه عضما (كذا) ارحمو (كذا) من فالارض (كذا) يرحمكم من في السما (كذا)، ارحموا عزيز قوم ذل والسلام من مقبل تراب الاقدام المنتضر (كذا) انعامكم.

عبدكم الحقير الفقير الحاج

حسن بن حمدان بن عثمان خوجة

(1)- سقط حرف الراء في النص

(2)- ان كلمة ستة واضحة في النص بحروفها ولكنه كتب فوقها رقم 7 فهل يعني ذلك انه سهو من الكاتب؟

الوثيقة 7: من باش آغا زواوه الى العقيد دنبوا، 17 ربيع الثاني 1271 هـ (ديسمبر 1854م)

حضرة الفارس الشهير: ذي الكرم والشجاعة والتدبير، سيدنا، ومن على الله وعليه اعتمادنا سعادة السيد الكرونيل دنبوا سلام الله عليك وعلى جميع من تعلق بحرمتك السعيد، وكيف انتم والسؤال الكثير منا عن جملة احوالكم فان كنتم بخير من الله وعافية فنحن كذلك والحمد لله، وان تفضلت باعز سؤالك عن العافية في اوطاننا، فهي عامة منتشرة في هذه الناحية ولا ترى فيها متعد ولا مفسد، ولا خارج الطريق والحمد لله على حرمتكم السعيدة، وبعد سيد اخبرك بما ثبت عندنا من خبر موت بوبغلة، وذلك انه بلغنا على انه تسوف في قتله قائد من بني عباس مع بعض بني امليكش والحاج علي نيث أوذيع من قرية تاقلاط وبعض من معه في المشورة وكيفية قتله انهم جعلوا له الضيفة في دار احدهم واتوا به الى تلك الدار، وشغلوه بالكلام على مراده حتى وجدت الضيفة وقد مواله الطعام فلما شرع في الاكل وقف معه ثمانية رجال ثلاثة عن يمينة، وثلاثة عن شماله واثنين خلفه فلما روا فيه فرصة اخذوا حبلا من القرنب وبادروا اليه وجعلوه في عنقه وجذبوه من كل جهة ثلاثة بالقوة ووقعوا فيه بضرب القزازيل حتى مات غضب الله عليه وبعد ذلك رفعوه على جواده الى محل وعدهم مع القائد المذكور بواد بني عباس ووضعوه ميتا بين ايدي القايد ومن معه الى وقت طلوع الشمس وقطعوا رأسه وركب القايد مع قومه وصاروا يلعبون مع بعضهم كما يفعلون في القتال لاجل ان الناظر اليهم

يتحقق انهم مسكوه في القتال خوفا من المعرة على بني امليكش وان لا يشمت احد فيهم وامر القائد المذكور على ان يشهروا قتله في القتال ولا يتكلم احد بخنقه غدرا وفعلوا ذلك بارك الله فيهم حيث اراحوا الخلائق من كيده وفساده وتهندسه فلارحمة الله عليه. والله ما فرحنا في عمرنا ولو يوما اعظم من اليوم الذي ورد علينا هذا الخبر والحمد لله، والسلام. بامر المعظم محبكم وخديم الدولة سيد الجودي باش اغة حكم زواوه ايده الله آمين، في ليلة السبت السابع عشر من ربيع الثاني عام 1271م. وثم المطلوب من فضلك ان ترد لي الجواب مع الحامل بخبر ما وقع بين سلطان استانبول ومع اهل دولة افرانصة والانقليز مع العدو، موسكوا فها اني ننتظر جوابك وعليكم السلام.

■■■■

الوثيقة 8: من الكونت راندون الى سلطان تنبكتو 1271 هـ (1855م).

● الحمد لله وحده ولا يدوم الا ملكه

حفظ الله بمنه وعم بجميل ستره العالي بالله السلطان المعظم حميده بن السيد احمد لب دام الله عزك آمين بعد مزيد السلام عليك والرحمة والبركة اما بعد كيف انت وكيف احوالك المرضية في هذه الساعة المباركة التي قل شرها وكثر خيرها يدومها علينا وعليكم فالمراد الذي نعلمك به خير ان شاء الله على سبب بعثنا لك جوابا مع

الشريف الوزاني الحاج محمد بن احمد ووجدك غائبا عند اخوك في جنى مع ثلاثة ناس نصارى انقليز واجتمع مع السيد البكاي وانما رسولنا اليك لاجل نحب يكون الخير بيننا في البيع والشراء وتكون الشروط في فوائد الجميع ومناسبتهم اننا نريد سلعتكم تأتي الينا وسلعتنا تأتي اليكم وتريحوا انتم ونحن والعادة التي بينكم وبين التوارق في الاخذ والعطى نقبلها كذلك مثل الشيخ محمد والد القاوي والشيخ النيغ وكافة ما يصلح بك لاجل انت تعرف عندنا الهنا ثلث الطريق من بني مزاب الى الجزائر هو الثلث ارفد الذهب على راسك لا يضرك احد واسئل على ذلك ولكن نحب ان تبعث لنا ناس من جانبك نتكلم معهم ويكون الامر على الاصح ويكونوا خطوط اليذ بيننا على جميع ما يكون فيه صلاحنا وصلاحكم وجميع من تستحقوه ويذكره اللسان من عندنا يأتي اليكم واذا ظهر لك نعمل البيع والشراء في بني الاغواط لاجل القرب اليكم يكون في ذلك الخير واذا ظهر لك نرسل تجارنا الى تنبوكتو وانتم ترسلوا تجارتكم الى الجزائر فيكون في ذلك الصواب فلما تبعث لنا ناس من طرفكم لنعقدوا معهم العقد الصحيح على امر التجارة تمكنوا بيدهم جواب بطابعكم فوالله ثم والله ما نبغوا الا الخير والعافية والبيع والشراء ان مملكتنا واسعة وكفانا الله عن كل طمع وما ملكنا الله اقليم الجزائر الا لاجل صفاية نيتنا ووقوفنا على الحق تركنا كل واحد في دينه اكرمنا المرابطين وعزيناهم وكل حاجة باقية على حالها كالجوامع والمساجد جميع ما يناسب امور المسلمين فلا تشوف منا ان شاء الله الا ما يرضيك ويسرك وعليك السلام التام

كتب بأمر السيد الكولونيل دي نوف خليفه (1) سعادة المعظم الكنت راندون سلطان مملكة الجزائر اواخر محرم سنة 1271.

■■■■

الوثيقة 9: رسالة من قائد التوارق الى الحاكم العسكري في الاغواط، 24 محرم 1273 (1856م).

ترجمة رسالة من الحاج محمد خنوخن (قائد التوارق) الى السيد القائد الاعلى في الاغواط.

ع الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد

الى سيادة الفاضل المحترم: الرائد مارغريت MARGUERITE القائد الاعلى لقطاع الاغواط، اليكم مني الف سلام ورحمة الله تعالى وبركاته.

لقد اتصلت برسالتكم العزيزة التي حملها الي قاسي بن با اسماعيل الميزابي الذي افادني علما عن حسن حالكم وسلم اليّ رسالتين من قبلكم احداهما مكتوبة باللغة العربية والاخرى باللهجة

(1)- هكذا وقع التشطيب على هذه الجملة في النص الاصلي.

التارقية. اما الاولى فقد فهمنا معناها جيدا! لكننا لم نتوصل الى فهم المعنى من التي كتبت بالتارقية. وقد حمدنا الله على ما انتم فيه من نعمة وامن.

انكم اعربتم لنا عن حسن نيتكم ورغبتكم في تسهيل العلاقات التجارية لمصلحة الجميع. لقد فهمنا جيدا معنى كلامكم واننا نشاطركم الرأى لان هذا هو ما نرغب فيه.

انني اضمن لكم امن الطريق التي تمر في بلادنا كالطريق من ورقلة الى غدامس ومن غدامس الى فور PHORT ومن غدامس كذلك الى توات.

ان كل الاشخاص الراغبين في القدوم الينا يستطيعون القيام بذلك بكل امان ولا يتعرضون لاي خطر اللهم الا إذا كان هذا حادثا نازلا من السماء. انني سأعلم تجارنا كلهم بفحوي رسالتكم سواء عن طريق النصائح او بالذكر الحسن فسيبتهجون بها كثيرا وسأشجع كل مواطني الذين يرغبون في ان يتوجهوا الى بلادكم. وكونوا مطمئنين بان الذين يريدون ذلك يستطيعون ان يأتوا الى بلادنا في جو أمن، لا يخشون شيئا واذا ضاع لهم شيء فاننا سنعوضهم عنه على الفور. اننا لا نريد الا الخير للتجار وللناس جميعا. انصحوا للراغبين ان يتوجهوا الى بلادنا وسيعودون منها راضين رضاء تاما.

ان قاسي سيفصل لكم ذلك اكثر.

كتب في يوم 24 محرم عام 1273هـ من قبل الشيخ الحاج محمد

خنوخن بن الشيخ عثمان السنياري اسبغ الله عليه بركاته.

عن ترجمة مطابقة للاصل

الاغواط في 25 اكتوبر 1856م.

المترجم

إ. بوضربة

■■■■

الوثيقة 10: من مواطنين تونسيين الى القائد العسكري في قسنطينة، سبتمبر 1878م.

ع الحمد لله وحده

المقام الارفع السيد الجينيرال بالد يفيزيون (1) الحاكم الكبير بقسنطينة السلام عليك وبعد فالمعروض عن (كذا) انهانكم الشريفة فانكم تبحثون على الناس المفسدين الذي في جبل يوسف في الكاف الاحمر وانكم كنتم خرجتم بالمدافع والسلاح وتضربون في (كذا) الجبل المذكور وقصدكم انكم تقتلون الناس الذين في الجبل او تمسكوهم (كذا) ولم تجدوا شيئا لانهم اهل سحر فهم يروكم وانتم لا تروهم (كذا) وان هذا (كذا) الناس الذي يجتمعون في الجبل المذكور

(1) يعني: اللواء قائد الفرقة من الفرنسية

GENERAL DE DIVISION :

يصنعون البارود والسلاح وكلما يقوم بشؤون الحرب فهم مشتملون على اربعة انفار ثلاثة منهم من جيهة (كذا) الغرب النبي. وسيدي خالد والرابع منهم بلدي من قسنطينة وله ايضا (يعني ولهم) اخوانهم كثير، (كذا) وواحد منهم شيخ الان في حكم عين رقادة في عامر الشراقة حتى قيل ان هذا الرابع كان زمان السيد جيرار القبطان (يعنى النقيب) المعروف بقتل الصيود (يعني الاسود) كان سبايسي (كذا) (صبائحيا) عنده فلما ذهب السيد القبطان جيرار بقي بعده هذا الرجل مدة يسيرة وصار يزعم انه درويش ثم ذهب الى بر اصطنبول ويأتي الى اخيه الذي (هو) شيخ الان ويجتمعون مع اصحابه في الجبل المذكور لكن بالامارة حين راحت المرأة الفرنساوية من كدية عاتي من نادر الحطب والرجل الفرنساوي القرنشنبيط الذي راح من جبل الشطابة فراهم ادواه (يعني اخذوه) هذا (يعني هؤلاء) الناس الذي (الذين) في جبل يوسف اذا كانت المارة (كذا)

صحيحة فعليكم باحضار بلقاسم بن بوذرا ع بوقزوله العبد نوري من فرقة غمريان (وكرر اللفظة وصححها) فهو معهم في الدعوة ويخبركم ما كان والسلام. والسلام من كاتب الحروف عمار بن عيسى ومحمد بن احداسي بحكم الكاف في عام 1878 -5 سبطمبر.

a MM. les Auditeurs du Cours public d'Arabe — 1862.

N° 62

M. Zubrana

الورقة الأولى

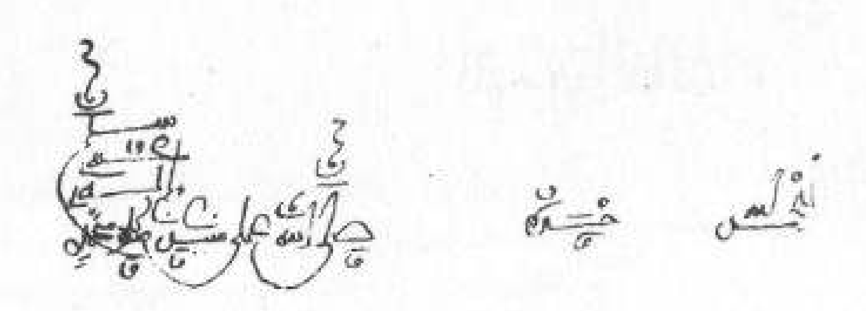
الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

الى مقام المملكة رفيع الاسعد الانفع الافضل الاكمل الافخم الاكرم ... سيدنا حسين باشا ...

[illegible]

اواخر رجب

صورة من رسالة الحاج باي الى الداي حسين. (وثيقة 1)



صورة من رسالة قائد

بني موسى الى الداي حسين. (وثيقة 2)

الورقة الثالثة

الحمد لله وحده

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

صورة من رسالة الحاج باي الى الداي حسين. (وثيقة 3)

إنّا نخبرو ونعرّف سيدنا الناجاه الحاج عمار الوكيل بضريح الشعيد تم مكتوبك المجيد لباي تونس اقتفينا في ذلك العادة المعلومة وكتبنا له كتبهم اوامر اغلاقا بو كالتنا هو مكتوبا من عندنا الباي تونس أعلمناه بما هنالك على حسب مقتضيات الاحوال المتقررة عليه المراد والله يجعل لك خيرا ونعمة وعافية وسلامة لجانب السعيد بمنه وكرمه امين وقد أخبرنا الوكيل المذكور ان باي تونس بعث مواتب وامر قايدها الكاف ان يخلص ما ضاع للحمارة وبلغنا هذا الخبر من عند الحنانشة ونحن نتكم هاين وقياتم بما ضاع لهم بذلك المراد وان لم يسلكم مع حسيتهم تكافه واذا كان وقد كتبهم لنا تأتيهم بكتابته اخص والسلام

ثم نخبر ونعلم سيدنا ان الحاج علي النارزة الطرابلسي قدم الى عنابة وبعث لنا مكتوبا يستفيش ناحية عن القدوم الينا الجزائر وبناه بان نخبرنا على حاجته التي بها بهما هل مقصده القدوم لحضرتكم ام لقسنطينة فعند ورد لنا الجواب انه جاء بيائه والتقى لسادة الصيد يقصد البيع وبعث لنا مكتوبين احدهما لسيادتكم والاخر لنا من عند باناكم البلمر فلما فتحت كتابنا وجدت فيه جريدة مضمنها هدية الينا الباقي اما الخيل والعتاق والقاضيين فراه لكتبت له نبقى في عنابة حتى ياتيه جوابنا واني وجهت لك المكتوبين والجريدة لتطلع عليهم ثم بعد ذلك سيدنا العبد تأمرني به نفعله فانه لا نقبل منه هدية ولا ناخذ منه شيا حتى يأتي بعد امر الشعيد ان شاء الله تعلى وانما هذا سبب ذي نحتنط علينا والله يبقي لنا وجودكم امين

ثم نخبر سيدنا ونعلم سيادتكم خيرا ان شاء الله تعلى ان قايد القالة اخبرنا انه قدم اليهم لقسنطينة رجلان احدهما اسمه محمد بن سليمان بوعجاج من اولاد حسن وهم من اولاد التي كان قايدها علي بن رجيد من رعية باي تونس والثاني رجل شايب كبير كان شيخ الفراشيش كبير لقايد الدار ان الاول كان قايد دريد والثاني شيخ الفراشيش وعزلهم باي تونس وولى غيرهم معنى لا كهيئته ولا كالمصلاقد وانتحدهما واخلهما وزعما ان تابعهم من دريد والفراشيش استلفوا من ذلك وبعثوهما ياخذا لهم الامر منا ويا تو لبلادنا ونحن سيدنا ان الزغالية الذين كنا اخبرناك عليهم وامرناهم بالدخول لبلادنا والبعد عن وطن العبلة ووعدوا بذلك وما زالوا الى الان يقرب تبسة وقد امرنا قايد الدار يبقيهما عنده في قسنطينة حتى ياتيني جوابكم السعيد هل نوسع لهم هذا الجواب ونوافقهم للدخول لبلادنا ام نتغافل عنهم

٢٦٥

الورقة الثنية

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

حفظ الله تعالى بمنه مقام محبنا الاسنى والاخ الوجيه الغاية الحسني
احبابه الله السيد فلان خوجه صانكم الله بصونه وادام بعونه السلام
عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته كان بحمد الله الا الخير والعافية وحبكم والسؤال
وبعد لا يخفاكم ايها المحب انه قد ورد علينا مسطوركم الاسنى فقرأناه
وفهمنا منه الصحيح والمعنى وذلك ما العيتم الينا على شان الروم وبعثتم الينا نسخة
وعقد بن سلطانية مع السيد محمد [illegible] بالغناذ الط على التمام والتوفي لا نجد [illegible]
هذه الساعة وكتبتم اما عندنا وتبقى بكهم لنا الحد وهذه الساعة امتنع
في بلاد ناس النصارى كان الباي بعث كتابه الى حكام البلاد واكثر عليهم بان لا يشتري
احد روميا والذي يشتري يأخذه بايلك من سبب اولاد النصارى الذين يحسرون
العرب ونحن بنا نحتال على رواحنا فان كهم لنا روميه ولم يكون فيه شبهات نأخذون
ارضا الله ولا نقتصو [illegible] مسائلكم لان هذه الساعة النصارى مشغولين وساعة
اخرى نأخذ لك روميا كما تحب وترضى وهذا ما عندنا الخبر ناكم به والسلام ويسلم
لنا على والدك السيد فلان وعلى فلان صهركم وعلى اهل الحانوت حيث الجملة الف
الف سلام والسلام عائد عليكم والرحمة من محبكم ومفضل مقامكم
السيد فلان بن فلان وفقه الله بمنه وكرمه امين

ان شاء الله تعالى بيد السيد فلان خوجه بن السيد فلان بايلك الجزائري
امنها الله بمنه وكرمه امين



صورة من مجهول الى مجهول. (وثيقة 4)

صورة من رسالة آغا الاصنام الى الحاج مروان. (وثيقة 5)

الحمد لله وحده

حضرة سلطاننا المعظم وولي نعمتنا المفخم دام علاه وابقى لنا
وجوده المعروض على مسامعكم الكريمة بعد التعظيم التام
وتقبيل مواطئ الاقدام ان عبدكم الداعي لكم بالسعود والاقبال
من اعيان اهل الجزاير وكان ابي من اكابر التجار بحيث كانت
بين يديه نحو خمسين الف دورو وكانت له املاك شتى وحين استولت
الدولة الفرانصوية على الجزاير انتهب مالنا وتغيرت احوالنا
وصرت الان ترجمان بتربونال البليدا ولي في الخدمة المذكورة ست
سنين ولي اولاد وعيلة كبيرة تشتمل على عشرة انفس وسكنى بدار
من الديار المحبسة على الترب والمساجد بزقاق كتشاوة ولوزنة بالبليدا
ندفع كراءها في كل شهر لله بين الحلقة من نكادم امانكم ان
تتكرموا علي باعطائها لي فنظرة منكم تحيينا وقطرة من بحر كرمكم تغنينا
ذلك بعد العز صعيبة عضما ارحموا من في الارض يرحمكم من في السما
ارحموا عزيز قوم ذل والسلام من مقبل تراب الاقدام المنتظر افضالكم

عبدكم الحقير الفقير
الحاج حسين ابن حمدان
ابن عثمان خوجة

صورة من طلب الحاج حسين بن حمدان بن عثمان خوجة
الى الحاكم العسكري في مدينة الجزائر. (وثيقة 6)

الفارس الشهير، ذا الكرم والشجاعة والتدبير
سيدنا ومن على الله وعليه اعتمادنا سعادة السيد
الكولونيل دنبوا سلام الله عليكم ورحمة الله
السعيد. وكيف انتم والسوا الشر مناع بجملة احوالكم فان كنتم
بخير من الله وعافية من [illegible] فالحمد لله. وان تفحصت باعن
سوالكم عن الصاحبة او طلافنا فهي عافية منتشرة بهذه
هذه الناحية وما ترك فيها منعد وما مفسد. وما خارج الطريق
والحمد لله على حرمتكم السعيدة. وبعد سيدا خبرك بما ثبت
عند نا من شرعوت بوبغلة. وذلك انه بلغنا انه [illegible]
في قبيلة قايد بني عباس مع بعض بني امليكش
كالحاج [illegible] اوبن [illegible] قرية تخلاط. وبعض من معه
في المشونة. وقبيلة قتلة انهم جعلوا الضيفة بدار احدهم
واتوا به الى تلك الدار ونشغلوه بالطعام على مراده حتى
وجدة الضيفة وقدموا له الطعام. فلما شرع في الاكل وقفوا
معه ثمانية رجال ثلاثة من يمينه وثلاثة [illegible] واثنين
خلفه. فلما راوا فيه فرصة اخذوا حبلا من الغرب وبلحوا
به وسلوه [illegible] وجذبوه من كل جهة ثلاثة بالقوة
وفعوا فيه بضرب الفرازيل حتى مات غضب الله عليه
وبعد ذلك رفعوه [illegible] الى محل وعدهم مع القايد المذكور
[illegible] عباس و[illegible] الى وقت
طلوع الشمس فقطعوا راسه و[illegible] القايد مع
[illegible] وصاروا يلعبون مع بعضهم كما يفعلون
في القتال لاجل الناظر اليهم. تحقق انهم مسكوه

صورة من الباش آغا حاكم زواوة

الى العقيد دنبوا. (وثيقة 7)

الحمد لله وحده ولا يدوم الا ملكه

حفظ الله بمنه وعم بجميل ستره العالي بالله السلطان المعظم السيد حمد بن
السيد احمد لبّ دام الله عزك امين بعد مزيد السلام عليك والرحمة والبركة
اما بعد كيف انت وكيف احوالك المرضية في هذه الساعة المباركة التي فل شرها
وكثر خيرها الله يدومها علينا وعليكم بالمراد الذي نعلمك به خير ان شاء الله
على سبب بعثنا لك جوابا مع الشريف الوزاني الحاج محمد بن احمد ووجدك
غايبا عند اخوك في جنبي مع ثلاثة ناس نصارى انقليز واجتمع مع السيد
البكاي وانما رسولنا اليك لاجل نحب يكون الخير بيننا في البيع والشرا
وتكون الشروط في فوايد الجميع ومناسبتهم اننا نريد سلعتكم تاتي الينا
وسلعتنا تاتي اليكم وتربحوا انتم ونحن والعادة التي بينكم وبين التوارق
في الاخذ والعطى نقبلها كذلك مثل الشيخ محمد ولد القاوي والشيخ النيع
وكافة ما يصلح بك لاجل انت تعرف عند نا الهنا ثلث الطريق من بني
مزاب الى الجزاير هو الثلث اربع الذهب على راسك لا يضرك احد واسئل
على ذلك ولكن نحب ان تبعث لنا ناس من جانبك نتكلم معهم ويكون
الامر على الاصح ويكونوا اخصوك الذي بيننا على جميع ما يكون فيه صلاحنا
وصلاحكم وجميع ما تستحقوه ويذكره اللسان من عندنا ياتي اليكم وانما
هو لك نعمل البيع والشرا في بني الاغواط لاجل القرب اليكم يكون في
ذلك الخير وان اظهر لك ترسل تجارنا الى تنبكتو وانتم ترسلوا تجاركم
الى الجزاير فيكون في ذلك الصواب فلما تبعث لنا ناس من طرفكم
لنعقدوا معهم العقد الصحيح على امر التجارة تمكنوا بيدهم جواب بطابعكم
فوالله ثم والله ما [illegible] الا الخير والعافية والبيع والشرا ان مملكتنا واسعة
وكفانا الله عن كل طمع وما ملكنا الله اقليم الجزاير الا لاجل صعابة نيتنا وفوقنا
على الحق تركنا كل واحد في دينه اكرمنا المرابطين وعززناهم وكل حاجة باقية
على حالها كالجوامع والمساجد وجميع ما ينا سب امور المسلمين فلا تشوه
منا ان شا الله الا ما يوطيك ويسرك وعليك السلام التام كتب بامر
~~الكلونيل دي [illegible]~~ سعادة المعظم الكنت راندون سلطان
مملكة الجزاير في اواخر محرم سنة ١٢٧١

(هامش:) تنغواج

صورة من الكونت راندون الى سلطان تنبوكتو. (وثيقة 8)

Traduction d'une lettre d'El-hadj-Mohamed-Ikhenoukhen, chef des Touareg d'Azeguer, à M. le Commandant Supérieur de Laghouat.

Louanges à Dieu ! Que Dieu répande ses grâces sur Notre Seigneur Mohamed !

A sa Seigneurie le très bon, le très honorable Commandant Marguerite, Commandant Supérieur du Cercle de Laghouat. Que mille saluts soient sur vous, ainsi que la miséricorde de Dieu et ses bénédictions !

J'ai reçu par l'intermédiaire du Mozabite Kassi-ben-Ba-Ismaël votre chère lettre. Le susdit Kassi qui ne m'a dit que du bien, m'a remis de votre part deux lettres, l'une en langue arabe et l'autre en targui ; nous avons bien compris le sens de celle écrite en arabe, mais nous n'avons rien pu comprendre à celle écrite en targui. Nous avons pris connaissance de celle écrite en arabe et avons rendu grâce à Dieu de la tranquillité et du bien-être dans lesquels vous vous trouvez. Vous m'avez communiqué vos bonnes intentions, c'est à dire que vous désirez faciliter les relations commerciales afin que tout le monde puisse en profiter. Nous avons goûté parfaitement vos paroles et nous sommes tout à fait de votre avis, car c'est ce que nous désirions aussi. Je vous garantis la sûreté des routes qui traversent notre pays, telles que celles d'Ouargla à Ghadamès, de Ghadamès à Rhat et de Ghadamès au Touat.

Tous ceux de vos gens qui désirent venir chez nous

صورة من قائد التوارق الى الحاكم العسكري في الاغواط. (وثيقة 9)

pourront se rendre dans votre pays en toute sécurité, ils n'auront aucun risque à courir, à moins qu'il ne leur arrive un accident providentiel.

Je donnerai connaissance de votre lettre à tous nos Négociants qui en seront très contents, et soit par des conseils, soit par de bonnes paroles, j'engagerai tous ceux de mes compatriotes, qui le désireront, à se rendre dans votre pays.

Soyez sûr que tous ceux qui le désireront, pourront venir en toute sécurité chez nous, qu'ils aient beaucoup ou peu de biens, ils n'auront rien à craindre et s'ils venaient à perdre quelque chose, nous le leur rembourserions immédiatement. Nous ne désirons que du bien aux Négociants et à tout le monde.

Conseillez à ceux qui le désirent, de venir dans notre pays; ils s'en retourneront parfaitement satisfaits. Kassi vous mettra à même de nous connaître et vous donnera des détails.

Écrit le 14 du Moharrem, l'an 1273, de la part du Cheikh-El-Hadj-Mohamed-Ikhenouken fils du Cheikh-Othmane-El-Seguiri; que Dieu le comble de félicité !

Pour Traduction Conforme à l'Original

Laghouat, le 25 Octobre 1856

L'Interprète

[illegible]

الحمد لله وحده

المقام الارفع السيد الجنرال بلامع فرجون الحاكم العسكر بقسنطينة السلام عليك وبعد فالمعروض عن اذهانكم الشريفة فانكم كنتم تبعثون على الناس المفسدين الذين في جبل يوسف في الكاف الاحمر وانكم كنتم خرجتم بالمدافع والسلام وتضربون في الجبل المذكور وقصدكم انكم تقتلون الناس الذين في الجبل اوتمسكوهم ولم تجدوا شيئا لانهم اهل سحر منهم يروكم وانتم لا تروهم وان هذه الناس الذين يجتمعون في الجبل المذكور يصنعون البارود والسلاح والمدافع بشون الحرب وهم يشتملون على اربعة انفار ثلاثة منهم من جهة الغرب من البر . ويسمى غالب وكل واحد منهم له عضو يعبدونه على مطلبهم والرابع منهم بلده من قسنطينة ولم ابعلم اخوانهم عشرة وواحد منهم شيخ في مكم عين رفلده في عارم الشراقة حتى قيل ان هذا الرابع كان زمان السيد جبار الفكلان المعروف بقتل الحيوان كان سبب بسبب عشرة فلما ذهب السيد الفكلان جبار بقي بعده هذا الرجل مدة يسيرة وما ربزعم انه ديبتنر ثم ذهب الى بر اصطنبول وبلاد الحجة الذي شيخ لهم ويجتمعون معهم في الجبل المذكور بعكس بلا مارة حين راحت امراة الفرانساوية من عكسه على من الاكر الحكم والرجل الفرانساوي الفرنشفيكم الخ راح من جبل التشكل فخبرناهم ان هذه الناس الذين في جبل يوسف انه اعلانت المارة صحيحة وعليكم باحضار الفلاسفة بن الحاج بو فزولة العيد نوري من فرقة خريان عشرين بني السعودة وخبرتكم هالكان والسلام

سنة ١٢٨٨

صورة من مواطنين تونسيين الى القائد العسكري العام في منطقة قسنطينة. (وثيقة 10)

المراجع العربية

1- د. ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الحديث، (معهد البحوث والدراسات العربية، قسم البحوث والدراسات التاريخية والجغرافية، القاهرة.1970م)

2- د. ابو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية (بيروت، منشورات، دار الاداب، طب 1، اذار مارس 1969م)

3- أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا، نشر المكتبة المصرية، الجزائر.

4- احمد توفيق المدتي: كتاب الجزائر، البليدة، نشر دار الكتاب. طب 2، 1963م.

5- د/ احسان حقي: الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد،

بيروت، منشورات المكتب التجاري، طب 1، 1961م.

6- امين سعيد: تاريخ الاستعمار الفرنسي والايطالي في بلاد العرب(القاهرة، 20 أكتوبر 1936م)

7- أرجمنت كوران: السياسة العثمانية تجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر، تر. عبد الجليل التميمي، (منشورات الجامعة التونسية، 1970م)

8- د/ جلال يحي: تاريخ العلاقات الدولية، 1815م- 1914م طب2، 1971م.

9-د/ جلال يحي: تاريخ المغرب الكبير، ج3.

10- د/ صلاح العقاد: المغرب الكبير.

11- علي عبد القادر حليمي: مدينة الجزائر، نشأتها وتطورها قبل 1830م، المط العربية لدار الفكر الاسلامي، طب 1،1972م)

12- فشر: تاريخ اوربا في العصر الحديث، 1789م- 1950م.

تر. أحمد نجيب هاشم، ووديع الضبع

13-د/ محمد خير فارس: تاريخ الجزائر الحديث، طب 1969،1م، دمشق

14-د/ عبد الجليل التميمي: بحوث ووثائق في تاريخ المغرب، 1816م، 1871م منشورات الجامعة التونسية 1972م.

15- محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر، شرح وتعليق الدكتور ممدوح حقي (دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ج 1و2 طب 2) 1964م.

16- مبارك بن محمد الهلالي الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث.

مكتبة النهضة الجزائرية (الجزائر) ج3.

17- محمد فرح: الامة العربية، 1514م-1964م. دار الفكر العربي.

القاهرة، لا.ت

18- محمد بك فريد: البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديوية، مطب بولاق.طب1، 1308هـ.

19- يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر (المطبوعات الوطنية الجزائرية، طب 1، ديسمبر 1965م)

مجلات وجرائد

1- د/ العربي الزبيري: (مقاومة الجزائر للتكتل الاوربي) مجلة الأصالة، (جانفي -فيفري 1973م) ص 121-130.

2- د/ عمار بوحوش (الارض والهجرة)، مجلة الاصالة، (السنة الثانية العدد 11 نوفمبر -ديسمبر 1972م) ص.121-130

3- المهدي البوعبدلي، (موقف المؤرخين الأجانب من تاريخ الجزائر عبر العصور) مجلة الأصالة- السنة الثالثة، ماي- جوان- جويلية- أوت 1973م) ص. 125-138.

4- محمد محفوظ:(السياسة التركية والفرنسية غداة احتلال الجزائر)

مجلة الفكر، السنة 8- العدد 2 نوفمبر 1962م) ص44-52

5- محمد بن عبد الكريم: (المرآة)، جريدة الشعب، 2589 (5 أبريل 1972م)

المصادر الأجنبية

1- Augustin Bernard : Histoire des colonies françaises, l'Algérie T : 2. (Paris).
2- Augustin Bernard : L'Algérie. (Paris, 1929).
3 - Charle André Julien : Histoire de l'Afrique du Nord, Paris 1952.
4 - Charle André Julien : Histoire de l'Algérie contemporaine, Paris 1964.
5 - Gabriel Esquer : Reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger par le chef de bataillon Boutin (1808), Paris 1927.
6 - Gabriel Esquer : La prise d'Alger 1830. Paris 1929, nouvelle édition.
7 - Henri Nogueres : Expédition d'Alger 1830. Paris.
8 - Lamouche, colonel : Histoire de la Turquie. Paris 1953.
9 - Prince Sixte de Bourbon : Dernière conquête du roi, Alger 1830. Paris 1930.
10 - Pellissier de Reynaud : Annales algériennes, Paris 1854. 3 volumes. 2ème édition.
11 - Paul Azan, général : Expédition d'Alger 1830, Paris 1930.
12 - P. Bernard, et F. Redon : L'Algérie. Alger 1926, nouvelle édition.
13 - R. et M. Cornevin : Histoire de l'Afrique, des origines à nos jours, 2ème édition.
14 - S. Gsell, G. Marcais, G. Yver : Histoire d'Algérie, Paris ancienne 1929.

فهرس المواضيع

العلاقات الجزائرية الفرنسية

1791-1830م

الفصل الأول

الديون الجزائرية على الحكومة الفرنسية

الفصل الثاني

بداية الأزمة الفرنسية الجزائرية

الفصل الثالث

مشروع الحملة الفرنسية على الجزائر (1830م)

مطبعة دحلب
108 شارع طرابلس - حسين داي
الـجـزائــر

ايداع شرعــي 4/ 94



من مواليد 1938.06.17م بمدينة الشريعة (ولاية تبسة) حيث تلقى تعليمه الابتدائي باللغتين.

انتقل الى معهد ابن باديس لمواصلة الدراسة ثم الى جامع الزيتونة في تونس.

انخرط في صفوف المجاهدين فارسلته الثورة في بعثة عسكرية الى القاهرة للتدريب. وعاد بعد ذلك الى الحدود الشرقية حيث يؤدي واجبه الوطني في صفوف الوحدات المقاتلة.

كان قد انتسب الى المركز الجامعي في مدينة قسنطينة عام 1965م لاتمام دراسته وتخرج في معهد التاريخ بجامعة وهران (1972م).

أحيل الى المعاش من الجيش الوطني الشعبي في 1984.07.16م.

هو الان يعيش مع ذاكرته... يبني الجديد بالقديم.